

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ
مُوسَىٰ وَمِنْ شَرِّ
مُوسَىٰ

وَتَرْتِيلَةُ التَّوْحِيدِ

صَاحِبُ الْقُرْآنِ



فَلَمَّا
أَتَاهُمْ

وَجَاءُهُمْ

مُوسَى

وَرْتِيلَةُ التَّوْحِيدِ
بِهِ اصْرَاعُ فَرْعَوْنَ إِلَى اصْرَاعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

م 2011 هـ - 1432

ISBN: 978 - 9933 - 408 - 24 - 4



للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - سوريا - ص.ب: 13414

+ 963 11 224 24 30

+ 963 11 225 10 36

www.kotaiba.com

E-mail : dar@kotaiba.com

www.neelwafurat.com كتبنا متوفرة على موقع:

الله
مُوسَى

وَرَتِيلَةُ التَّوْحِيدِ

صَدْرَهُ الصَّرَاعُ مَعَ فَرْعَوْنَ إِلَى الصَّرَاعِ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَحْدَةُ الْإِلَهِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

*رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَآخِي فَافْرُقْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ *

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

الإهداء

إلى أرض كعبان العربية الإسلامية

منذ فجر التاريخ وإلى آخر التاريخ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

(اللّٰهُمَّ أَعُّنَا وَنُورِ بَصَرُنَا وَبَصِيرَتِنَا)

بعد أن وفقنا الله سبحانه في إخراج كتابين إلى النور: (إبراهيم عليه السلام كاهن التوراة أم نبي القرآن) و(سلیمان عليه السلام صرخة النبوة في وجه الخرافية التوراتية) ألح على بعض الإخوة أن أسرع في استكمال البحث حول الأنبياء الآخرين الذين شكلت الأحاديث حولهم إشكالات والتباسات منذ زمن بعيد، وما زالت راسخة في عقول الملايين من المسلمين والمسيحيين واليهود وغيرهم.

وحين صدر كتابي عن النبي سليمان عليه السلام التفت إلى الكتابة في بحث فكري وحضاري. وامتد ذلك حوالي ثلاثة أشهر وأنا أكتب في موضوع مركزية الغرب وهامشية الشرق خرافة أم حقيقة، وعند انتهاءي من الفصل الرابع الذي يتناول النظريات العنصرية الغربية، كالأنجلوساكسونية والصهيونية والنازية، والرؤية الإسلامية الإنسانية. أشار علي ولدي محمد أن أتوقف عن استكمال هذا الكتاب لأعود إليه بعد أن أنجز كتاباً عن النبي موسى عليه السلام لأنه أكثر أهمية، والناس بحاجة له كما هم بحاجة لتناول قصص بقية الأنبياء، وبعد استخاراة نفسية وروحية ومحاورة عقلية انحررت إلى هذا الرأي.

واستعنت بالله ورحت أفكر في سيرة النبي موسى عليه السلام المديدة والمشعبية الجوانب، وخاصة في القرآن الكريم.وها أنذا أخط السطور داعياً الله سبحانه أن يوفقني وينير بصري ويعقلني ويصبرني كي أتم هذه السلسلة من الدراسات حول

أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، وهو في المحور - إن شاء الله - دحض الأقاويل والخرافات التوراتية والإسرائيلية وإظهار الحقيقة النبوية كما تعلمناها في قرآننا المجيد وسنة نبينا الشريفة.

اللهم لك الحمد على ما أنعمت علينا من نعمة العقل والعلم، اللهم إنا ندعوك أن تعلّمنا الأدب والتواضع والدفاع عن مسألة الإسلام.

اللهم أعينا بالصحة الدائمة والمعافاة المستمرة في ديننا ودنيانا..

اللهم إن أصبنا فهو من فضلك ولطفك وإن أخطأنا فمن أنفسنا..

تمهيد

ارتبطت سيرة النبي موسى عليه السلام ببعض أسفار التوراة، ويرى كاتب التوراة أن الأسفار الخمسة الأولى تُنسب إلى النبي موسى عليه السلام وهي على التوالي: التكوين، والخروج، والعدد، واللاوين، والتشنية.

وهذه الأسفار تتدفق عبر صفحات طوال، تتناول خلق الكون وخروجبني إسرائيل من مصر والتشريع الذي ينسب إلى النبي موسى عليه السلام.

وتتناول القرآن الكريم قصة موسى عليه السلام من كافة جوانبها في أكثر من مئة وستين موقعاً، وهو النبي الأكثر وروداً من بقية الأنبياء في كتاب الله.

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة حول هذا النبي مما يدعم الكثير من الأمور التي لم يفهمها الناس بشكل عام.

والواقع أننا حين ننظر إلى تسلسل الأحداث في سيرة هذا النبي لا بد لنا من التمهل والتأني والصبر كي لا نقع في وضع الأحداث في غير سياقها التاريخي، وكيف لا نقع في حبائل الكتابة التوراتية التي أغفلت الكثير من حياته، والمحطات المفصلية في مسيرة هذه الحياة. وعلى ضوء ما قرأناه في أسفار التوراة وأيات القرآن الكريم نستطيع أن ننظر في الأمور التالية:

- 1 - بنو إسرائيل بعد يوسف عليه السلام / الواقع الديني / الواقع الاجتماعي / الواقع الاقتصادي.
- 2 - هل كانت مصر مسرح الأحداث الإسرائيلية.
- 3 - ظهور النبي موسى عليه السلام.
- 4 - عائلة موسى عليه السلام، أبوه / أمه / أخوه / اخته.
- 5 - اضطهاد الفرعون لبني إسرائيل، قتلهم لأولادهم / واستحياء بناتهم.
- 6 - قصة أمه حين رمته في نهر النيل ليلتقطه آن فرعون.

- 7 - بين امرأة فرعون وابنته.
- 8 - موسى عليه السلام في بيت فرعون.
- 9 - موسى عليه السلام في شبابه، مقتل المصري و موقف الإسرائيلي الفاسد.
- 10 - هروب موسى عليه السلام من مصر باتجاه سيناء ثم باتجاه مدین.
- 11 - مدین قرية عربية، من هو الشيخ والد البنات الذي دعا موسى عليه السلام ليحضر عنده.
- 12 - هل النبي شعيب هو نفسه الشيخ والد البنات / ومن هو يثرون التوراتي؟.
- 13 - زواج موسى عليه السلام من إحدى بنات الشيخ الصالح.
- 14 - مكوث موسى عليه السلام في مدین عشر سنوات.
- 15 - تعلم موسى عليه السلام لغة أهل مدین وهي العربية.
- 16 - إنجاب موسى عليه السلام لولدين.
- 17 - نية موسى عليه السلام العودة إلى أهله.
- 18 - قصة الشجرة التي لا تحرق ومخاطبة الله لموسى عليه السلام.
- 19 - صحف موسى عليه السلام أسبق من كتابه والألواح.
- 20 - ذهاب موسى عليه السلام إلى فرعون.
- 21 - من هو هارون بالنسبة لموسى عليهما السلام.
- 22 - قصة المعجزات التي أجرأها الله لموسى عليه السلام وهو يجادل فرعون.
- 23 - كم مكث موسى عليه السلام عند فرعون وهو يجادله.
- 24 - من هم السحرة الذين تحدوا موسى عليه السلام، إيهانهم برب موسى عليه السلام وتحذيمهم لفرعون.
- 25 - الأمر بهروب موسى عليه السلام وبني إسرائيل من مصر إلى سيناء. هل حقاً جلب معه عظام يوسف؟.
- 26 - المعجزة بشق البحر، ما رأى العلماء بها.
- 27 - غرق فرعون ووزيره هامان.
- 28 - لماذا أبقي الله على جسد فرعون، هل هناك بحوث تؤكّد هذه الحادثة.

- 29 - سرقة بنى إسرائيل لخيراتهم، الذهب والفضة والنحاس.
- 30 - دخول موسى عليه السلام لسيناء.
- 31 - أين استقر بنو إسرائيل في الصحراء.
- 32 - طلب بنى إسرائيل من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا / عقيدة الوثنية لدى بنى إسرائيل.
- 33 - تذمر بنى إسرائيل وعصيائهم لموسى عليه السلام وتمردتهم عليه.
- 34 - اثنتا عشرة عيناً / المن والسلوى / العدس والفوم والبصل .. إلخ.
- 35 - ذهاب موسى عليه السلام لمليقات ربه 30 - 40 يوماً، ماذا يعني العدد؟؟
- 36 - الألواح وماذا فيها؟ لماذا ألقاها موسى عليه السلام؟ هل هي ألواح أم هي لوحان؟
- 37 - عبادة بنى إسرائيل للعجل، تحطيم موسى عليه السلام للعجل / حواره مع السامری / مع هارون.
- 38 - ماذا وُجد في الألواح من تشريع.
- 39 - لقاء موسى عليه السلام بالشيخ الصالح في مدین، لقاء موسى عليه السلام بزوجته ولديه.
- 40 - مرحلة تعليم موسى عليه السلام لبني إسرائيل الشريعة الموسوية.
- 41 - هل حدث صراع مسلح بين قوم موسى عليه السلام وأقوام أخرى.
- 42 - موسى عليه السلام والعبد الصالح، قصة تحتاج لتفصيل وتدقيق، لماذا تنكر التوراة اللقاء؟ أين مكان اللقاء؟
- 43 - من هو غلام موسى عليه السلام؟ هل كان يشوع حقاً؟ من هو يشوع؟
- 44 - نظارات في تشريعات موسى عليه السلام كما وردت في التوراة، قصة البقرة.
- 45 - بين الكتاب والتوراة والصحف.
- 46 - ادخلوا الأرض المقدسة، ما المقصود منها؟ رفض بنى إسرائيل تلبية نداء الله وموسى عليه السلام.
- 47 - دعاء موسى عليه السلام لله أن يفرق بينه وأخيه وبين القوم الفاسقين.
- 48 - موت هارون، وموت موسى عليه السلام.
- 49 - هل دخل موسى عليه السلام أرض فلسطين وأين قبره؟

- 50 - كم مكث بنو إسرائيل في سيناء؟.
- 51 - أين توراة موسى الكتاب؟ أين كتاب موسى الكتاب؟ الفروق بين الكتاب والتوراة.
- 52 - تابوت العهد وماذا حوى؟ رواية التوراة عن تابوت العهد تناقض القرآن والواقع.
- 53 - مفهوم النبوة عند بني إسرائيل.
- 54 - موسى الكتاب في التراث اليهودي والمسيحي.
- 55 - نظرة إجمالية حول شخصية النبي موسى الكتاب.

ومن الطبيعي أن تدخل بعض التفصيات تحت بعض هذه العناوين وهي تأتي في سياقها، وسنحاول إن شاء الله أن نسير حسب منهج تحليلي للنصوص يعتمد على علم مقارنة الأديان وعلم التاريخ وعلم النفس وعلم الجغرافيا والميثولوجيا، وكذلك علم الآثار والأنثروبولوجيا (علم الإنسان) وعلم الاجتماع.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن لنا أن نقسم هذا البحث إلى مقدمة وفصول:

- 1 - تناول المقدمة مفهوم النبوة وبعض المصطلحات الدينية والتاريخية.
- 2 - الفصل الأول: النبي موسى الكتاب من الولادة حتى الشباب والهروب إلى مدين.
- 3 - الفصل الثاني: موسى الكتاب وفرعون، صراع التوحيد مع الوثنية.
- 4 - الفصل الثالث: موسى الكتاب في سيناء. الوحي والتشريع والصراع معبني إسرائيل.
- 5 - الفصل الرابع: موسى الكتاب في التراث اليهودي والمسيحي.
- 6 - الفصل الخامس: النبي موسى الكتاب في نهاية المطاف.
- 7 - الفصل السادس: النبي موسى الكتاب بأقلام الباحثين.
- 8 - الفصل السابع: النبي موسى الكتاب في الحديث النبوي والتراث الإسلامي والإسرائيлик.
- 9 - خاتمة.

المقدمة

يعتبر النبي موسى عليه السلام من أهم أنبياء بنى إسرائيل، فهو صاحب رسالة وكتاب حفلت حياته بالكثير الكثير من الأحداث والأمور وارتبط بنبي إسرائيل باعتبارهم قومه الذين بعثه لهم الله عز وجل.

وحيث أُلْفَت التوراة العبرانية على يد عزرا الكاتب أيام التحرير البابلي جمع ما حفظه كبار السن من بنى إسرائيل والكهنة، وتحدث عنه في عدة أسفار أهمها سفر الخروج وسفر العدد واللاوين والشنية.

وحيث نطالع سيرة النبي موسى عليه السلام في التوراة المحرفة والقرآن الكريم، نجد العديد من المواقف والعديد من التناقضات، لذلك وجب علينا التدقق في سيرته ومراجعة النصوص التي تحدثت عنه.

وحيث الحديث عن مسرى حياته تواجهنا عدة آراء خاصة فيما يتعلق بالصراع مع فرعون وجود بنى إسرائيل في مصر وسيناء.

فالعديد من الدراسات حاول أصحابها نفي وجود موسى عليه السلام في مصر ونفي وجود بنى إسرائيل فيها، وقال أصحاب هذه الدراسات إن مسرح الأحداث بين موسى عليه السلام وفرعون هو الجزيرة العربية وليس مصر، ومن هذه الدراسات دراسة للسيد أحمد الدبش وهي بعنوان موسى عليه السلام وفرعون في جزيرة العرب.

ومن تلك الدراسات دراسة للدكتور كمال صليبي التي جاءت بعنوان التوراة جاءت من جزيرة العرب، وقد استند الباحث الدكتور زياد منى إلى أطروحة كمال صليبي وتوصل إلى نتيجة مفادها: «جغرافية التوراة مصر وبنو إسرائيل في عسير»، وأراد الباحث أن يثبت أن أحداث التوراة جرت في منطقة عسير في الجزيرة العربية.

ويكمل هذا المنهج الدكتور أحمد داود الذي سار على منهج الصليبي لكنه يرى اختلافاً بيئياً بينه وبين كمال الصليبي، حيث يرى أن كتاب التوراة هو في مجمله لا يخرج عن إطار التراث العربي الذي كان يحفظ مدوناً في الذاكرة لعشائر عربية عاشت أحدهاً معينة في منطقة بدوية في شبه جزيرة العرب.

وسار على هذا المنهج الباحث العربي فرج الله صالح ديب في كتابه التوراة العربية وأورشليم اليمنية. وقد توصل الباحث إلى أن مسرح الحوادث التي ورد ذكرها في التوراة لم يكن في فلسطين ولا في الحجاز وإنما في اليمن وفي محيط صنعاء، وأن التوراة في الأصل ذات منشأ عربي.

وفي نفس الإطار كتب فاضل الريبيعي فاعتبر أن فلسطين المتخيلة كانت في اليمن. وأن أورشليم لم تكن في فلسطين.

والواقع أننا لسنا في صدد استعراض تلك الكتابات، فلكل مجتهد نصيب. لا نعيب على أي باحث جهده مهما كان متواافقاً أو مختلفاً ومعارضاً لما نكتبه في هذا الكتاب.

ومع كل هذا لابد أن نطرح السؤال التالي:

ما الهدف من وراء القول: إن مسرح الأحداث التوراتية لم يكن في مصر أو سيناء أو فلسطين؟.

ما الهدف من وراء القول: إن التوراة جاءت من شبه الجزيرة العربية؟. كثيرون يفهمون القصد على أنه إبعاد الوجود اليهودي عن فلسطين، وأن الادعاء الصهيوني بأن أرض فلسطين أرض ميعادهم هو ادعاء باطل لا يستند إلى أي حقيقة، إن هذا بحد ذاته جيد وحقيقة لا ينكرها عاقل.

ولكن الذي يثير هو إثبات وجودنبي إسرائيل وتوراتهم في الحجاز، أو اليمن، أو عسير، وكيف يثبت ذلك؟ إنه من خلال عدم وجود آثار مادية تشير إلى اليهود في مصر أو فلسطين، ومن خلال ورود أسماء مشابهة لأسماء المناطق الفلسطينية وهي الجزيرة العربية واليمن.

على أية حال. فإن الحركة الصهيونية كمشروع استعماري موجود في فلسطين اليوم، وهذا الوجود قوي بسبب الدعم الغربي غير المحدود له وبسبب تواطؤ النظام الرسمي العربي في غالبيته أو بسبب ضعفه وعدم اعتبار فلسطين مركزاً للصراع بين المشاريع الغربية الاستعمارية وبين العرب والمسلمين.

الكيان الصهيوني موجود وهو قوي بما يكفي للحفاظ على وجوده، وأعتقد أن المقولات التاريخية والتي سبق ذكر بعضها لا تهم في هذا الكيان ولا تلقى آذاناً صاغية.

وأذكر أن مناصم بيعن عندما طُرحت على طاولته كتاب يهود الخزر مؤلفه آرثر كوستлер والذي يؤكد فيه أن غالبية اليهود الغربيين المتواجددين في فلسطين ليس لهم أية صلة بالمنطقة وهم خزريون آريون قال بيعن: إن قالوا عنا خزريين أو غير ذلك فهذا لا يهمنا نحن موجودون هنا على هذه الأرض ووجودنا ثابت لا يتزعزع، نحن موجودون بقوتنا المعاصرة لا أكثر ولا أقل.

وأعتقد أن الوجود الصهيوني في فلسطين اليوم لم يعد يأبه للدراسات التاريخية والاجتهادات البحثية التي تتناول تاريخبني إسرائيل وتوراتهم، فهذا الوجود يقوم على أساس سياسية استعمارية غريبة، وضع الدين كستر لها، لكن هذا الستر تمزق وانفضح. وعندما نقف بين ما كُتب في التوراة وما كتب عن التوراة والأنبياء وبني إسرائيل نجد أنفسنا في إطار منهج ثالث. ليس هو منهج التوراة المحرفة الملفقة وليس هو منهج الباحثين الذين يستبعدون الأحداث وينسبونها لجغرافية أخرى. إن المنهج المتبعة في رؤيتنا هو المنهج المستند إلى مقارنة الأديان، فأمامنا القرآن الكريم وأمامنا التوراة التي يعتقد اليهود أنها كلام الله.

ففي التوراة قصص وتاريخ وأساطير وتشويهات وتناقضات وجغرافياً ونفوس وبشر، وفي القرآن الكريم حديث مطول عنبني إسرائيل توقف عنده لنقله كلمتنا في التوراة المحرفة، في شخصياتها. في جغرافيتها. في تاريخها وعقائدها، وخرافاتها وأساطيرها.

ونعتقد أن غايتنا الكشف الحقيقى عن شخصية النبي موسى عليه السلام لا كما قالت التوراة بل كما قال الله سبحانه في قرآن، فالنبي موسى يقع في دائرة النبوة التي تحوى الأنبياء جميعاً، وهونبي موحد جاء لقوم وثنين، وعانى منهم ما عانى طوال عشرات السنين حتى ملّ منهم أخيراً، فدعا الله أن ينجيه منهم ويُمْيِتَه لثلا يظل بينهم.

إن ما يهمنا في هذا البحث كشف حقيقة التأليف التوراتي وعدم تدخل اليد الإلهية فيه، ومادام الأمر كذلك فإن شخصية النبي موسى عليه السلام وعلاقته ببني إسرائيل هي علاقة سيئة إلى أقصى درجاتسوء. وهذا ما سنكتشفه عندما نضع نصوص التوراة تحت الضوء وفي المقياس المنطقي العقلافي الذي نجده في القرآن الكريم.

إننا نعتقد أن تخلص الأنبياء من براثن اليهود، وخاصة إبراهيم وإسحق وبיעقوب وموسى وداود وسلیمان والمسيح، سيجعلهم عراة في الدين والعقيدة وسيجعلهم مكشوفين على حقيقتهم الفاسدة.

و ساعتين سترى أن الأساس الدينى الادعائى سيسقط وتسقط معه حججهم الكاذبة بأن الله وعد أنبياءهم بأرض فلسطين. فهو لاء اليهود ليس لهم علاقة بهؤلاء الأنبياء وهم ليسوا على دينهم، وليسوا على سلوكهم، إنما هم منحرفون وجدوا أنفسهم فارغين ليس لهم سند ديني فإذا بهم ينسبون أنفسهم إلى هؤلاء الأنبياء زوراً وبهتاناً على الرغم من تشويهاتهم لهم ولحياتهم وسلوكهم ونبوتهم.

وهذا ليس كلاماً عاطفياً دينياً، إنما هو واقع سزاه من خلال تحليل النص التوراتي، والنarrative القرآني، ومن خلال الدراسات المتعددة في الإطار النفسي والتاريخي والجغرافي واللغوي والاجتماعي والسياسي.

ولابد لنا من القول هنا: إن البحوث التي تناولت جغرافية الحدث الإسرائيلي على أنه في شبه الجزيرة العربية في الحجاز أو اليمن لا يعفينا من دحض مزاعم النص التوراتي المحرف وإسقاطه من دائرة الموثوقية، ولا يعفينا من إنصاف الأنبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم ويتمنى أنهم وقعوا تحت دائرة التشويه التوراتي.

والنبي موسى عليه السلام هو الأكثر أهمية بالنسبة لبني إسرائيل والأطول حياة بينهم لذلك كان لابد لنا من تتبع مسيرة حياته يوماً بيوم. نقارن النص التوراتي

بالنص القرآني لندرك الحقائق الثابتة التي لا تนาزع العقل والمنطق ولا التحليل العقلي والمنطقي.

إن منهجنا في هذه البحوث يستند على مبدأ راسخ هو أن أنبياء الله الذين ذكروا في القرآن الكريم وتناولت التوراة بعضهم هم أنبياؤنا ونحن أحق بالدفاع عنهم وعن رسالاتهم التوحيدية التي تكمل بعضها بعضاً.

فمنهج التوحيد لدى الأنبياء جميعاً هو منهج واحد، غايته هداية الناس إلى الدين القويم وليس غايته العنصرية والقتل والاحتقار ببني البشر، وتصنيفهم في طبقات عنصرية مقيدة، كما يقول التوراتيون التلموديون المنحرفون.

لقد وقع بعض الباحثين في فخ النص التوراتي فراحوا يشتمون الأنبياء ويرددون ما قالته التوراة عنهم، حتى ظنوا أن موسى العليّة قائد عسكري دموي يقود جماعات متختلفة إلى الحروب والقتل، وقالوا عنه إنه العنصري التوراتي الأول.. إلخ، ونحن نعتقد أنه كان عليهم أن يراجعوا ويتدبروا النص القرآني ليروا أن ما قاله التوراة ليس سوى خرافات وليس سوى أوهام وتشويهات كتبها عزرا الكاتب وعدل فيها المنقحون الكتبة من فريسيين وتلموديين فزادوا التشويه تشويهاً والكذب كذباً، والأوهام أوهاماً.

ورب قائل يقول: إن كثيراً من المتشابهات تقع بين التوراة المحرفة والقرآن الكريم وخاصة في قصص الأنبياء فماذا يعني ذلك؟.

نقول في هذا المنحى: إن جمع أخبار بني إسرائيل من أفواه الإسرائييلين على يد عزرا الكاتب خلط بين أجزاء صحيحة وأخرى وهمية وقد غالب على هذه الأخبار ما هو ملتف ومشوّه، ولاشك أن بعض الأجزاء الصحيحة تتناقض مع قصص القرآن في الأحداث التي لا يحدد تاريخها القرآن الكريم لأنه ليس كتاب تاريخ، بينما الكاتب يضع تواريخ متناقضة، فيقع في مطب الوهم والتخيّل ظناً منه أن لا أحد يستطيع مناقشته باعتباره كلاماً موحى به من الله حسب زعمه وحسب ادعاءات أصحابه.

الفصل الأول

النبي موسى عليه السلام
من الولادة إلى الشباب
واهراب إلى مدين

بنو إسرائيل بعد يوسف عليه السلام

تورد التوراة - في بدء سفر الخروج باختصار شديد - حديثاً عن بنى إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر مع أبيهم يعقوب.

فتقول: «وهذه أسماء بنى إسرائيل الذين جاؤوا إلى مصر مع يعقوب جاء كل إنسان وبنته، رأوبين، وشمعون، ولاوي، ويهودا، ويساكر، وزبانون، وبنiamin، ودان، ونفتالي، وحاد، وأشير، وكانت جميع الخارجين من صلب يعقوب سبعين نفساً، ولكن يوسف كان في مصر، ومات يوسف وكل إخوته وجميع ذلك الجيل وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً، وامتلأت الأرض منهم».

ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه: هودا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلم نتحال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض، فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بآثاهم فبني الفرعون مدحبي خازن فيشوم ورعمسيس ولكن بحسبها أذلوهم هكذا نموا وامتدوا فاختشوا من بنى إسرائيل فاستبعد المصريون بنى إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل». سفر الخروج: 1-14.

قبل أن نتابع في قراءة النص التوراتي نتوقف مع هذا النص الذي أوردهناه لكي نتبين بعض الحقائق، ونرد على الأوهام التوراتية.

في بضعة سطور تقول التوراة إن الذين دخلوا مصر أيام وجود يوسف عليه السلام فيها بلغوا سبعين شخصاً كلهم من صلب يعقوب، وتقول التوراة إن جميع ذلك الجيل مات في مصر.

أما بنو إسرائيل من الأولاد والأحفاد وأحفاد الأحفاء فقد كثروا جداً في أرض مصر، وامتلأت بهم الأرض.

ثم تقول: إنَّ الملك المصري قال إنْ بني إسرائيل شعب أكثر من أي أكثر من المصريين قوله أكثر منا - توحى أنَّ إسرائيل أصبحوا أكثر من المصريين. فكيف يصح هذا؟ هل المصريون لا يتولدون؟ أم أنَّ بني إسرائيل جلبوا إليهم غيرهم حتى صاروا أكثر عدداً.

ثم إذا كانوا أكثر من المصريين كيف استطاع المصريون أن يستعبدوهم ويسيخروهم، ألا يستطيعون المقاومة؟.

بالطبع هذا الكلام غير صحيح لأنَّ بني إسرائيل لم يصبحوا أكثر من المصريين ولا في أي زمان من الأزمان.

ثم تقول التوراة إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويخاربوننا ويصعدون من الأرض فأي أعداء هؤلاء الذين حذر منهم الفراعنة؟.

أما حقيقة الحدث التاريخ فهي حسب المصادر تقول:

إن النبي يوسف عليه السلام عندما كان في مصر كان يخدم الملوك الهاكسوس الذين احتلوا شمال مصر وانكفاء الفراعنة إلى الجنوب. وعندما استطاع الفراعنة طرد الهاكسوس راحوا يتقمون من بني إسرائيل لأنهم اعتبروهم متعاونين مع الهاكسوس، وبهذا المعنى يرى الفراعنة أن بني إسرائيل لعبوا دوراً سليماً في حياة المصريين، وراحوا يتقمون منهم لا بسبب خوفهم من وُهُمِ كثريتهم إنما انتقاماً منهم لدورهم.

وفي الفقرات من 15 - 22 حديث عن أمر الفرعون للقابلات اللواتي يعملن لتوليد نساء بني إسرائيل بأن يخبرن عن أي مولد ذكر حتى يطرح في النهر. وتتحدث هذه الفقرات عن إخفاء حالات كثيرة من الولادات حتى نها الإسرائييليون وكثروا جداً.

وقد ورد ذلك بشكل عام في القرآن الكريم حيث تحدث الآيات عن قصة قتل الفرعون للأولاد الذكور من بني إسرائيل.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَوحَيْنَا لَكُم مِّنْ إِلَيْنَا فِرْعَوْنَ يَسُوْمُونَكُمْ سُوْءَ الْعَذَابِ يُذْهِبُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيُسْتَحْيِونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (سورة البقرة، الآية: 49). عند ذلك يتنهى الإصلاح الأول من سفر الخروج ليبدأ الإصلاح الثاني الذي يبدأ الحديث عن النبي موسى عليه السلام.

يقول الإصلاح الثاني: «ذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي فحبلت المرأة وولدت ابناً، ولما رأته أنه حسن خبائثه ثلاثة أشهر، ولما لم يمكنها أن تخبيئه بعد أخذت له سقطاً من البردي وطلته بالحمر والزفت، ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر، ووقفت أخته من بعيد لتعرف ماذا يفعل به.

فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغسل وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر فرأت السقط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته ولما فتحته رأت الولد، وإذا هو صبي يبكي فرققت له وقالت: هذا من أولاد العبرانيين فقالت أخته لابنة فرعون هل أذهب وأدعوك لك امرأة مرضعة من العبرانيات لترضع لك الولد، فقالت لها ابنة فرعون اذهبني، فذهبت الفتاة ودعت أم الولد فقالت لها ابنة فرعون اذهبني بهذا الولد وأرضعيه لي وأنا أعطيك أجراً لك فأخذت المرأة الولد وأرضعه، ولما كبر الولد جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابناً، ودعت اسمه موسى، وقالت: إني انتشلته من الماء» (الإصلاح الثاني: 1 - 10).

إلى هنا يكتفي كتاب التوراة بالحديث عن موسى الطفل، وهو حديث عادي ليس له أي معنى أو اختصار شديد لقصة طويلة، فحبلت وولدت وخيّلاته، ووضعته في سقط والتقطته ابنة فرعون وتبتنته ثم تخرج أخته فجأة وتخضر له مرضعة (وهي أمه ثم يكبر ويعاد إلى ابنة فرعون فيصير لها ابناً وتسميه موسى).

وهنا نتوقف عند النص القرآني لنقارن الحديثين المفترقين وما دار حولهما من أمور.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْنَاهُ أُمَّكَ مَائُوبَةٍ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدَفَهُ فِي الْيَرِ قَلَّا لِفَهِ الْيَمْ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوُّهُ وَعَدُوُّهُ وَلَقِيتُ عَلَيْكَ مَحْبَّةً﴾ (٢٨).

مَنِيَ وَلِصُنْعَ عَلَى عَيْفِيٍ ﴿٣٦﴾ إِذْ تَمَشَّى لِخُكْتَ فَتَقُولُ هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ، فَرَجَعْتَكَ إِلَى أُمِّكَ كَنْفَرَ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿٣٧﴾ (سورة طه: 37 - 40).

ويقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْنَاهُ أُمَّ مُوسَى أَنَّ أَطْرَعِيهِ فَإِذَا حَفَتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَاطِهُهُ مَالِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونُ لَهُمْ عَدُوًا وَحَرَثَنَا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَنَ وَجَهْوَدَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قَرَأْتُ عَيْنَ لِي وَلَكَ لَا نَقْتُلُهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَهُ وَلَدَأَوْهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فَوَادُ أُمَّ مُوسَى فَرَيْظًا إِنْ كَادَتْ لَتُبَدِّي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبِّنَا عَلَى قَلْبِهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِّيَّةَ فَبَصَرَتِ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَثَنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ تَصْحُورُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدَنَاهُ إِلَيْ أُمِّهِ كَنْفَرَ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنْ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ (سورة القصص: 7 - 13).

قصة ولادة موسى وإرضاعه وإلقائه في اليم أي نهر النيل ثم إعادته إلى أمه لترضعه ويتربي في حضنها وردت في أكثر من موضع في القرآن الكريم.

ومن الواضح أن هناك فروقاً شاسعة بين رواية التوراة وكلام الله في القرآن الكريم، وهناك في النص القرآني أمور أخرى لا بد من مناقشتها.
إن النص التوراتي يفتقد تماماً إلى العنصر الآخر أي العنصر الغيبي، يفتقد للتدخل الإلهي في القصة كلها.

ولنس مع النص التوراتي جزءاً جزءاً. أولاً لا ندرى ما هي شخصية أم موسى الشقيقة، فهي امرأة عادية من سبط لاوي - حسب قول التوراة - تزوجت وحملت ولدت، وهذا الولد عادي جداً ليس الله أى علاقة باصطفائه وليس الله أى علاقة بنجاته، وإكرام أمه بعودته إليها، والسؤال المطروح هنا كيف تتجراً أم أن تلقي بابنها في النهر، وهو موجود في سقط من البردي؟، ثم كيف استمر صبرها بعد أن ألقته في الماء؟ ماذا يمكن أن يكون شعورها وتصرفها الانفعالي حيال ولدتها الذي أُلْقى في النهر؟.

أربعة أسطر من الإصلاح الثاني تختصر زمناً طويلاً وأحداثاً تحتاج إلى ترتيب وتفكير، لكن التوراة التي ألفها عزرا الكاتب عبارة عن روايات مختصرة، حفظها بعض كهنة بني إسرائيل الذين لم يدخل الإيمان قلوبهم فلم يعرفوا أن الله سبحانه تدخل في ولادة موسى الطهارة وحياته ورحلاته وكتابه وموته. أو أنهم لا يعرفون بالتحديد كيف ولدت أم موسى ولدها وكيف جرى ما جرى من أحداث معه.

لنظر إلى النص القرآني ماذا يقول:

تبدأ القصة بـ «وَحِيٌّ» من الله لأم موسى أن أرضعيه، وكان من المفترض حسب فهمنا للنص الإلهي والأمره أن أم موسى أرادت أن تفعل شيئاً بابنها مع بدء ولادته خوفاً من فرعون الذي أمر بقتل أطفال بني إسرائيل، لكن الله سبحانه أوحى لها أن لا تفعلي أي سوء للطفل بل أرضعيه مطمئنة، فإذا خفت عليه أن يؤخذ منك ويقتل فألقيه في اليم، فلتتصور على المستوى البشري التناقض بين الخوف عليه والتخلاص من هذا الخوف بإلقائه في اليم.

ومرة أخرى فعل المستوى البشري من المفترض أن نقول لأم موسى إذا خفت عليه فاختفي في أي مكان غير مكشوف، ولا يمكن أن نقول لها إذا خفت عليه من النار فألقيه في اللهب.

ولكن على المستوى الإلهي تصبح المتناقضات متوافقات. الله سبحانه يوحى لها، ووحي الله ليس كمثله شيء، فهو الله سبحانه الذي يدبر الأمر بيده، وأمره نافذ لو عارضت المخلوقات كلها، والله سبحانه له مخططه في علمه المسبق وهذا المخطط لا دخل للبشر فيه.

لقد أوحى لها وهو يعرف أن أم موسى الطهارة مؤمنة ويقيتها بالله قوي وقد نفذت أمر الله فوضعته في تابوت - صندوق - وألقته في اليم، وما كادت تفعل حتى اشتغلت النار في قلبها ووجданها، لكن الله سبحانه طمأنها زيادة في الاطمئنان والثقة، ولا تخافي ولا تخزني سترده إليك وسنجعله من المرسلين، طمأنها وبشرها بأنه بعد أربعين سنة سيكون موسى الطهارة نبياً مرسلاً، فما هذه البشرى التي تمت عبر الزمن من أربعين سنة؟.

وزاد في ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ قُوَادُ أُمَّةٍ مُّؤْمِنَ فَرِيقًا إِنْ كَانَتْ لَتَبْدِي
بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ كَا لِتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة القصص: 10).
وعلى الرغم من الاطمئنان ظلت نار الأمومة تشتعل في قلبها وجسدها
وكادت أن تصرخ وتتادي: ولدي... ولدي، ولكن الله ربط على قلبها فسكنـت
وهكذا أراد لها الله أن تكون من المؤمنين الموقنين.

ألقتـهـ فيـ الـيمـ وـصـبرـتـ،ـ حتـىـ التـقطـهـ آلـ فـرـعـونـ وـهمـ لاـ يـعـرـفـونـ شـيـئـاـ عـنـ
الـمـسـتـقـبـلـ لـأـنـهـمـ لـاـ يـعـرـفـونـ وـلـاـ يـعـلـمـونـ الغـيـبـ،ـ وـهـذـاـ الغـيـبـ يـقـولـ:ـ سـيـكـونـ مـوـسـىـ
الـقـيـضـيـ عـدـوـاـ لـفـرـعـونـ وـيـكـونـ فـرـعـونـ عـدـوـاـ لـهـ وـلـمـوـسـىـ الـقـيـضـيـ بلـ سـيـكـونـ أـمـاـ وـحـزـنـاـ
عـلـيـهـمـ لـأـنـهـ سـيـكـونـ الشـاهـدـ عـلـىـ مـأـسـاةـ فـرـعـونـ الـكـبـرـيـ وـهـيـ غـرـقـهـ وـجـنـودـهـ.

في النص التوراتي نرى أن بنت فرعون تبني موسى الـقـيـضـيـ بينما النص القرآـنيـ
يـقـولـ:ـ وـقـالـتـ أـمـرـأـتـ فـرـعـونـ قـرـتـ عـيـنـهـ لـيـ وـلـكـ لـاـ قـتـلـهـ ﴾ (سورة القصص: 9).
بـمـعـنـيـ أـنـ الـذـيـ تـبـنـيـ لـيـسـ اـبـنـةـ فـرـعـونـ إـنـهـ زـوـجـتـهـ،ـ وـالـأـمـرـ المنـطـقـيـ أـنـ اـمـرـأـ فـرـعـونـ لـمـ
يـكـنـ هـاـ أـوـلـادـ.ـ فـفـرـحـتـ بـهـ عـسـىـ أـنـ يـكـونـ وـلـدـاـ لـهـ بـالـتـبـنـيـ.ـ أـمـاـ روـاـيـةـ التـوـرـاـةـ فـهـيـ
مـخـالـفـ لـلـمـنـطـقـ وـالـعـقـلـ فـكـيـفـ تـبـنـيـ اـبـنـةـ فـرـعـونـ وـلـدـاـ وـهـيـ لـاـ تـعـرـفـ مـعـنـيـ الـأـمـوـمـةـ.
ماـ مـعـنـيـ أـنـ تـبـنـيـ الـبـنـتـ طـفـلـاـ لـيـكـونـ وـلـدـاـ لـهـ قـبـلـ أـنـ تـزـوـجـ وـتـعـرـفـ هـذـهـ الـمـعـانـيـ.

أـمـاـ بـالـنـسـبـةـ لـدـورـ أـخـتـهـ فـهـوـ التـرـقـبـ وـالـمـراـقبـةـ وـهـذـاـ وـرـدـ فـيـ التـوـرـاـةـ وـوـرـدـ فـيـ
الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ،ـ وـلـكـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ فـحـرـمـنـاـ عـلـيـهـ الـمـرـاضـعـ مـنـ قـبـلـ،ـ وـهـذـاـ
يـعـنـيـ أـنـ اـمـرـأـ فـرـعـونـ جـلـبـتـ مـنـ يـرـضـعـ مـوـسـىـ الـقـيـضـيـ فـأـبـيـ،ـ فـكـيـفـ أـبـيـ وـهـوـ مـاـ يـزـالـ
طـفـلـاـ،ـ وـالـطـفـلـ لـاـ يـعـيـ شـيـئـاـ وـلـاـ يـدـرـكـ وـلـاـ يـفـهـمـ سـوـىـ إـشـبـاعـ جـوـعـهـ،ـ لـكـنـ اللهـ
سـبـحـانـهـ يـنـفـذـ وـعـدـهـ،ـ وـيـرـتـبـ الـأـحـدـاـتـ كـلـهـاـ بـعـنـيـتـهـ،ـ فـقـدـ زـرـعـ فـيـ غـرـيـزةـ هـذـاـ الـطـفـلـ
أـنـ يـرـفـضـ أـيـ اـمـرـأـ تـرـيدـ إـرـضـاعـهـ حـتـىـ يـأـتـيـ دـورـ أـمـهـ،ـ وـهـنـاـ وـيـعـدـ أـنـ عـجـزـتـ اـمـرـأـةـ
فـرـعـونـ فـيـ إـيـجـادـ مـنـ يـرـضـعـهـ جـاءـتـ أـخـتـهـ وـقـالـتـ أـنـاـ أـدـلـكـمـ عـلـىـ مـنـ تـرـضـعـهـ.ـ وـهـنـاـ
يـأـتـيـ دـورـ أـمـهـ وـمـاـ كـادـتـ تـضـعـ ثـدـيـهـاـ فـمـهـ حـتـىـ يـبـدـأـ بـالـرـضـاعـةـ وـيـهـدـأـ،ـ فـهـوـ يـرـضـعـ
حـلـيـاـ مـزـوـجـاـ بـحـنـانـ الـأـمـ وـرـحـمـتـهـ وـشـفـقـتـهـ وـحـبـهـاـ حـتـىـ يـنـمـوـ بـشـكـلـ صـحـيـحـ لـاـ

شائبة فيه، فهو منذ البدء مهياً كي يتربى جسدياً وعاطفياً بشكل صحيح، ليكون في المستقبل ذلك النبي المرسل صاحب الكتاب الأول من الكتب السماوية.

لقد رُدَّ موسى القطّل إلى أمه لأسباب أرادها الله ولغايات حددتها. رده إليها لنقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق، ذلك الوعيد الذي وعدها به عن طريق الوحي.

ولكن أكثرهم لا يعلمون، نعم لأن الذين كتبوا التوراة لا يعلمون ما الذي حدث، لذلك كتبوا ما هو ناقص جداً عن موسى القطّل وأمه وقصته الأولى مع آل فرعون.

افتراضات وتعقيبات

1 - هناك إجماع على أن موسى عليه السلام تربى في قصر فرعون، ولاشك أن من يتربى في أسرة سنوات طوال لابد أن يتمثل عاداتها ويتعلم لغتها، فلغة موسى عليه السلام التي تعلمها هي اللغة المصرية. كذلك كان أبناء قومه من بنى إسرائيل ولم يثبت قطعياً أن ما يسمى اللغة العبرية كانت موجودة آنذاك.

2 - طالما أن أمه أرضعته حتى فطم، فقد كانت تعرف تماماً تطورات حياته خاصة أن مدة رضاعته منحت أمه القرب من زوجة فرعون، وهذا القرب مستمر لترعى لها الصبي موسى عليه السلام.

3 - كان فرعون وزوجته والحاشية يعرفون أن هذا الولد هو من بنى إسرائيل وليس مصرياً، وكذلك أهل موسى عليه السلام يعرفون أنه ابنهم وليس ابن فرعون أو زوجته.

4 - يشير القرآن الكريم إلى أن امرأة فرعون كانت مؤمنة موحدة، ويقول تعالى في ذلك: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ أَمْتُوا أَمْرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّيَ أَنِّي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَلَا يَخْفَى مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَّالِهِ، وَلَا يَخْفَى مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة التحريم: 11).

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو هل امرأة فرعون هي التي ربّت موسى عليه السلام أم المقصود امرأة فرعون آخر؟.

والواقع أن غالبية المفسرين يقولون إن امرأة فرعون هي نفسها التي ربّت موسى عليه السلام، ويقولون أن اسمها آسيا بنت مزاحم.

موسى مرحلة جديدة/محطة ثانية

تقول التوراة: «وحدث في تلك الأيام لما كبر موسى أنه خرج إلى إخوته لينظر في أثناهم فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عراانياً من إخوته فالتفت إلى هنا وهناك، ورأى أن ليس أحد فقتل المصري، وطمره في الرمل، ثم خرج في اليوم الثاني وإذا رجلان عراانيان يتخاصمان فقال للمذنب لماذا تضرب صاحبك؟ فقال من جعلك رئيساً وقاضياً علينا أمفتكر أنت بقتلي كما قتلت المصري، فخاف موسى وقال حقاً قد عُرف الأمر. فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يقتل موسى فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر». (الخروج: الإصلاح الثاني: 11-15).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُ، وَاسْتَوَىٰ مَا نَيْتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ تَغْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴾١٦﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينَ غَفَلَةِ مَنْ أَهْلَهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَلَانِ هَذَا مِنْ
شِيعَتِهِ، وَهَذَا مِنْ عَلَوْفِهِ فَاسْتَغْنَمَهُ اللَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ، عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ
هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَأَغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ
هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّي إِمَّا أَغْفَمْتَ عَلَىٰ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾١٩﴾ فَاصْصَحَّ فِي
الْمَدِينَةِ خَلَفِيَّا يَرْقُبُ فَإِذَا اللَّذِي أَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغُوَّيٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠﴾ فَلَمَّا
أَنْ لَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَنْمُوسَىٰ أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ
إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢١﴾ وَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ
يَنْمُوسَىٰ إِنِّي أَمَلَأُ أَيْمَانِهِنَّ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرُجْ إِلَيْكَ مِنْ أَنْتَصِحِينَ ﴿٢٢﴾ فَرَجَعَ مِنْهَا خَلَفِيَّا
يَرْقُبُ قَالَ رَبِّي يَخْيِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٣﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينَتِهِ قَالَ عَسَىٰ رَبِّتَ أَنْ يَهْدِيَنِي
سَوَاءً مَا لَسْبِيلِ ﴾٢٤﴾ (سورة القصص: 14 - 22).

نعتقد أن الإطار العام في القصد واحد. ولكن في القرآن أموراً لم تذكرها التوراة، منها أن موسى عليه السلام وكرّ المشرك فقتله، والوكرز ليس بالضرب القاتل، ولكن إرادة الله نفذت الأمر. لذلك تعجب موسى عليه السلام من هذا الذي جرى،

فاستغفر ربه، وقد أخبره رجل إن آل فرعون يتآمرون كي يقتلوه، فهرب من المدينة هائماً على وجهه وقال العديد من المفسرين إن موسى عليه السلام عندما وكر المشرك وقتله لم يكن قد كلف بالرسالة ولم يكن قد بُعث بالنبوة، وعلى الأرجح أن موسى عليه السلام في ذلك الوقت كان شاباً لم يبلغ الثلاثين من عمره، وقد علمه سبحانه وتعالى الحكمة وبعض العلوم.

وقد افترض بعض المفسرين أن موسى عليه السلام كان في الأربعين من عمره وأنه كلف بالنبوة ولكن هذا القول بعيد عن واقع الأحداث ويعيد حتى عن طبيعة شخصية النبي موسى عليه السلام وهو في مثل هذا الحدث الذي فيه قتل نفس وفيه هروب، الهروب إلى مدين.

أين هي مدين؟ ومن كان يسكنها؟، وكيف توجه موسى عليه السلام إليها؟.

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن أرض مديان كانت تند من خليج العقبة إلى موآب وطور سيناء وكان شعبها يتاجرون مع فلسطين ولبنان ومصر، ويُقال أنهم كانوا برفقة الإسماعيليين لما بَيَعَ يوسف عليه السلام، وكان الإسماعيليون من سكان مديان وسكن موسى عليه السلام مدة في مديان، والمنطقة التي تقع شرقى خليج العقبة تسمى الآن مديان.

وقد ورد في التوراة في سفر التكوين أن النبي إبراهيم كان قد تزوج بعد سارة وهاجر امرأة كنعانية اسمها قطورة وأنجبت له ستة أولاد.

تقول التوراة: «وَعَادَ إِبْرَاهِيمَ فَأَخْذَ زَوْجَهُ اسْمَهَا قَطُورَةَ فَوْلَدَتْ لَهُ زِمْرَانَ وَيَقْشَانَ وَمِدَانَ وَمِدِيَانَ وَيَشْبَاقَ وَشَوْقاً». تكوين ٢٥: ١ - ٢.

هؤلاء الأبناء انتشروا في مناطق الأردن وشبه الجزيرة العربية، ومديان سكن قريباً من خليج العقبة أو شرقها، وأنجب وكثر نسله وُسميت المنطقة باسمه - مديان - أو مدين. وعندما ننظر إلى قصة النبي شعيب ندرك أنه كان في مدين، وهذا ما جاء في القرآن الكريم، وشعيب النبي مرسلاً ظهر بعد لوط وقومه، بمعنى أن شعيباً ابن المنطقة، وتدل دراسة حياة الأنبياء أن شعيباً هو ابن مديان أو حفيده. ويعود إلى إبراهيم عليه السلام. حيث من المحتمل أن يكون جده أو والد جده.

وما بين ظهور النبي موسى عليه السلام وبين إبراهيم عليه السلام حسب التقديرات الأولى حوالي 650 - 700 سنة.

وما بين إبراهيم وشعيب لا يتجاوز المئة والخمسين سنة، إذ أن شعيباً يشير إلى ما حلّ بأقرب سبب إليه وهم قوم لوط، وعلى هذا لا يمكن أن يكون شعيب قد عاصر موسى عليه السلام وصاهره.

ولكن المؤكد أنه بعد أن عاقب الله قوم شعيب بقيت بقية صالحة من قومه ونسله، وهذه البقية ظلت في مدين وأطرافها وجلّهم من رعاة الأغنام، وعندما قدم موسى عليه السلام إلى مديان أو مدين وجد الرعاة يسقون أغناهم ومن بينهم فتاتان لشيخ صالح كان يسكن في مدين وليس له أولاد بل له بنات.

والmediانيون قبائل انتشرت شرقى الأردن وكانت لهم علاقات قوية مع أولاد عمومتهم من بني إسرائيل وجميعهم يتسبون إلى العرب المستعربة. تقول التوراة: «وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر». (الخروج: الإصلاح الثاني: 15).

وتقول: وكان لكاهن مديان سبع بنات فأتينَ واستقينَ وملاآنَ الأجران ليستقينَ غنم أبيهنَ فأتى الرعاة فطردوهنَ فنهض موسى وأنجدهنَ وسقى غنمهمَ فلما أتى إلى رعوئيلَ أبيهنَ قال ما بالكَنْ أسرعنَ في المجيءِاليوم. فقلن: رجل مصرى أتقذنا من أيدي الرعاة وإنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم، فقال لبنيه: وأين هو؟ لماذا تركتنَ الرجل؟ ادعونه ليأكل طعاماً، فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل فأعطي موسى صفورة ابنته فولدت ابناً فدعا اسمه جرشوم لأنه قال كنت نزيلاً في أرض غريبة، وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات، وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا، فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية، فسمع الله أنينهم فذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب ونظر الله بني إسرائيل وعلم الله». (الخروج: الإصلاح الثاني: 16 - 25).

ويقول تعالى في قوله الكريم: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَيْنَهُ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ أَمْرَاتٍ تَذَوَّلُنَّ قَالَ مَا خَطَبُكُمْ كَمَا قَالَتَا لَا شَقِيقٌ حَقَّ يُصْدِرُ الْعِكَاءُ

وَأَبُونَا شِيفْ كَيْرٌ ﴿٢﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثَمَّ تَوَلَّتْ إِلَى الظَّلَلِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٣﴾ بَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَسْتَغْيِيَهُ قَالَتْ إِبْرَاهِيمَ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصْصَ قَالَ لَا تَخَفْ طَبَّجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاتَّبِعِي أَسْتَغْيِرُهُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَسْتَجْرَتِ الْقَوْمَ الْأَمِينَ ﴿٥﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَتِي هَذَيْنَ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَاجٌ فَإِنَّ أَتَمَّتَ عَشَرَ فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقَى عَلَيْكَ سَكَّاجِدُفْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْعَصْلَاحِينَ ﴿٦﴾ قَالَ ذَلِكَ يَبْتَغِي وَيَبْتَأْسِي أَيْمَانَ الْأَجَلَلِيَّ قَضَيْتُ فَلَا عُدُونَ عَلَى اللَّهِ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ﴿٧﴾ (سورة القصص: 23 - 28).

ومن الواضح أن هناك اختلافاً بين رواية التوراة وما جاء في القرآن الكريم.

- 1 - كاهن مديان له سبع بنات في التوراة، وله بنتان في القرآن.
- 2 - اسم كاهن مديان رعوئيل في التوراة، ولم يرد اسمه في القرآن الكريم.
- 3 - كاهن مديان رجل عادي في التوراة، وفي القرآن هو شيخ صالح.
- 4 - في القرآن عهد بين موسى النبي والرجل الشیخ على تزويجه ابنته مقابل 8 - 10 سنوات وهذا لم يرد في التوراة.
- 5 - تلد له زوجته صفورة ابناً، لكن ذلك لم يرد في القرآن.

بعد هذه الإطالة لابد أن تتوقف عند العديد من الأسئلة:

- 1 - ما المسافة الفاصلة بين أرض جاسا المصرية التي كان يسكن فيها بنو إسرائيل وبين أرض مدين.
- 2 - من أي الطريق ذهب موسى النبي للوصول إلى مدين؟ هل طريق خليج السويس بالاتجاه الجنوبي، ثم ذهب في خليج العقبة حتى وصل مدين، أم أنه اتخذ الطريق البري الصحراوي؟.
- 3 - لماذا كانت مدين المنطقة التي اختيرت لتكون ملجاً لموسى النبي? وهل تم ذلك باختيار من قبل موسى النبي أم الله يد في هذا الاختيار؟.
- 4 - أهل مديان من العرب ولغتهم العربية، وموسى النبي مكت عندهم عشر سنوات وتزوج منهم امرأة عربية وأنجب منها، فهل أصبحت لغته العربية؟

وهل نسي لغة المصريين؟، وهل لهذا علاقة باختيار موسى لأخيه هاورن كي يتحدث عند فرعون لأنه أفعى من؟.

5- هل تعلم موسى النبي شيئاً من العقيدة عن طريق صهره الشيخ؟ وإذا ثبت ذلك فهل لهذا علاقة بتمهيد موسى النبي وتربيته لكي يتلقى الرسالة؟.

6- ما الإشارات الدالة على أن الشيخ رجل صالح؟ وهل أصحاب المفسرون بقولهم: إنه هو النبي شعيب النبي أم أنهم أخطأوا في ذلك؟.

س 1+2: عندما نظر إلى الخريطة التي تحدد موقعبني إسرائيل في جasan وكذلك صحراء سيناء وخليج السويس ثم خليج العقبة قرب مدين، نرى أن النبي موسى النبي سلك أحد الطريقين للوصول إلى مدين، إما أنه ركب سفينة من خليج السويس ونزل جنوباً ثم دخل خليج العقبة وهناك نزل إلى مدين، أو أنه سلك طريقاً صحاروياً عبر سيناء حتى وصل إلى شمال خليج العقبة، ومن هناك ذهب إلى أرض مدين.

إن المسافة الفاصلة بين المنطقتين طويلة وشاقة وتصل إلى حدود 250 ك.م، وهي منطقة وعرة جداً، ويبدو أن موسى النبي أراد أن يهرب من وجه فرعون وجندوه الذين يلاحقونه أينما وجد، لكنه اختار منطقة بعيدة جداً عن أرض الفراعنة حيث يأمن على نفسه من بطشهم ونعتقد أن إرادة الله تدخلت في ذلك، حيث اختار موسى النبي الطريق الصحراوي الذي سيكون مستقبلاً الطريق الذي يسير فيه بنو إسرائيل، فموسى النبي بعد رحلته أصبح يعرف شيئاً عن المنطقة ومداخلها وجابها ووديانها، وعندما يحدث الخروج سيقودهم موسى النبي عبر هذه الصحراء، وستكون الصحراء مسرح الأحداث القادمة والتي ستستمر عشرات السنين إضافة إلى تلقي الرسالة هناك.

س 3: لماذا كانت مدين المنطقة التي اختيرت لتكون ملجاً للنبي موسى النبي، على الرغم من وجود مناطق أخرى في شمال سيناء أو جنوبها مسكونة من قبل البشر؟.

من المؤكد أن مدين منطقة عربية يسكنها شعب عربي موزع على قبائل صغيرة يجمعها اسم واحد وهو اسم المديانيين، ومن المؤكد أن أول نبي ارتبط بهذه المنطقة هو شعيب النبي. ومن تبقى من قوم شعيب النبي ظلوا يسكنون في جوانب المنطقة

ومنهم أناس صالحون ظلوا على عقيدة التوحيد، كالرجل الشیخ الذي زوج ابنته من موسى الصلیل، ومديان من الناحية الجغرافية بعيدة عن متناول الفراعنة، فهي في أرض ليست من مناطق نفوذهم ولا سلطة لهم عليها بينما العديد من مناطق سيناء كانت خاضعة للفراعنة وجيوشهم متواجدة فيها وهي خطر على النبي موسى الصلیل الذي أراد الله له أن يكمل رحلته ورسالته.

س 4: بعد مكوث النبي موسى الصلیل في مدین عشر سنوات هل تعلم العربية وأصبحت لغته ونبي أكثر مفردات اللغة التي كان يتكلم بها عند المصريين؟
من المؤكد أنه لا وجود للغة عبرانية آنذاك، ومن المفترض أن يعقوب الصلیل عندما ترك أرض كنعان هو وأولاده كان يتكلم لغة كنعان وهي جزء قديم من اللغة العربية، وعندما استقروا في منطقة جasan قرب النيل ظلوا حافظين على لغتهم الكنعانية التي كانوا يتحدثون بها ومن الممكن أنهم تعلموا اللهجة المصرية خلال وجودهم الذي دام حوالي 231 سنة، وعندما ظهر النبي موسى الصلیل كان قد تعلم لغتين، أو لهجتين، لهجة قومه وهي لهجة أهل كنعان، ولهجة المصريين، وعندما جاء إلى مدین قويت لغته الأصلية، وتعلم لهجة أهل مدین، وهي لهجة ليست بعيدة عن لهجة أهل كنعان، بمعنى أن اللغة التي صارت ملك لسان النبي موسى الصلیل هي اللغة العربية المديانية الكنعانية، وعشر سنوات كفيلة للنبي موسى الصلیل أن يتكلم بلغة أهل مدین وهي العربية.

س 5 + 6: من هو الشیخ الذي التقى به النبي موسى الصلیل في مديان وهل تعلم منه شيئاً من العقيدة؟ ولماذا اختاره ليكون زوجاً لابنته؟.
عند السؤال الخامس والسادس نتوقف قليلاً لنستوضح الكثير من الأشياء.
في التوراة يرد اسم صاحب مديان على أنه تارة رعوئيل وتارة يثرون.
فتقول في ذلك: «فلما أتین إلى رعوئيل أبيهنّ»، وتقول في الإصلاح الثالث:
«وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان».

ولا ندرى أية اسمه، لكن قاموس الكتاب المقدس يقول: يثرون اسم مديانى معناه فضل، كاهن مديان وهو موسى، ويدعى أيضاً راعي إيل أو خليل ويظهر أن هذا الاسم كان اسمه الشخصى ويثرون لقب شرف أطلق عليه، ويرجح أن يثرون من نسل إبراهيم وقطرة^(١).

أما في القرآن الكريم فقد ذُكرت مدین عشر مرات واقترن بالحديث عن قوم شعيب الشفاعة، وعندما ندرس هذه الآيات نجد الكثير من المفاتيح التي توصلنا إلى حقائق جمة.

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مَدِينَ أَخَاهُمْ شَعِيبًا قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَنِي كُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْزَلُوكُمْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كَنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾٤٦﴾ وَلَا تَقْعُدُوا يَكُلُّ صَرَطٍ نُوَعِّدُونَ وَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ أَمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عَوْجًا وَذَكَرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَبْلًا فَكَرَرُوكُمْ وَأَنْظَرُوكُمْ كَيْفَ كَانَ عَنْقَبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ أَمْنَوْا بِالَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَرَبِّيَّهُمْ فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بِيَنْسَأَ وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ أَسْتَكَبُرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبَ وَالَّذِينَ أَمْنَوْا مَعَكَ مِنْ قَرِبَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مَلَيْنَا قَالَ أَوْلَوْ كَانَ كَرِهِينَ ﴿٤٩﴾ قَدْ أَفْتَرَنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدَنَا فِي مَلَيْكُمْ بَعْدَ إِذْ بَحَثَنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودُ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَسْأَمَ اللَّهُ رِبُّنَا وَسَعَ رِبُّنَا كُلُّ شَيْءٍ عَلَى اللَّهِ تَوْكِلَنَا رِبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُثْبِتِينَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ الْمَلاَئِكَةُ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَبْعَثْ شَعِيبًا إِنَّكُلُّ دَا لَخَيْرِهِنَّ ﴿٥١﴾ فَأَخْذَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَحَشِينَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيبًا كَانُوا لَمْ يَقْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شَعِيبًا كَانُوا هُمُ الْخَسِيرِينَ ﴿٥٣﴾ فَنَوَّلَ عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومُ لَقَدْ أَبْلَغْنَكُمْ رِسْلَتِي رَبِّي وَنَصَّحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ مَاءَسَ عَلَى قَوْمِكَفِيفَتَ ﴿٥٤﴾ (سورة الأعراف: ٩٤ - ٩٥).

(١) قاموس الكتاب المقدس، باب الباء.

وفي سورة هود تكرر القصة ولكن يضاف إليها أمر جدير بالاهتمام وهو قوله تعالى: ﴿ وَنَقَرُوا لَأَيْجِرٍ مِّنْكُمْ شَقَاقيٌ أَنْ يُصِيبَكُمْ كُلُّ مَا أَصَابَ قَوْمًا ثُرُجٌ أَوْ قَوْمٌ صَنَلْجٌ وَمَا قَوْمٌ لُّوطٌ مِّنْكُمْ بِيَعْيِدِهِ ﴾ (سورة هود: 89)، ﴿ فَوَلَمَّا جَاءَهُمْ نَبَيْنَا شَعِيبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ (سورة هود: 98).

وتكرر الحديث عن النبي شعيب الشَّهِيدُ وقومه في سورة العنكبوت، وذكروا في آيات أخرى، وسور أخرى.

وهنا نتوقف قليلاً عند ما ورد في القرآن الكريم عن قصة موسى الشَّهِيدُ وجوده في مدين ولقائه مع والد الفتاتين.

يقول تعالى في سورة القصص: ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَقَّ يُصْدِرَ الْرِّعَامُ وَأَبُوكَا شَيْخٌ كَثِيرٌ ﴾ (سورة القصص: 23).

ويقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخْفَثْ بِحَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة القصص: 25).

ويقول تعالى: ﴿ سَتَجْدُفُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة القصص: 27)، ويقول: ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ﴾ (سورة القصص: 28).

من خلال الآيات التي تحدثت عن شعيب الشَّهِيدُ وقومه نرى أن النبي شعيباً الشَّهِيدُ يتحدث عن الأقوام التي سبق وجودها وجود قومه، فاستشهد بها حل بقوم نوح ثم هود ثم صالح، ثم قال وما قوم لوط عنكم بعيد.

وهذا الحديث يتتساوق مع التسلسل التاريخي لوجود هذه الأقوام، لكن الملفت للنظر أن قوم لوط على المستوى الجغرافي وعلى المستوى التاريخي هم الأقرب لقوم شعيب، فقوم لوط كانوا في سدوم وعامورة وهي منطقة البحر الميت، وقريبة كثيراً من منطقة مديان التي تقع شرق خليج العقبة، ولا تفصل بين المنطقتين مسافة بعيدة، أما استشهاده بقوم لوط وقوله وما قوم لوط منكم بعيد يدل على الحدث الذي أصاب قوم لوط لم يكن بعيداً في الزمن.

إن هذا يدلنا على أن قوم شعيب في مديان تواجدوا في المنطقة بعد قوم لوط مباشرة، وإذا أخذنا بقول قاموس الكتاب المقدس فإن شعيباً هو ابن مديان،

ومديان ابن النبي إبراهيم من زوجته قطورة، وهذا يعني أن شعيباً وُجد في المنطقة معاصرأً ليعقوب وأولاده الذين ذهبوا إلى مصر واستقروا فيها.

وهذا يعني أن الشيخ الذي التقاه النبي موسى عليه السلام ليس النبي شعيباً، وعلى هذا يمكن أن نقول: إذا كان الزمن الفارق بين يوسف عليه السلام، وموسى عليه السلام حوالي 231 سنة فإن الفارق بين موسى عليه السلام، وشعيب عليه السلام لا يقل عن 250 - 300 سنة، ومن قال إن الشيخ هو شعيب ظن أن مدين هي الدليل على ذلك.

يقول ابن كثير: كان أهل مدين قوماً عرباً يسكنون مدinetهم مدين التي هي قرية من أرض معان من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز قريباً من بحيرة لوط، وكانوا بعدهم بمدة قريبة، ومدين قبيلة عرفت بهم القبيلة، وهم من بنى مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل وشعيب نبيهم^(١).

وروى ابن أبي حاتم وغيره عن الحسن البصري أن صاحب موسى عليه السلام هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبي صاحب مدين، وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب.

على أية حال لو كان صاحب موسى عليه السلام شعيباً لذكر ذلك في القرآن الكريم، فشعيب نبي بصرىع القرآن، بينما هذا الشيخ المدياني لم يصرح بنبوته، ولم يصرح بشيء عنه يدل على أنه رسول أونبي أو من أتباعنبي معين. وهناك بعض الآيات التي تشير إلى صلاح هذا الشيخ وذلك في قوله تعالى:
﴿لَا تَخْفَى نَبَوَّتَ مِنَ الْقَوْمَ أَقْلَمِينَ﴾ (سورة القصص: 25)، وقوله تعالى:
﴿سَتَحْدِثُ فِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة القصص: 27)، وقوله تعالى:
﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ﴾ (سورة القصص: 28).

موسى يتزوج عربية من مديان:

تقول التوراة: «فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل فأعطي موسى صفورة ابنته فولدت له ابناً فدعاه اسمه جرشوم».

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، المجلد الأول، ص 171.

وجاء في القرآن الكريم: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى أَبْنَتِي هَذَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْمُرَنِي شَفَاعَةً حَجَّاجٍ فَإِنْ أَتَمْمَتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشْقَى عَلَيْكَ سَجْدَةً فِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِ لِحَيْنَ﴾ (سورة القصص: 27).

تفق رواية التوراة مع القرآن الكريم في الإطار العام في قصة زواج النبي موسى عليه السلام بابنة شيخ مدین، والاختلافات تقع في طريقة الزواج وسببه.

في البداية تقول التوراة إن لكاہن مدین سبع بنات، والقرآن يقصّ علينا أنها ابیتان، وفي القرآن الكريم تفترس الشیخ في موسى عليه السلام فوجده عفيفاً قوياً مؤمناً، فأفراد تزوجه من ابنته، ويورد القرآن مسألة الأجر وهو العمل ثمانی سنین وکنی عليها بقوله حجج ومفرده حجة، أي ثمانی سنوات حسب التقویم القمری العربي. وقوله حجج يدل على أن مفردة حجة التي تستخدم في العربية كانت معروفة كمصطلح يدل على الحج إلى البيت الحرام، وباعتبار أن إبراهیم الذي سن هذا الفرض بأمر من ربہ فإن أتباعه ولاسيما العرب اتبعوا سنته في تأدية هذه الفرضية، وهذا يعني أيضاً أن الشیخ كان يعرف معنى حجة وحجج، وأن موسى عليه السلام كان يعرف ذلك أيضاً، لذلك لم تورد التوراة هذا الأمر لأنها تنكر وتخفى كما يخفى اليهود قصة الحقيقة حول النبي إبراهیم وبنائه الكعبة وفرض الحج على الناس.

ويمكن في هذا الإطار أن نسأل السؤال التالي: مدینان قریبة نسبياً من قلب الحجاز ومكة وأهل المنطقة من المؤمنين يعرفون الحج كفرض من أيام النبي إبراهیم، وموسی مکث عشر سنوات في مدینان، فهل من الممكن أن نفترض أن موسی قد ذهب إلى البيت الحرام ليحج وهي فرضية ارتباط بجده الأول إبراهیم عليه السلام؟. نعتقد أن الأنبياء جميعاً حجوا إلى البيت الحرام لأن غالبيتهم من أبناء وأحفاد إبراهیم وهم أولى الناس باتباع سنته وملته والطريق الذي رسمه.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن زوجة موسى عربية ولیست من بنی إسرائیل، وأن أولاده منها تربوا في بيئة عربية، والتشريع اليهودي يقول: (اليهودي من كانت أمه يهودية) لذلك نقول: إن أولاد موسى عليه السلام ليسوا من بنی إسرائیل وليسوا يهوداً.

الفصل الثاني

موسى عليه السلام
والنداء الالهي الأول
والصراع مع فرعون حتى الخروج

موسى عليه السلام والنداء الإلهي الأول

في هذا الفصل تبدأ مرحلة جديدة من حياة النبي موسى عليه السلام، وهذه المرحلة تحوي:

النداء الإلهي الأول لموسى، ثم توجهه خفية إلى أهله ومن ثم جداله مع فرعون الذي امتلاً بالأحداث السريعة حتى الأمر بالخروج من مصر إلى سيناء.

النداء الأول

تقول التوراة: «وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان، فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط علية فنظر وإذا العلية تتقد بالنار والعلية لم تكن تحرق فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لا تحرق العلية، فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العلية، وقال: موسى .. موسى، فقال: هأنذا، فقال: لا تقترب إلى هنا أخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة، ثم قال: أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله، فقال الرب: إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخرتهم، إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدتهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبناً وعسلًا، إلى مكان الكتعانيين والخشين والأموريين والغرزيين والحوين والبيوسين.

(خروج: الإصلاح الثالث: 1 - 8).

وتقول: فالآن هلّ فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر.

(خروج: الإصلاح الثالث: 10).

وتقول: حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل». (خروج: الإصلاح الثالث: 12).

هذا ما كان من النداء الإلهي الأول لموسى عليه السلام حسب رواية التوراة.

وللنظر إلى النص القرآني بماذا يخبرنا وكيف ساق القصة في سياق ديني إلهي نبوى متميز: ﴿ وَهَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ مُوسَى ⑨ إِذْ رَأَاهَا رَأْفَاقًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُنُوا لِي ۖ إِنِّي أَسْتَأْتُ نَارًا لَعْيَةً إِنِّي كُمْ مِنْهَا بَقِيبَسٌ أَوْ أَجِدُ عَلَى الْأَنَارِ هُدًى ⑩ فَلَمَّا أَنَّهَا نُودِيَ بِنَمْوَسَ ⑪ إِنِّي أَنْتَكَ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوَى ⑫ وَأَنَا أَخْتَرُكَ فَأَسْتَعِمُ لِمَا يُوْجَى ⑬ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدُهُ وَأَقِيمُ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ⑭ إِنَّ السَّاعَةَ إِنِّي أَكَادُ أَخْفِيَهَا لِتُجْرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ⑮ فَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَأَتَبْعَثُ هُوَنَهُ فَتَرَدَى ⑯ وَمَا تَلْكَ سَمِينَكَ بِنَمْوَسَ ⑰ قَالَ هِيَ عَصَائِي أَتَوْكَرُؤُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلَيْ فِيهَا مَغَارِبُ أُخْرَى ⑱ قَالَ أَقْرَهَا بِنَمْوَسَ ⑲ فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ⑳ قَالَ مُذْهَاهَا وَلَا تَحْفَ سَنْعِيْهَا سِيرَتَهَا أَلْأُولَى ⑲ وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءِ ءَايَةٍ أُخْرَى ⑳ لِزِيَّكَ مِنْ مَا إِيَّنَا الْكُبْرَى ㉑ أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ㉒ (سورة طه: 9 - 24).

وفي الآية 42 وما بعدها يقول: ﴿ أَذْهَبْ أَنْتَ وَلَخُوكَ بِتَابِيَّتِي وَلَا نَنِيَا فِي ذِكْرِي ㉓ أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ㉔ فَقُولَا لَهُ، قَوْلَا لِنَا لَعْلَهُ، يَسْدَكْرُ أَوْ يَحْسَنِي ㉕ فَالا رَبِّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَقْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ㉖ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ㉗ فَأَنِيَّهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولًا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ حِنْتَكَ بِتَابِيَّتِي مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ مَنْ أَتَبْعَ ㉘ الْمَهْدَى ㉙ (سورة طه: 42 - 47).

بعد إيراد النص القرآني بمقابل النص التوراتي، نجد أنفسنا وقد دخلنا في بحر من المعلومات وبحر من المعاني والظلال التي تمنحنا إياها آيات القرآن الكريم وتصحيح الأخطاء والتحريفات التي كثرت في التوراة إلى حد غير معقول. وبالمقارنة نرى الأمور التالية:

- 1 - موسى عليه السلام كان يرعى غنميه حين تجلّى الله سبحانه له من خلال النار الرازمة إلى قدرته، حسب نص التوراة.
- 2 - موسى عليه السلام كان يرافقه ابنه وزوجته حسب النص القرآني.
- 3 - المكان المقدس في التوراة الذي تجلت قدرة الله فيه هو جبل حوريب حسب التوراة.

- 4- المكان المقدس في القرآن الكريم هو الواد المقدس طوى.
- 5- تتفق التوراة مع القرآن في قول الله اخلع نعليك أو نعلك.
- 6- يقول رب موسى عليه السلام أنا إله آبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب حسب التوراة.
- 7- يقول الله سبحانه وتعالى أنا ربك، وإنني أنا الله لا إله إلا أنا.
- 8- تحول التوراة النص إلى وعد إلهي لموسى عليه السلام بإخراجبني إسرائيل من مصر وتجلب لهم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً.
- 9- في القرآن الكريم يطلب الله سبحانه وتعالى أن يعبده ويقيم الصلاة لذكره، ويعلمه أن اليوم الآخر آتٍ لا ريب فيه لتجزى كل نفس بما عملت، ويطلب منه الالتزام بالله مهما حاول الكفرة أن يصدوه عن هذا الطريق.
- الفارق بين التوراة والقرآن الكريم كبير وخاصة بالغايات والوسائل، وأهمها أن الله سبحانه وتعالى يعلم موسى عليه السلام العقيدة ويهبه لعمل دعوي عظيم عند فرعون، بينما أهمها عند التوراة التركيز على الوعد الإلهي المزعوم بامتلاك الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً.
- 10- تفترض التوراة أن الله نظر إلى مذلة شعبه فنزل ليدافع عنهم، وهذا من السخاف التوراتي الذي يجعل من الله خادماً لبني إسرائيل ينزل لينقذهم من أيدي المصريين ويخرجهم من مصر إلى أرض أخرى تفيض لبناً وعسلاً ليملكونها.
- ومن السخاف التوراتي أنهم ينسبون إلى الله تحديد أرض فلسطين وهي ملك الكنعانيين وقبائلهم الستة.
- 11- في التوراة يطلب الله من موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون لغاية واحدة وهي إخراجبني إسرائيل من مصر.
- 12- في القرآن الكريم يطلب الله من موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون الذي طغى ليقول له قولاً علينا ليتذكرة أو ينخشى، ويعود عن جبروتة وكفره أولاً، ثم ليتركبني إسرائيل وشأنهم دون عذاب وتعذيب.

أين يقع جبل حوريب أو جبل سيناء؟

جاء في قاموس الكتاب المقدس ما يلي: سيناء اسم جبل يطلق عليه أيضاً جبل حوريب واسم البرية المحيطة به، وقد أطلق عليه حوريب سبع عشرة مرة، وحسب الكتاب المقدس فقد قضى بنو إسرائيل بجانب هذا الجبل سنة، وكانت تحيط بهذا الجبل برية كافية لأن يعسكر فيها العبرانيون لمدة سنة.

وبحسب رأي جستنيان ويوسيفوس المؤرخ فإن جبل حوريب هو جبل موسى الكتلحة، وهو عظيم الارتفاع ومن المستحيل تسلقه؛ لأنه حاد الصخور وشديد الانحدار ولا يستطيع أحد أن يطيل النظر إليه دون أن تؤلمه عيناه لأنه شديد الضوء.

ويقع وادي الراحة أسفل هذا الجبل وتبلغ مساحته أربعة أميال مربعة، وتوجد اليوم عند جبل موسى - حوريب - أديرة وكنائس اكتشفت فيها بعض النسخ القديمة من الأسفار المقدسة في اللغات اليونانية والسريانية والجورجية والأثيوبيّة والسلافية والعربية وقد اكتشفت النسخة السينائية للكتاب المقدس في اللغة اليونانية في دير القديسة كاترين وقد كُتبت في القرن الرابع الميلادي^(١).

وإذا نظرنا إلى خريطة سيناء وجدنا أن جبل سيناء أو حوريب يقع في جنوبها وقريباً من الزاوية التي يشق فيها البحر الأحمر إلى خليج السويس وإلى خليج العقبة، وقد ورد في القرآن الكريم اسم لواد يدعى طوى، وورد في الآيات قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِيهِ إِلَى الظُّورِ تَكَارًا﴾ (سورة القصص: 29). ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبَقْعَةِ الْمُبَرَّكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسِّقَ﴾ (سورة القصص: 30). ﴿وَمَا كُثِّرَتْ بِهِ أَنْوَافُ الْفَرِيقِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ (سورة القصص: 44).

جاء في البداية والنهاية: كان موسى الكتلحة في وادٍ اسمه طوى فكان موسى الكتلحة مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب، ويقال إن جبل الطور يقع في وادي طوى.

(1) قاموس الكتاب المقدس، ص 499.

وعليه فهل جبل حوريب هو نفسه جبل طور؟.

وإذا كان جبل حوريب يُسمى أحياناً كثيرة جبل سيناء، فهل قوله تعالى في سورة التين: ﴿وَالْتِينَ وَالْزَيْتُونَ ﴾١﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ يؤكد لنا أن طور سيناء هو جبل الطور وفي الوقت نفسه هو جبل حوريب الذي ورد ذكره في التوراة؟.

على أية حال فإن الخريطة الموضحة لموقع جبل سيناء - حوريب تؤكد أنه يقع في القسم الجنوبي من صحراء سيناء، وما زال هناك أديرة عديدة قرب هذا الجبل إلى هذا اليوم تبركاً به باعتباره الذي كلام الله سبحانه عليه موسى نبى الله ورسوله حسب ما يتصورونه.

ولكننا هنا نطرح السؤال التالي: هل جبل الطور شهد النداء الإلهي الأول عندما ظهرت الشجرة التي تتأجج النار فيها ولا تحرق، وفي الوقت نفسه شهد نزول كتاب موسى في الألواح أم أن ذلك مكان وهذا مكان آخر؟.

وطور سينين كما ورد في كتاب إعراب القرآن وبيانه يعني الجبل الذي كلام الله عليه موسى عليه السلام وسيينين اسم للمكان الذي فيه الجبل سمي سينين وسيناء لحسنه، ولكونه مباركاً.

وقيل عن التين والزيتون، الجبل الذي يطل على دمشق والجبل الذي عليه بيت المقدس واسمها بالسريانية طورتنا وطور زيتاً. فإذا أضفنا طور سينا وبين لنا أن كلمة طور تعني الجبل، والجبل يضاف إلى المكان للتعریف به.

من الملفت للنظر أن النبي موسى عليه السلام بُلغ بأول نداء في جبل الطور حيث لا وجود لأحد من البشر، وكذلك بلغ رسول الله محمد ﷺ وهو في غار حراء حيث لا بشر.

وهكذا الرسالات وأصحابها، وفي سورة التين جمع الله سبحانه بين ثلاثة من أماكن الرسالات. فقال: ﴿وَالْتِينَ وَالْزَيْتُونَ ﴾١﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾﴿ وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ ﴾. فالزيتون أرض بيت المقدس حيث بلغ عيسى عليه السلام وطور سينين أي جبل الطور حيث بلغ موسى عليه السلام، وهذا البلد الأمين مكة التي بلغ في جبالها النبي محمد ﷺ.

يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَشْحَخْ لِي صَدَرِي ﴾٢٥﴿ وَسَيْرَ لِي أَمْرِي ﴾٢٦﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾٢٧﴿ يَفْقَهُ أَفْوَلِي ﴾٢٨﴿ وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴾٢٩﴿ هَذُونَ أَخِي ﴾٣٠﴿ أَشَدُّ دِيهِ أَزْرِي ﴾٣١﴿ وَأَشْرَكْهُ فِي أَمْرِي ﴾٣٢﴿ كَيْ شَيْعَكَ كَيْتَرَا ﴾٣٣﴿ وَذَكْرُكَ كَيْتَرَا ﴾٣٤﴿ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَابَصِيرًا ﴾٣٥﴾ (سورة طه: 25 - 35).

ويقول تعالى: ﴿وَأَخِي هَكْرُوتْ هُوَ أَفْصَحْ مِنِي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَمِّي رِدَاءً مِيَصَدِّقِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي ﴾٣٦﴾ (سورة القصص: 34).

فقبل أن نتحدث عن الصراع مع فرعون - وهو صراع طويل - نتوقف عند مسألة ورد ذكرها في الآيات القرآنية وهي قوله تعالى: (هو أفعى مني لساناً)، وقوله (واحلل عقدة من لساناً).

أورد المفسرون عدة تفسيرات حول هذا الأمر. والذي نعتقده أن النبي موسى عليه السلام لما مكث في مدين العربية تعلم لهجة أهلها القرية من لهجة أهل كنعان، واختلطت لديه اللهجات وتدخلت اللهجة العربية بلهجة أهل مصر، وعندما أمر أن يذهب إلى فرعون شعر أنه لن يفهم عليه فاستعان بأخيه هارون الذي كان في مصر ولم يغادرها وهو أقدر منه على التكلم بلهجة أهلها.

وجاء في التوراة حول هذا الموضوع ما يلي: «فقال موسى للرب: استمع إليها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبديك، بل أنا ثقيل الفم واللسان، فقال له الرب: من صنع للإنسان فيما، أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى أما هو أنا الرب، فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به، فقال: استمع إليها السيد أرسل بيده من ترسل، فحمل غضب الرب على موسى وقال: أليس هارون اللاوي أخيك، أنا أعلم أنه هو يتكلم وأيضاً هو خارج لاستقبالك وأعلمك ماذا تصنعن، وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فيما وأنت تكون له إلهًا، وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع بها الآيات». خروج 4: 10 - 17.

وحيينا نقارن هذا النص بما جاء من كلام الله في القرآن الكريم نجد الكثير من الأمور الكامنة وراء السطور:

- 1 - موسى عليه السلام في القرآن الكريم يطلب من الله أن يكون هارون أخوه عوناً له.
- 2 - يظهر أدب الأنبياء مع ربهم في القرآن الكريم، أما في التوراة فتظهر قلة أدب مع الله وخاصة في قوله: (أرسل بيد من ترسل فحمي غضب الرب).
- 3 - ماذا يعني قول التوراة: وأنت تكون له إلهًا، ييدو أن كاتب التوراة قد خانه التعبير أو أنه تقصد أن يقول ذلك ليرفع مقام موسى عليه السلام إلى مقام الألوهية.

ويرد في التوراة قوله: «فمضى موسى ورجع إلى يشرون حبيه وقال له: أنا ذاهب وأرجع إلى إخوتي الذين في مصر لأرى هل هم بعد أحيا، فقال يشرون لموسى: اذهب بسلام» (خروج 4: 18).

وقال رب موسى في مديان: اذهب ارجع إلى مصر لأنك قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك، فأخذ موسى امرأته وبنيه أركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر» (خروج 4: 19 - 20).

من المهم جداً أن يظل كلام التوراة حاضراً في أذهاننا، وخاصة قوله: إن موسى عليه السلام رجع إلى يشرون والد زوجته، وقولها: قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك، وقولها: أخذ امرأته وبنيه.

عودة موسى عليه السلام إلى عمه والد زوجته كانت ليخبره ماذا حدث معه إضافة إلى وداعه له وخاصة أنه يأخذ زوجته معه.

أما قوله مات جميع الذين كانوا يطلبون نفسك فهذا غير مصدق لأنه خلال عشر سنوات لا يكون هؤلاء قد ماتوا.

وقولها أخذ امرأته وبنيه، فالتوراة نفسها تقول إن موسى أنجب ولداً واحداً اسمه جرشوم فمن أين جاء بنوه الآخرون، وما هي أسماؤهم، وهل يظهر أبناؤه فيما بعد أم أن ذلك من أخطاء كاتب التوراة؟.

وبعد هذا الكلام ليس هناك كلام مهم في التوراة حتى يلتقي موسى عليه السلام بهارون، ولكن أين يلتقيان؟.

تقول التوراة: «وقال رب هارون: اذهب إلى البرية لاستقبال موسى، فذهب والتقاه في جبل الله وقبله» (خروج 4: 27).

وهذا يعني أن هارون ذهب من جساسان إلى جبل طور سيناء وهذه الرحلة تستغرق يومين أو ثلاثة.

ويرد في بعض المصادر أن موسى النبي ذهب إلى مصر خفية، ووصل بيته وكانت أمه ما تزال على قيد الحياة، فلم تعرفه حتى عرف عن نفسه وكتم خبر وصوله حتى تباحث مع أخيه هارون كيف يلتقيان مع فرعون وكيف يجادلانه؟.

موسى عليه السلام وفرعون بين التوراة والقرآن

يبدأ لقاء موسى عليه السلام مع فرعون بدءاً من الإصلاح الخامس في سفر الخروج، وما يهمنا منه مباشرة قول موسى عليه السلام لفرعون: (أطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية)، قال الرب.

تقول التوراة: «فقالا: إله العبرانيين قد التقانا» (خروج 5: 3). من الملاحظ أن التوراة تكرس مقوله شعبي، وإله العبرانيين لتأكد أن الله ربهم وحدهم وأنهم شعبه دون غيرهم، وهذا يمهد لقوله شعب الله المختار التي سترد بعد سطور وصفحات.

ولننظر إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَنْمُوسِي﴾ ﴿٦﴾ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَنَا كُلَّ شَيْءٍ
خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ﴿٧﴾ ﴿قَالَ فَمَا بِأَلْفُرُونَ الْأُولَئِكَ﴾ ﴿٨﴾ ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّ فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّ وَلَا
يَسْنَى﴾ (سورة طه: 49 - 52).

إذا الحديث هنا يتركز على الجدال مع فرعون حول العقيدة، الإيمان بالله والإيمان بالبعث، وما إلى ذلك من خلق الله للأرض وتسخيرها للإنسان، والسماء وإنزالتها المطر..

ونلاحظ في التوراة إقحام الوعد الإلهي المزعوم باستعمار أرض كنعان. فتقول التوراة: «أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها» (خروج 6: 4).

وتقول: «وأنخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً». (خروج 6: 7). وتقول: «وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثاً أنا الرب». (خروج 6: 8).

ثم تقول التوراة على لسان موسى عليه السلام: «فتكلم موسى أمام الرب قائلاً: هؤلاً بنو إسرائيل لم يسمعوا لي فكيف يسمعوني فرعون وأنا أغلفُ الشفتين» (خروج 6: 12).

وقد استند التوراتيون على مقوله «وأخذكم لي شعباً» ليخرجوا بمقولة شعب الله المختار، ويبنوا عليها النظرية العنصرية الصهيونية، أما قصة العهد الذي قطعه الله لبني إسرائيل، فقد حرص كاتب التوراة في القرن السادس قبل الميلاد أن يجسد الصراع مع شعب فلسطين بعد قصة التحرير البابلي الذي حدث على يد نبوخذنسر، الواقع أنه ليس هناك وعد وليس الله سبحانه خادماً عند اليهود ينفذ لهم طلباتهم ورغباتهم.

وفي النص الأخير يبدو أن النبي موسى عليه السلام بدأ بالتملل والتآلف من بنى إسرائيل الذين لم يسمعوا لكلامه منذ البداية، وسنرى هذا التناقض بين النبي موسى عليه السلام وبين إسرائيل يستمر طويلاً حتى آخر المطاف.

و سندخل من هذه السطور في التفاصيل والتي تحدثت عن صراع فرعون مع سيدنا موسى عليه السلام، وسنرى مدى التوافق مع القرآن الكريم ومدى التناقض. تتحدث التوراة عن المعجزات التي أحدثها الله سبحانه أثناء الصراع بين النبي موسى وفرعون.

تقول التوراة: «وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلات وثمانين سنة حين كلما فرعن» (خروج 7: 7).

والمعجزات التي أجرأها الله لموسى وهارون عليهما السلام.

1 - العصا التي تحولت إلى ثعبان: تقول التوراة: «طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعباناً فدعا فرعون أيضاً الحكاء والسحرة ففعل عرافو مصر أيضاً بسحرهم كذلك طرحا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين ولكن عصا هارون ابتلت عصيهم» (خروج 7: 10 - 12).

ولم تذكر التوراة أن السحرة قد آمنوا برب موسى عليه السلام بعد أن رأوا المعجزة التي أبطلت سحرهم.

2 - تحويل الماء إلى دم وموت السمك في النهر: تقول التوراة: «ثم قال رب لموسى: قل هارون خذ عصاك ومد يدك على مياه المصريين على أنهارهم وعلى

- سواقיהם وعلى آجامهم وعلى كل مجتمعات مياههم لتصير دماً فيكون دم في كل أرض مصر في الأخشاب وفي الأحجار» (خروج 7: 19).
- 3 - انتشار الضفادع على أرض مصر: تقول التوراة: «فمد هارون يده على مياه مصر فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر» (خروج 8: 6).
- 4 - انتشار البعوض: «مد هارون يده بعصاه وضرب تراب الأرض فصار البعوض على الناس وعلى البهائم، كل تراب الأرض صار بعوضاً في جميع أرض مصر». (خروج 8: 17).
- 5 - انتشار الذبان: «فدخلت ذبان كثيرة إلى بيت فرعون وبيوت عبيده وفي كل أرض مصر خربت الأرض من الذبان» (خروج 8: 24).
- 6 - موت المواشي: «فماتت جميع مواشي المصريين» (خروج 9: 6).
- 7 - الغبار الذي تحول إلى دمامل: «فأخذ رماد الآتون ووقف أمام فرعون وذرّاه موسى نحو السماء فصار دمامل بنور طالعة في الناس وفي البهائم» (خروج 9: 10).
- 8 - إمطار السماء البرد العظيم: «فمد موسى عصاه نحو السماء فأعطى الرب رعداً وبرداً وجرت نار على الأرض وأمطر الرب بـرداً على أرض مصر». (خروج 9: 23).
- 9 - الجراد: «ثم قال الرب لموسى: مد يدك على أرض مصر لأجل الجراد ليصعد على أرض مصر ويأكل كل عشب الأرض كل ما تركه البرد، فمد موسى عصاه على أرض مصر فجلب الرب على الأرض ريحًا شرقية كل ذلك النهار وكل الليل، ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية الجراد، فصعد الجراد على كل مصر وحل في جميع تخوم مصر» (خروج 10: 12 - 14).
- 10 - انتشار الظلام: «فمد موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس في كل أرض مصر ثلاثة أيام لم يصر أحد أخاه ولا قام أحد من مكانه ثلاثة أيام» (خروج 22: 10).

وفي القرآن الكريم ترد قصة النبي موسى عليه السلام وجداله مع فرعون في عدة سور قرآنية منها: سورة الأعراف، وسورة طه، وسورة القصص.

وقد وردت معجزات النبي موسى عليه السلام في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿فَأَزْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الظُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقَمَلَ وَالصَّفَاقِعَ وَالَّدَّمَ مَا يَتَّبِعُ مُفَصَّلَتْهُ﴾ (سورة الأعراف: 133).

إضافة إلى العصا وإخراج النبي موسى عليه السلام بيضاء من جبيه من دون سوء.

قصة العصا والسحر:

يقول تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾١٠٧﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءَ لِلنَّظَرِينَ ﴾١٠٨﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَحْرٌ عَلِيهِ ﴾١٠٩﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾١١٠﴿ قَالُوا أَرْجِهُ وَأَخْاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَشِيرِينَ ﴾١١١﴿ يَا أَنُوكَ يُكْلِ سَحِيرٍ عَلَيْهِ ﴾١١٢﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَنَّانِ ﴾١١٣﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَنِّي الْمُغَرِّبِينَ ﴾١١٤﴿ قَالُوا يَنْمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾١١٥﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَهُوْهُمْ وَجَاهَهُوْ سِحْرٌ عَظِيمٌ ﴾١١٦﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مَوْسَى أَنَّ أَلْقِ عَصَاكُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾١١٧﴿ فَوَقَعَ الْمُقْبَلُ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾١١٨﴿ فَعَلِمُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلُوا صَنِعِينَ ﴾١١٩﴿ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِيدِينَ ﴾١٢٠﴿ قَالُوا إِنَّا يَرِيْتُمْ أَعْنَامِنَ ﴾١٢١﴿ رَبِّ مُوسَى وَهُدُورُونَ ﴾١٢٢﴾ (سورة الأعراف: 107 - 122).

ويقول تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا يُسْحِرُكَ يَنْمُوسَى ﴾٥٧﴿ فَلَنَأْتِنَكَ يُسْحِرُ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ يَدِنَا وَيَبْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا شُوَّى ﴾٥٨﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الْزِيَّنةِ وَأَنْ يُحْشِرَ النَّاسُ صُنْجِيًّا ﴾٥٩﴿ فَتَوَلَّ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُمْ أَنَّ ﴾٦٠﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَلِكُمْ لَا تَقْرُرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِرُكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْرَى ﴾٦١﴿ فَنَزَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَلَسَرُوا أَنْجَوْيَ ﴾٦٢﴿ قَالُوا إِنَّ هَذَنَ لَسَحِيرِنِ يُرِيدُانَ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ يُسْحِرُهُمْ وَيَذْهَبَا يُطْرِيقَتُكُمُ الْمُثْلِنِ ﴾٦٣﴿ فَاجْمِعُو كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَنْثُوا صَفَّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى ﴾٦٤﴿ قَالُوا يَنْمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾٦٥﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاهُوكُمْ وَعَصَيْتُمْ يُخْلِ إِلَيْهِ

من سخريهم إنها تسعنَ ﴿٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ، حِيفَةً مُوسَى ﴿١٧﴾ قُلْنَا لَا تَنْهَقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْجَلُ ﴿١٨﴾ وَالْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صنَعْتَ إِنَّمَا صنَعْتَ كِيدَ سَعِيرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حِينَئِذٍ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةُ سُجْدًا قَالُوا إِنَّمَا بَرَبُّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٢٠﴾ (سورة طه: 57 - 70).

فالتفاصيل التي جاءت في سوري الأعراف وطه تبين العديد من الأشياء التي غفل وتغافل عنها كتبة التوراة.

1 - إيمان السحرة بآله موسى عليه السلام بعد أن عرفوا أن ما فعله ليس سحرا وإنما معجزة من الله سبحانه، وأن أفعى موسى عليه السلام حقيقة وليس خداع بصر بسبب السحر، وإيمان السحرة لم يرد في التوراة.

2 - عندما ألقى السحرة عصيهم وحباهم خاف موسى عليه السلام فأوحى الله له فتشجع فألقى عصاه فإذا هي تلتف كل ما صنعوا.

3 - في التوراة تركيز على هارون وأنه هو الذي كان يستخدم العصا بأمر من أخيه موسى عليه السلام، وفي القرآن الكريم كان المقصود دوماً باستخدام العصا النبي موسى عليه السلام.

4 - أشار القرآن الكريم إلى تسع آيات بينات (أي تسع معجزات) وذلك في سورة الإسراء بقوله: ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ أَلَيْنَا مُوسَى تَسْعَهُ أَيْكَتْ بَيَّنَتْهُ فَسَلَّمَ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فَرَّعَوْنُ إِنِّي لَأَظْنُكَ يَنْمُوسَى مَسْتُورًا ﴿١٠١﴾ (سورة الإسراء: 101).

وتتقارب المعجزات بين ما ورد في التوراة والقرآن الكريم وقد يكون هناك فارق واحد زيادة في التوراة، إذ ذكر القرآن الكريم تسعًا وذكرت التوراة عشرًا. وبعد أن أطلق فرعون اليد لبني إسرائيل استعدوا للهرب.

تقول التوراة: «تكلمت في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب، وأعطى الله نعمة للشعب في عيون المصريين» (خروج 11: 2 - 3).

وتقول التوراة: «طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً.. فسلبوا المصريين» (خروج 12: 35 - 36).

وهذه السرقة وهذا السلب لم يتحدث عنه القرآن الكريم، ويبدو أن كاتب التوراة أراد أن يظهر أن المصريين سذج إلى درجة كبيرة حتى يسمحوا لبني إسرائيل أن يسلبوهم الذهب والفضة والثياب.

وتقول التوراة: «فأرتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مئة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد» (خروج 12: 37).

هذا الرقم غير صحيح ومبالغ فيه كثيراً، لأن حقيقة ذلك غير ما ورد في التوراة. يقول ابن حزم الأندلسى: (ويعد ذلك قال: وكان مسكن بني إسرائيل بمصر أربعين سنة وثلاثين سنة، قال: هذه فضيحة الدهر وشهرة الأبد وقاصمة الظهر، إن سكن بني إسرائيل في مصر 400 سنة، وقد ذكر قبل أن فاهات بن لاوي دخل مصر مع جده يعقوب ومع أبيه لاوي ومع سائر أعمامه، وأن عمر فاهات كان مائة سنة وثلاثة وثلاثين سنة، وأن عمران بن فاهات بن لاوي كان عمره مئة وسبعين وثلاثين سنة، وأن موسى بن عمران عندما خرج ببني إسرائيل من مصر كان ابن ثمانين سنة، هذا كله منصوص كما نذكره في الكتاب الذي يزعمون أنه التوراة، ويرى ابن حزم أن مدة بني إسرائيل منذ دخول يعقوب وبنوه إلى مصر إلى أن خرجوا منها مع موسى الكتاب لم تكن إلا مائتي عام وبسبعة عشر عاماً، فهذه كذبة في مائتي عام وثلاثة عشر عاماً، ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكذبة لكفت في أنها موضوعة مبدلة) ^(١).

وتزعم التوراة أن عدد بني إسرائيل الذين خرجوا من مصر إلى سيناء كان ستمائة ألف ماشٍ عدا الأولاد.

وهذه طبعاً خرافات تختلف المنطق التاريخي والمنطق بشكل عام، لقد مكثوا مائتين وبسبعة عشر عاماً، دخلوا مصر وكان عددهم 72 شخصاً وعلى رأسهم النبي يعقوب فهل يعقل أن يصبحوا 600 ألف في غضون مائتي سنة؟ عدا الأولاد؟.

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص 252 - 253.

فإذا جمعنا إليهم الأولاد صاروا أكثر من مليون؟ .
ولو كانوا فعلاً بهذا العدد لما تغلب عليهم فرعون واستعبدتهم . ولو كانوا
بهذا العدد لحاربوا فرعون وجندوه وانتصروا عليهم .
يقول ابن حزم: أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح في قوله تعالى
حاكيًا عن فرعون أنه قال إذ تبعبني إسرائيل: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشَرِذَمٌ قَلِيلُونَ﴾ (سورة
الشعراء: 54).

وتقول التوراة: «وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق
أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً
ويرجعوا إلى مصر» (خروج 13: 17).

فأدأر الله الشعب في طريق بريء بحر سوف، وصعد بنو إسرائيل متجهزين
من أرض مصر، وأخذ موسى عليه عظام يوسف عليه معه لأنه كان قد استحلف
بني إسرائيل بحلف قائلًا: إن الله سيفتقدكم فتصعدون عظامي من هنا معكم .
إذا نظرنا إلى هذا النص نرى عدة تناقضات وتلفيات:

1 - فالتوراة تقول: إن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين، فالإسرائيлиون ما
يزالون في أرض مصر، فأين طريق أرض الفلسطينيين وهناك بحر سوف
(الأحمر) ثم هناك صحراء سيناء، لكن كاتب التوراة أراد أن يدخل إقحاماً ذكر
أرض فلسطين حين بدأ بنو إسرائيل رحلة المروب من وجه فرعون.

2 - تقول التوراة: وأخذ موسى عليه عظام يوسف عليه معه، وهذا كذب وليس
حقيقة، فأجساد الأنبياء لا تبل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قالت التوراة
فيما سبق: إن يوسف حُنط جثة أبيه يعقوب ودامت عملية التحنط 40 يوماً ثم
ُنقل إلى أرض الخليل ليُدفن مع أبيه إسحق وجده إبراهيم، فلماذا لم يُحنط
يوسف عليه كما حُنط أبوه؟ ومن المعروف أن المحنط يبقى جسده أو على الأقل
يبقى الكثير من جسمه على ما هو عليه فترة زمنية طويلة، فإذا كان يوسف
عليه قد حُنط فهل بلي جسمه خالل مائتي عام؟.

إن قبر يوسف الظاهر لم يُعرف في أرض فلسطين، والاعتقاد السائد أن قبر يوسف الظاهر موجود في مصر ولم تنقل لا جشه ولا عظامه مع النبي موسى الظاهر. ثم تقول التوراة: «وارتحلوا من سُكُوت ونزلوا في إيثام في طرق البرية وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهدى بهم في الطريق، وليلًا في عمود نار ليضيء لهم لكي يمشوا نهاراً وليلًا لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أيام الشعب» (خروج 13: 20 - 22).

ونلاحظ في هذا النص تجسيد الإله، ولو كان الذي يهدى بهم ملائكة رب لهان الأمر، ولكن عندما يقولون أن الله نفسه كان يمشي أمامهم عمود سحاب نهاراً وعمود نار ليلاً، فإنهم بذلك جسدوا الإله وحصروا عمله في خدمته، ألا يوجد لله عملٌ سوى هذا العمل؟، أين تدبير السماوات والكون والأراضي والبشر والموت والحياة؟، يبدو أن كاتب التوراة الذي ألف توراته في بابل تأثر بمعتقدات البابليين الذين أشركوا الآلهة في فعل البشر، حيث تصور الإنسان أن الآلة تخدم البشر وتكون طوع أيديهم.

تقول التوراة: «فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم، وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الله وقالوا الموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟ ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين كف عننا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية» (خروج 14: 10 - 14).

وهذا النص يدل على الصَّغار والمذلة لدى بني إسرائيل، فهم يجتgon على النبي موسى الظاهر لأنه أخرجهم من مصر، وهم هنا يفصحون عن عدم تفكيرهم بالله، ولم يقتنعوا بأن الله سينجي موسى الظاهر وينجيهما، وهم يفضلون أن يبقوا خادمين للمصريين بدل أن يموتو في البرية حسب قوله. وليس في النص ما يشير إلى أي ذرة من إيمان بالله وبنبوة موسى الظاهر.

ويصبر موسى عليهم فيقول لهم: لا تخافوا قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم، ثم قال الرب لموسى: ارفع عصاك ومديك إلى البحر وشقة فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة.

وتقول التوراة: «ومدّ موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم، وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم» (خروج 14: 21 - 23).

«فقال الرب لموسى: مدّ يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مرکباتهم وفرسانهم، فمدّ موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حالة الدائمة والمصريون هاربون إلى لقائه فدفع الرب المصريين في وسط البحر فرجع الماء وغطى مرکبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر ولم يبق منهم ولا واحد» (خروج 14: 26 - 29).

وتقول التوراة: «فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر. ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين. فخاف الشعب الرب وأمنوا بالرب وبعده موسى» (خروج 30: 14 - 31).

لقد ذكر القرآن الكريم قصة شق البحر وهروببني إسرائيل وغرق فرعون وجنوده، ولكن هناك اختلافات بين القرآن والتوراة في كثير من الأمور لابد من مناقشتها.

ولابد بالتالي من التوقف عند هذا الحدث الكبير وماذا قال بشأنه العلماء والباحثون المتخصصون بهذا الشأن.

تورد التوراة أن الله أمربني إسرائيل أن يرتحلوا إلى فم الحيروت بين مجدل والبحر أمام بعل صفون الواقع أن فم الحيروت غير معلوم حتى الآن، كما أن هناك العديد من الأماكن باسم المجدل والتي معناها البرج أو الحصن،

وبعد صفون في شمال مصر لذا فإن المكان الصحيح لأنغلق البحر لا يمكن تحديده بطريقة مؤكدّة^(١).

ونعود إلى القرآن الكريم لنرى الآيات التي تحدثت عن هذا الحدث الكبير.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنَّ أَشْرِيفَادِي فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبْسَأُ لَا يَعْنِفُ دَرَكًا وَلَا يَخْشَى ﴾٧٧﴿ فَانْبَعَثُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشَّيْهِمْ مِنَ الْيَمِّ مَاغِشِيمُمْ ﴾٧٨﴿ وَأَضْلَلْ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾٧٩﴿ (سورة طه: ٧٧ - ٧٩).

وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَعِينِ ﴾٥٩﴿ وَنَذَرْ وَمَقَامِ كَرِيمِ ﴾٥٩﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَقِيَ إِسْرَائِيلَ ﴾٦٠﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشَرِّقِينَ ﴾٦١﴿ فَلَمَّا تَرَأَهُمُ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا مُتَدَرِّكُونَ ﴾٦١﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيِّدِنَاينَ ﴾٦٢﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنَّ أَضْرِبْ بِعَصَابَ الْبَحْرِ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَوْدِ الْعَظِيمِ ﴾٦٣﴿ وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴾٦٤﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾٦٥﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴾٦٦﴿ (سورة الشعرا: ٥٧ - ٦٦).

ويقول تعالى: ﴿وَجَنَوْزَنَا بِيَمِّ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَعْيَا وَعَدْوَا حَتَّى إِذَا آذَرَ كَهْنَةَ الْفَرْقَانِ قَالَ إِمَانِتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا الَّذِي أَمَانَتْ بِهِ بُنُوا إِسْرَائِيلَ وَإِنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾٦٧﴿ مَا لِقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾٦٨﴿ فَالْيَوْمَ نُنْجِيَكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِنَّ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَيْرًا مِنَ النَّاسِ عَنِ اِيمَانِنَا الْعَدِيلُونَ ﴾٦٩﴿ (سورة يومن: ٩٠ - ٩٢).

فالقصة بين ما ورد في القرآن الكريم وما أوردته التوراة تتطابق من حيث العموميات، ويختلف القرآن الكريم عما قالته التوراة في أن المصريين وُجدوا أمواتاً على الشاطئ وقد رأهم بنو إسرائيل وهذا لم يرد في القرآن، فمن أين لبني إسرائيل أن يروا المصريين أمواتاً على الشاطئ إذا كان عرض البحر ذا مسافة كبيرة، فإن الناس من الشاطئ الآخر لا يشاهدون، أما إذا كانت المسافة قليلة فربما يشاهدون. من ناحية ثانية لم تشر التوراة إلى ما قاله فرعون وهو يغرق، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن فرعون قد نُجِيَ ببدنه ليكون آية لمن بعده، لذلك لم يأخذه البحر بل بقيت جثته.

.Oxford. Bible Atlas, "op-lit. p58 (1)

وقد قال بعض علماء الحضارة المصرية إنهم وجدوا في أحد قبور الفراعنة جثة قد دفعت على عجل وأثناء فحصها تبيّن أن في الفم شيئاً من الملح، وأشاروا على احتمالات كبيرة بأن الجثة هي جثة فرعون موسى عليه السلام.

لقد انشق البحر بمعجزة إلهية وهذا ما ورد في القرآن الكريم، ولكن هل يمكن تحديد المكان البحري الذي تمت فيه هذه المعجزة؟.

إن جميع الباحثين الآثاريين ينفون الخروج كواقعة تاريخية، ويررون أنه لا وجود لأثر مادي يدل على أن جماعة إسرائيل كانت في مصر وأنها خرجت منها باتجاه سيناء.

إسرائيل فلوكشتاين، نيل سلبرمان، ينفيان الخروج نفياً قاطعاً في كتاب (التوراة مكشوفة على حقيقتها).

السيد مورة الفرنسي يقول: الآثار المصرية لا تؤكّد قطعاً وجود اليهود في مصر. أرنست رايت: يقول هناك استحالة أن تتفق التنقيبات الأثرية مع أطروحت التوراة وخاصة قصة الخروج.

شانكس: ليس من أدلة على وقوع الخروج والعبودية في مصر وجود موسى فيها.

وإضافة هؤلاء يوجد العشرات من العلماء والآثاريين من ينكرون وجود بني إسرائيل في مصر، وحدوث قصة الخروج، ومنهم كمال صليبي وأحمد سليمان داود، وفاضل الريبيعي، ولحق بهم بعض الباحثين الجدد من العرب.

ومن خلال ما طرحة هؤلاء الباحثون يتبيّن أن وجهة نظرهم تستند إلى ما جاء في بعض مدونات اليمن وخاصة أسماء الأماكن الجغرافية وبعض الأحداث التي حدثت فيها.

ومن وجهة نظرنا نرى أن دراستنا عن شخصية النبي موسى تتركز على المقارنة بين النص التوراتي والنص القرآني ودراسة مدى التحريف الذي قُصد من وراءه تضليل العقل البشري وحرف الحقيقة عنه.

صحيح أن علم الآثار لم يتوصل إلى نتيجة تحسن قصة خروجبني إسرائيل، ولم يُعثر على ما يدل على وجودبني إسرائيل في مصر، ولكن السؤال المطروح يقول هل يكفي علم الآثار لوحده كي يثبت قصة خروجبني إسرائيل من مصر؟ أو عدم وجوده؟.

وإذا كان علم الآثار لا يستطيع إثبات هذا الخروج فهل يعني أن الخروج لم يتم؟ وهل وجود كلمات وأسماء جغرافية في اليمن أو الجزيرة مشابهة لأسماء جغرافية موجودة في كتاب التوراة يعني أنبني إسرائيل كانوا في الجزيرة العربية أو اليمن؟.

ثم ما الذي نبغيه من غایيات إذا قلنا إنبني إسرائيل لم يكونوا في مصر بل كانوا في شبه الجزيرة العربية أو في اليمن؟

إذا كانت الغاية سياسية تتعلق باحتلال فلسطين من قبل الاستعمار الصهيوني فإن الصهاينة استطاعوا إقامة دولة ويمتلكون قوة وهم موجودون بالقوة على أرض فلسطين، ونعتقد أن القوة الصهيونية قامت بسبب ضعف العرب والمسلمين وابتعادهم عن خط المقاومة المسلحة. وإذا كان الصهاينة قد ركبوا النص التوراتي ليكونوا النص السياسي فإن ذلك لا يعني أنهم امتلكوا حقاً مسروعاً؛ لأن النص التوراتي وحسب الدراسات الحقيقة واستناداً إلى النص القرآني، هو نص محرّف جيّر الموضوع الديني لمشروع سياسي استعماري.

ونعتقد أن صراعنا كعرب و المسلمين مع المشروع الاستعماري الصهيوني هو صراع وطني قومي ديني إنساني، ونفتقد أولاً أن نبين للعالم أن النص التوراتي نص عنصري مؤلف وليس له علاقة بالعقائد، وأن الأنبياء الذين ذكروا في التوراة كانوا مجموعين مقهورين من قبل أصحاب العقيدة اليهودية المستحدثة بل إن أكثر الأنبياء قتلوا على يد هؤلاء المتحرفين اليهود.

ثم علينا ثانياً أن نحارب هذا المشروع الاستعماري الصهيوني باعتباره أحد مشاريع الاستعمار الأوروبي الغربي.

إن القرآن الكريم يشير إلى معجزة أحدثها الله سبحانه حين أمر موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر لينغلق وتظهر اليابسة من تحت الماء ليدخل هو وقومه ثم ليدخل فرعون ورءاهم ثم يغرق هو وجنوده.

وليس هي المعجزة الوحيدة التي أحدثها الله سبحانه للأنبياء، فهناك معجزات لا تقل أهمية عنها، ومنها مثلاً معجزة ناقة النبي صالح، ومعجزة ولادة المسيح من دون أب ومنها خلق المسيح لما يشبه الطير فيصير طيراً بإذن الله، ومنها معجزة الكبش الذي جاء به ملاك الله لإبراهيم، ومنها أيضاً معجزة تدمير سدوم وعمور، ومدن الدائرة في منطقة البحر الميت.

ولعل كل معجزة حدثت لتناسب عصرها، وتناسب طبيعة النبوة التي كان عليها كلنبي.

إن الكتاب والباحثين العلمانيين يرفضون منطق المعجزة لأنهم أساساً يرفضون الدين ويرفضون القرآن الكريم، ولعل بعضهم أراد من وراء بحوثه استبعاد العديد من الحقائق القرآنية التي لم يتوصل إليها لا علم الآثار ولا علم التاريخ حتى الآن.

وقفات مع سفر الخروج:

جاء في التوراة: «وَخَذُوا بِاقْتَلَةَ زَوْفَا وَأَغْمَسُوهَا فِي الدَّمِ الَّذِي فِي الطَّسْتِ وَمَسَوَا العَتْبَةِ الْعُلِيَا وَالْقَائِمَتِينَ بِالدَّمِ الَّذِي فِي الطَّسْتِ، وَأَنْتُمْ لَا تَخْرُجُ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِّنْ بَابِ بَيْتِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ إِنَّ الرَّبَّ يَحْتَازُ لِيَضْرِبَ الْمُصْرِيْنَ فَحِينَ يَرَى الدَّمَ عَلَى الْعَتْبَةِ الْعُلِيَا وَالْقَائِمَتِينَ يَعْلَمُ الرَّبُّ عَنِ الْبَابِ وَلَا يَدْعُ الْمَهْلِكَ يَدْخُلُ بَيْوْتَكُمْ لِيَضْرِبَ» (خروج 12: 22 – 23).

وجاء فيها: «وَيَكُونُ لَكُمُ الدَّمُ عَلَمًا عَلَى الْبَيْوْتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا فَأْرِي الدَّمَ وَأَعْبِرْ عَنْكُمْ» (خروج 12: 13).

ففي هذا النص يقرر كاتب التوراة أن الله أمر بنو إسرائيل أن يضعوا الدم على عتبات بيوتهم لأنه حين يمر بين الحارات لا يعرف بيوت المصريين من بيوت

بني إسرائيل لذلك طلب منهم عالمة تكون على عتبات بيوتهم حتى يميز بين البيوت فيدمر المصريين ويترك بني إسرائيل.

إن هذا الكلام يمس ذات الله ويصفها بأوّل صفات وهي صفة العجز، فالله سبحانه لا يحتاج لعلامات حتى يميز بين البشر، فهو الخالق وهو العالم وعلمه مطلق، ولكن يبدو أن كاتب التوراة الذي أصابته لوثة الوثنية جاء بهذا الوصف للذات الإلهية الذي لا يليق به إنما هو صفات البشر القاصرين.

وجاء في التوراة: ونظر إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر. (خروج 30:14).

وجاء أيضاً: الفرس وراكبه طرحهما البحر.

وتقول: وعصاك التي ضربت بها النهر. (خروج 17:5).

وجاء فيها: من مثلك بين الآلهة يا رب. (خروج 11:15).

وجاء فيها: يسمع الشعوب فيرتدون تأخذ الرعدة سكان فلسطين حيث شد أمناء آدم، أقوياء موآب تأخذهم الرجفة يذوب جميع سكان كنعان. (خروج 15:14 - 15).

أما كيف رأى بنو إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر فهذا أمر غريب لأن بنى إسرائيل غرقوا في الماء، أو جرفتهم مياه البحر ولم يبق سوى فرعون حيث نجاه الله بيده ليكون عبرة لمن بعده، ثم لننظر إلى التناقض، تارة تقول البحر، وتارة تقول النهر، ولا ندرى أيهما، وحين تقول التوراة: من مثلك بين الآلهة يا رب، وهذا دليل واضح على أن بنى إسرائيل يعرفون عدداً من الآلهة لذلك قال كاتب التوراة هذه العبارة الوثنية.

وعندما تقول التوراة إن الرعب يأخذ بقلوب أهل فلسطين وأهل موآب وأدوم. لماذا يأخذ الرعب بقلوب هؤلاء؟ أليس ذلك ينم عن موقف مسبق لكاتب التوراة الذي يريد أن يصب غضبه على سكان فلسطين والأردن؟.

ثم ما الذي عرف بني إسرائيل بسكان موآب وآدوم وكنعان، وهل سبق في سيرة من سبقوهم أن جرت حرب بينهم وبين هذه القبائل؟ الواقع أن الحس السياسي والعداء للشعوب سطره كاتب التوراة بسبب وضعه الذليل أيام كان في بابل.

وتقول التوراة: فتذمر الشعب على موسى قائلين لماذا نشرب؟ (خروج 15: 24).

وتقول مرة أخرى: فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون في البرية وقال لهم بنو إسرائيل ليتنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشعب فإنكم أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتنا كل هذا الجمهور بالجوع. (خروج 16: 1 - 3).

ثم يأتي في التوراة: ولم يكن ماء ليشرب الشعب، فخاصم الشعب موسى وقالوا: أعطونا ماء لشرب فقال لهم موسى: لماذا تخاصموني لماذا تجربون الرب، وعطش هناك الشعب إلى الماء، وتذمر الشعب على موسى وقالوا لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنَا وأولادنا ومواثينا بالعطش. (خروج 17: 1 - 3).

فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: لماذا أفعل بهذا الشعب بعد قليل يرجحونني.

(خروج 17: 4).

فهذه الفقرات تدل على أن بني إسرائيل استمرؤوا الذل عند المصريين وتذمروا على موسى النبي، ويظهر واضحًا أن لا صلة بينهم وبين الله وعقيدة التوحيد، إنهم مازالوا متاثرين بالحياة السابقة حيث إشباع البطون من اللحوم والشراب ومتاع الدنيا.

الفصل الثالث

النبي موسى عليه السلام في سيناء
الوحى والتشريع والصراع
مع بنى إسرائيل

النبي موسى عليه السلام في سيناء

لاشك أن مرحلة وجود النبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وتوجههم إلى سيناء هي من أهم المراحل وأخطرها في حياة هؤلاء، وفيها محطات وتساؤلات عديدة ترتبط بالجغرافية والعنصر البشري والعقيدة والتشريع. لاشك أن الكثيرين يتساءلون عن المنطقة البحرية التي قمت فيها معجزة الله بشق البحر.

والواقع ليس لدى علماء الآثار أو علماء التاريخ أي دليل على المنطقة التي حدثت فيها المعجزة، وفي إطار التخمين نرى أنه من الممكن حدوث هذه المعجزة في أقصى بقعة من خليج السويس.

وإذا نظرنا إلى جغرافية المنطقة التي حدثت فيها تلك الأحداث نرى أن بني إسرائيل انطلقا من جasan باتجاه الجنوب حتى وصلوا إلى بعل صفون شمال خليج السويس، وكان من المفترض حسب سيرهم لا يعبروا بحراً ولا ماء، إنما يسرون على الجانب الشرقي لخليج السويس حتى يصلوا إلى جبل حوريب أو ما يسمى طور سيناء.

لكن هناك افتراض أن الطريق الذي سلكوه ينزل من جasan جنوباً حتى وصلوا المنطقة الشمالية من خليج السويس، وأرادوا العبور تحت الضغط الفرعوني فتمت المعجزة آنذاك فانشق الماء إلى قسمين، وما بين الشاطئين ليس بعيداً جداً وليس عميقاً، إذ هو أقرب إلى البر في شمال الخليج.

على أية حال، تواجه الباحث مشكلة تشابه الأسماء بين جنوب سيناء وشمالها، فهناك جبل حوريب في الشمال، وهناك جبل حوريب في الجنوب، وما جاء في سفر الخروج ١٧ / ٦ يرى أن جبل حوريب موجود في نفس منطقة العمالق الذين كانوا يسكنون النقب والنقب في فلسطين، وهذا ينافق الواقع، لكن ما يرجح وجود جبل حوريب هو إطلاق اسم طور سيناء على الجبل الذي تلقى فيه النبي موسى عليه السلام

الرسالة، إضافة إلى وجود الواد المقدس طوى، إضافة للقاء الذي حدث بين موسى عليه السلام والعبد الصالح قرب البحر والذي ورد ذكره في سورة الكهف، إضافة لوجود المديانيين الذين صاهم لهم موسى عليه السلام وهم على الجانب الشرقي من خليج العقبة.

ومع ذلك فإن ما يُطرح بهذا الشأن ليس سوى افتراضات قد ترجم بعضها على بعض وقد يرجع غيرنا عكس ترجيحة، ويبدو من ظاهر الأشياء أن النبي موسى عليه السلام قاد بني إسرائيل في طريق يعرفه وهو الطريق الذي سار فيه ليصل إلى مديان، ثم في عودته إلى مصر تحلى الله له في جبل سيناء الذي يُسمى عند التوراتيين جبل حوريب، أو جبل الرب.

بنو إسرائيل في سيناء:

يقول تعالى: ﴿ وَجَنَّوْزَنَا بِيَقِنٍ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَغْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِ لَهُمْ ۚ قَالُوا يَمْوَسَى أَجْعَلُ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ ۖ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هُؤُلَاءِ مُتَّبِّعُو مَا هُمْ فِيهِ وَنَطَّلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغْيِرُ اللَّهُ أَغْيِرُكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَدَمِينَ ﴾ (سورة الأعراف: 138 - 140).

من الواضح تماماً أن بنى إسرائيل نجاهم الله من فرعون ومن البحر، ودخلوا سيناء، وب مجرد دخولهم مرّوا بقوم يعبدون آلهة أصناماً فدبّت الغيرة والذكرى في قلوبهم فطلبوا من النبي موسى أن يجعل لهم إلهًا مثل هؤلاء القوم.

ومن الواضح أيضاً أن بنى إسرائيل الذين قادهم النبي موسى عليه السلام إلى سيناء لا يعرفون شيئاً عن ديانة التوحيد، وقد ظنوا أن موسى عليه السلام قادهم ليصنع لهم عقيدة وثنية كما للمصريين وللأقوام الوثنية الأخرى، لذلك وصفهم النبي موسى عليه السلام بأنهم قوم يجهلون ولا يعرفون التمييز بين عقيدة وثنية وأخرى توحيدية.

ومن المعروف أن المصريين تميزوا بكثرة الآلهة الوثنية وقد تربى بنو إسرائيل في جو عقيدة المصريين ولم يعرفوا عقيدة التوحيد التي كان عليها يوسف والأنبياء وموسى عليهما السلام بل سرعان ما انقلبوا عن العقيدة إلى عقيدة أخرى.

ويبدو أنبني إسرائيل ظلوا يحاورون أنفسهم بشأن صنع إله لهم، وسار موسى عليه السلام بهم وترك القوم الذين يعبدون الأوثان حتى وصل إلى جبل سيناء الذي جرى فيه تنزيل الرسالة على النبي موسى عليه السلام.

بعد ذلك نواجه ما قاله التوراة بشأن الذات الإلهية والتجليات التي جاءت على ذكرها التوراة، وهي في مجملها تجسيد لذات الله وتجريف عليه، وسنرى كيف كان القرآن واضحاً في الحديث عن تجليات الذات الإلهية لموسى عليه السلام وكيف أنزل الرسالة عليه.

تقول التوراة: فلما كلام موسى الشعب بما قاله الرب قالوا كل ما تكلم به الرب فعله فقال الرب لموسى اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً وليرغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين، لأنه في اليوم ينزل الرب أمام عيون كل الشعب على جبل سيناء وتقيم للشعب حدوداً من كل ناحية وتحذرهم من أن يصعدوا إلى الجبل أو يمسوا طرفه لثلا يقتلوأ أو يرجموا أما عند صوت البوّاق فإنهم يصعدون إلى الجبل.

(خروج 19: 8 - 13).

وفي اليوم الثالث صارت بروق ورعود وسحاب ثقيل على الجبل ووقفوا أسفل الجبل، وكان جبل سيناء كله يدخن لأن الرب نزل عليه بالatar وارتجف كل الجبل جداً فكان صوت البوّاق يزداد اشتداداً وموسى يتكلم والله يحييه بصوت وأمر الله موسى أن يصعد إليه ومعه هارون وحذر الكهنة والشعب أن يصعدوا حتى لا يطش بهم.

ما الذي نفهمه من هذا النص؟ الواقع أن الذي نفهمه أن انفجاراً بركانياً وقع في جبل فصار يدخن ويهرتز وخاف الناس من الاقتراب إليه.

لكن الذي يفسد المنظر المرعب أن التوراة تقول إن الرب ينزل على الجبل أمام عيون كل الشعب، فكيف ينزل الرب على الجبل وكيف تراه عيون كل الشعب؟ فهل الله شكل محمد وحجم محمد حتى ينزل على الجبل، وهل الله سبحانه يُري نفسه للناس؟ أليست هذه وثنية وجرأةً على ذات الله.

وتقول التوراة: وحضر الكهنة، فهل كان كهنة في ذلك الوقت، إن الله لم يكن قد أمر موسى النبي بإجراءات أو طقوس ليقوم بها الكهنة. وقد تم اختيار هارون للكهنة فيما بعد وليس في هذا الوقت، ولكن يبدو أن كاتب التوراة غفل بسبب غباءه عن هذه المسألة فوق في الخطأ الفادح، ويبدو أن عقلية هؤلاء ما تزال مرتبطة بالمؤثرات الوثنية، ولعل كاتب التوراة لم يفارق تلك الوثنية الفجة.

ولنلاحظ ماذا تقول التوراة متابعة مسألة التجسيد والتجمسيم:

- 1 - فقال الرب لموسى ها أنا آتٍ إليك في ظلام السحاب. (خروج 19: 9).
- 2 - وأخرج موسى الشعب من المحلة للاقاء الله فوقوا في أسفل الجبل وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً. (خروج 19: 17 – 18).
- 3 - ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل. (خروج 19: 20).
- 4 - وكان جميع الشعب يرون الرعد والبرق وصوت البوّاق والجبل يدخن. (خروج 18: 20).
- 5 - وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله. (خروج 20: 21).
- 6 - ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهيو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشرافبني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا. (خروج 24: 10 – 11).
- 7 - وكان منظر مجد الرب كنار أكلة على رأس الجبل أمام عيونبني إسرائيل ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل وكان موسى في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة. (خروج 24: 17 – 18).

من الملاحظ أن التوراة تصر على التجسيم والتجسيد وتصور الإله حاضراً أمام عيونبني إسرائيل وهذا كله من وهم التأليف والمُؤلف. وليس هناك أي شيء

من الحقيقة حول ذلك ولو نظرنا إلى القرآن الكريم لوجدنا آياته تتحدث عن هذا المضمون ولكن بصورة لا تجسّد ولا تجسم ولا تخيل.

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَىٰ لِيمْقَنِنَا وَكَمْهُ، رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِّي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلِكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ أَسْتَقِرَّ مَعَكَاهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا بَعْدَ أَنْجَبَلَ جَعَلَهُ دَكَّاً وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف: 143).

فالله سبحانه يقول لنبيه لن تراني، وهذه حتمية قدرته. فكيف تقول التوراة أن الله كان أمام عيونبني إسرائيل يرونني عياناً.

ولننظر إلى قوله تعالى: ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فكيف يستقر الجبل وهو مخلوق من مخلوقات الله وهل يتحمل هذا المخلوق أن يتجلّى الله سبحانه بقدرته عليه. الواقع أن الآية تقول لنا فلما تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً. ويا للمنظر الرهيب الذي صعق النبي موسى لما رأه وغاب عن الوعي.

فكيف تستسهل التوراة لقاء موسى بربه عياناً وكيف تجرؤ على قوله إن عيونبني إسرائيل كانت ترى الله. فما هو هذا الإله الذي يُري نفسه للناس؟

ثم ما هذا الإله الذي تخته مكشوف وفوقه مكشوف، ويقولون كشبه عقيق تخته أو تحت رجليه شبه عقيق أزرق شفاف. إن كل هذه الأوصاف الوثنية استقاها كاتب التوراة مما فعله البابليون في معابدهم الوثنية. وكأنه يتصور إله بنبي إسرائيل كالإله مردوخ إله البابليين.

ويقول تعالى: ﴿وَأَخْنَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبِيعَنَ رَجُلًا لِيمْقَنِنَا فَلَمَّا أَخْذَهُمْ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْنَهُمْ مِنْ قَبْلٍ وَإِنِّي أَتَهْلِكُهُمْ أَمْ أَفْلَمُ أَسْفَهَهُمْ وَمَا إِنِّي هُنَّ إِلَّا فَنَنُكَ تُضْلِلُ بِهَا مَنْ شَاءَ وَتَهْدِي مَنْ شَاءَ أَنْتَ وَلِنَا فَاعْفُرْ لَنَا وَأَرْحَنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَفِيرِينَ﴾ (سورة الأعراف: 155).

لقد اختار موسى سبعين رجلاً من قومه ليشهدوا ماذا نزل على موسى من أوامر وليس لرؤيه الله كما تقول التوراة. وعلى الرغم من ذلك فقد أخذتهم الرجفة

أي الهزة الأرضية التي كادت تقضي عليهم لتنذرهم وتحذرهم وتذكرهم بما فعل السائرون منهم. ومن بنى إسرائيل على العموم.

ماذا تلقى النبي موسى من تعاليم وهو في ميقات الله؟

قبل أن ينزل الله سبحانه على موسى الشريعة التي كُتبَت حسب النص التوراتي على لوحين تفرد التوراة عدداً من الإصحاحات وهي 25 - 26 - 27 - 28 - 29 - 30 - 31 للحديث عن صناعة تابوت العهد. وتأتي على تفصيلات دقيقة تُدخل القارئ في متأهّلات كبيرة. ولعل ما يلفت النظر في هذه الإصحاحات التركيز على الذهب كعنصر أساسي في صناعة هذا التابوت وهو صندوق لا يتجاوز طوله السبعين سنتراً وعرضه الخمسين سنتراً.

وإذا نظرنا إلى هذه الإصحاحات لا نجد فيها أي تشريع ولا نصوص تتحدث عن العقيدة بأبوابها الواسعة، سوى الحديث عن يوم السبت والاستراحة فيه لأنهم يعتقدون كما تقول التوراة أن يوم السبت كان يوم استراحة للرب (وفي اليوم السابع استراحة وتنفس) خروج 31: 17 وحول هذه الأوصاف التي تحدث عنها التوراة يرد ألف سؤال وسؤال.

فمن أين جاء بنو إسرائيل بالذهب والفضة. وكيف تم الحصول على نقوش حجارة وترصيع وكيف تمت نجارة الخشب ومذبح البخور ومذبح المحرقة والقاعدة والثياب المنسوجة والثياب المقدسة لهارون الكاهن - حسب وصف التوراة.

وكيف تمت صناعة مذبح إيقاد البخور من خشب السنط. وهل يوجد خشب سنط في صحراء سيناء؟ وعندما تقول التوراة: تغشيه بذهب نقى سطحه وحيطانه حواليه وقرونها وتصنع له إكليلًا من ذهب حواليه وتصنع له حلقتين... الخ. فإن هذه الأوصاف التي ينسبون الله تفصيلاتها ليست سوى أوصاف المعابد الوثنية التي رأها كاتب التوراة في بابل.

وحقيقة التابوت تقول إنه صندوق عادي صنعه النبي موسى ليحفظ فيه ما تبقى من الألواح وبعض الأدوات كالعصا التي أفادت النبي موسى في عدة مواقف، ووعاء الماء والسلوى كما تقول التوراة.

والملهم في هذه الأسفار وهي سبعة أسفار أنها تكرس لوصف هذا التابوت داخلاً وخارجًا.

يبينها لا تعير هذه الأسفار أي أهمية للغاية التي ذهب من أجلها النبي موسى لتلقي الرسالة.

ويبينها كان النبي موسى النبي في ميقات ربه الذي استغرق أربعين يوماً وأربعين ليلة إذا ببني إسرائيل ينحازون إلى عقيدة أخرى. وتذهب كل مواثيقهم هباءً مشورةً. وكأنهم ما عاهدوا ولا قالوا: (نستمع لكل كلام رب).

فبمجرد شعورهم بأن النبي موسى النبي قد أطاح بالكتاب على الجبل راحوا يفتشون صيغة جديدة للإله.

تقول التوراة: «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم وأندوني بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأندوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلًا مسبوكًا. فقالوا هذه آهنتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما رأى هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون وقال غداً عيد للرب» (خروج 32: 1 - 5).

فهذا النص يشير إلى أن النبي هارون كفر بربه الواحد وانحاز لعبادة الوثن أو الصنم الذي هو عجل من ذهب، ولم يأتوا على ذكر السامري الذي صنع العجل. ومن الطبيعي أن هارون النبي نبي مرسل وحاشا أن يفعل كما قالت التوراة.

وفي المقاطع التالية في التوراة يُنسب إلى النبي موسى النبي تحمل مسؤولية انحراف بنى إسرائيل إلى أخيه هارون، ثم تبين التوراة أن هارون ضعيف الشخصية

استطاع بنو إسرائيل إخضاعه وإقناعه بصناعة هذا العجل. وبهذا غير صحيح وتلفيق وتشويه للنبي هارون عليه السلام.

وترتبط قصة العجل بقصة الألواح التي كتبت عليها الشريعة.

تقول التوراة في ذلك: «قال رب موسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر زاغوا سريراً عن الطريق الذي أوصيتم به صنعوا لهم عجلأً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر» (خروج 32: 7 - 8).

وتتابع التوراة: «فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده، لوحان مكتوبان على جانبيها من هنا ومن هنا كانا مكتوبين واللوحان هما صنعة الله والكتابية كتابة الله منقوشة على اللوحين» (خروج 32: 15 - 16).

وتقول: «وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص. فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذرّاه على وجه الماء وسقىبني إسرائيل» (خروج 32: 19 - 20).

وقال موسى لهارون: «ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطيبة عظيمة» (خروج 32: 21).

وفي هذا النص عدة مسائل:

- 1 - نزل النبي موسى من الجبل ومعه لوحان وليس ألواحاً.
- 2 - تقول التوراة اللوحان هما صنعة الله والكتابية منقوشة على اللوحين.
- 3 - كسر النبي موسى اللوحين في أسفل الجبل.
- 4 - أخذ العجل الذهبي وأحرقه بالنار وطحنه وذرّاه على وجه الماء وسقىبني إسرائيل.

وحيثما نبدأ من المسألة الرابعة نتساءل لماذا طحن النبي موسى العجل الذهبي ثم رشه على وجه الماء ثم سقىبني إسرائيل من الماء.

وإذا كان العجل مصنوعاً من الذهب فهل يطفو فوق سطح الماء حتى لو كان مطحوناً كالطحين لماذا سقى موسى بنى إسرائيل من الماء الذي رش عليه الذهب المطحون. وما غايته من ذلك؟ بالطبع لا نجد تفسيراً لذلك، إنما نخمن الأمور تخميناً والله أعلم هل فعل موسى ذلك أم لم يفعل.

وإذا فعل ذلك فإن ما يبدو من القصة هو عقاب بنى إسرائيل أولأ ثم البرهان على أن ما عبدوه لا ينفع ولا يضر.

أما المسألة الثالثة، فإن التوراة تورد أن النبي موسى كسر اللوحين. بمعنى أن كل ما كتب من تشريع ضاع بسبب تكسير اللوحين.

أما المسألة الثانية، فتقول التوراة إن اللوحين من صنع الله والكتابة كتابة الله. وકأن الله سبحانه خادم لبني إسرائيل يصنع لهم لوحين ويكتب عليهم بما يبيده، فهو ليس عنده ملائكة يكتبون ويصنعون وليس الله قادرًا بأسطع أنواع خلقه أن يقول للشيء كن فيكون. فهذا الكلام التوراتي معهود لدى أصحابه وهو تجسيم وتشبيه وغباء من كاتب التوراة التي ظل الحسن الوثني البابلي مسيطرًا على دماغه.

ويرى الباحثون في التراث الكنعاني أن الجملة التوراتية التي تقول أحرقه بالنار وطحنه وذرّاه على وجه الماء موجودة في الأساطير الكنعانية التي اكتشفت في أوغاريت بالمعنى نفسه.

ويبدو أن كاتب التوراة الذي اطلع على الحضارة البابلية وأختها الكنعانية استعار مثل هذه الجملة ووضعها في توراته التي ألفها.

النص القرآني وقصة العجل والألواح

تعتبر قصة العجل بالنسبة لبني إسرائيل من أبرز القصص التي تناولها القرآن الكريم فهي محطة بارزة في حياة بنى إسرائيل كونها تشير إلى عدم إيمانهم بالله الواحد الأحد وكونها تشير إلى أن بنى إسرائيل ما زالوا متاثرين بعبادة المصريين الوثنية.

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخْذَنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: 51).

ويقول تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ إِنِّي نَخَذُ كُمُّ الْعِجْلَ﴾ (سورة البقرة: 54).

ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَخْذَنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: 92).

ويقول تعالى: ﴿قَالُوا سَيِّئَاتٍ وَعَصَيَّنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُثْرَهُمْ﴾ (سورة البقرة: 93).

ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَخْذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُ تَهْمُمُ الْبَيْتَنَ﴾ (سورة النساء: 153).

ويقول تعالى: ﴿أَخْذُوا الْعِجْلَ سَيِّئَاتٍ لَهُمْ عَصَبَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (سورة الأعراف: 152).

ويقول تعالى: ﴿قَوْمٌ مُؤْسَنٌ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلَّهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوار﴾ (سورة الأعراف: 148).

ويقول تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوار﴾ (سورة طه: 88).

فكما رأينا لقد ورد الحديث عن العجل الذي عبده بنو إسرائيل في ثمانى آيات

وبعدة سور.

ويقول تعالى: ﴿فَكَذَلِكَ الَّتِي أَسَامِيٌ ﴾٨٧﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾٨٨﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قُوَّلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾٨٩﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَرُونُ مِنْ قَبْلِنِي نَقُورُ إِنَّمَا قُنْتَشَمْ بِهِ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَأَتَيْعُونِي وَلَا طَعُوا أَمْرِي ﴾٩٠﴿ قَالُوا لَنْ تَبْرَحَ عَلَيْهِ عَلِيكُفَنْ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾٩١﴿ قَالَ يَهُرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتُمْ صَلُوانًا ﴾٩٢﴿ أَلَا تَبْيَعُنَّ أَفَصَيَّتَ أَمْرِي ﴾٩٣﴿ قَالَ يَبْنِيُومَ لَا تَأْخُذْ بِلِحْقِي وَلَا يَرْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولُ فَرَقَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقِبْ قُولِي ﴾٩٤﴿ قَالَ فَمَا حَطَبُكَ يَسَمِيرِي ﴾٩٥﴿ قَالَ بَصَرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصِرُوا بِهِ، فَقَبَضْتُ بَقْضَةً مِنْ أَثْرِ الرَّسُولِ فَقَذَثَاهَا وَكَذَلِكَ سَوَّتْ لِي نَفْسِي ﴾٩٦﴿ قَالَ فَأَذَهَبْتَ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَامْسَاسٌ وَلَنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلِفَهُ، وَأَنْظُرْ إِلَيْكَ إِلَيْكَ الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْحِرِقَنَهُ ثُمَّ لَنْسِفَنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (سورة طه: 87 - 97).

ومن خلال الآيات السابقة نتبين ما يلي:

١ - عبد بنو إسرائيل العجل على الرغم من البيانات التي بينها الله لهم على أنه الواحد الأحد. وهي بيانات عديدة وفي كليتها معجزات إلهية خارقة لนามوس البشر.

٢ - تشرب بنو إسرائيل عبادة العجل من زمن وجودهم في مصر واستمروا على حبهم لعبادته.

٣ - تبين أن السامري هو من صنع لهم هذا العجل وليس للنبي هارون أية صلة بذلك كما قالت التوراة واتهمته أنه هو من صنع العجل.

والواقع حين ندرس عبادات الفراعنة نجد أن أحد آهتمهم العجل الذي كانوا يسمونه أوبيس وقد تأثر بنو إسرائيل بهذه العبادة وظللت ملتصقة بذفوسيهم حتى بعد أن رأوا معجزات الله التي أجرأها لإنقاذهم.

و جاء في البداية والنهاية أن رجلاً من بنى إسرائيل يقال له هارون السامري أخذ ما كان استعاره من الخلي فصاغ منه عجلًا وألقى فيه قبضة من التراب كان قد أخذها من أثر فرس جبريل حين رأه يوم أغرق الله فرعون على يديه، وقيل كانت الريح إذا دخلت دربه خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة فيرقصون حوله ويفرحون.

وحين التقى النبي موسى بأخيه هارون قال له: هل لا رأيت ما صنعوا اتبعوني فأعلمك بما فعلوا؟! فرد هارون عليه: إني خشيت أن تقول خرقت بين بنى إسرائيل أي تركتهم وجئتني وأنت قد استخلفتني فيهم. وكان هارون قد نهاهم عن فعل هذا الصنبع الفظيع أشد النهي وزجرهم عنه أتمّ الزجر وطلب منهم أن يطيعوه فلم يطعوه ولم يتبعوه^(١).

ثم أقبل النبي موسى إلى السامري فقال: ما خطبك؟ ثم تحدث ابن كثير عن قصة السامري وكيف أخذ قبضة من أثر الرسول ووضعها في صنع العجل الذهبي،

(١) ابن كثير / البداية والنهاية الجزء ١ ص 254 - 255.

وقد عاقب موسى السامری حيث دعا عليه أن لا يمس طوال حياته وله حساب يوم القيمة.

الواح أم لوحان

تذكر التوراة مراراً أن الله أعطى النبي موسى لوحين مكتوب عليهما كثیر من التشريعات ويدرك القرآن الكريم عدة ألواح وليس لوحين.

﴿وَالَّقَى الْأَلْوَاحَ وَلَخَدَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَعُوذُ إِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أَمَّ إِنَّ الْقَوْمَ أَسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْتِمْ بِالْأَغْدَاءِ وَلَا يَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 150).

﴿وَلَمَّا سَكَنَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (سورة الأعراف: 154).

تقول التوراة إن موسى كسر اللوحين. وقد أبدله الله غيرها وليس في القرآن ما يدل على ذلك. وليس في اللفظ ما يدل على أن الألواح قد تكسرت. وهنا لابد من التوقف عند الحديث عن الألواح في القرآن الكريم واللوحين في التوراة.

تقول التوراة إن الله أمر موسى أن يصنع لوحين آخرين بدل اللوحين اللذين كسرهما «قال رب لموسى انتح لك لوحين من حجر مثل الأولين فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما» (خروج 34: 1).

وتقول التوراة: فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر.

وتقول التوراة: (ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين يا صبيع الله). (خروج 23).

وفي التوراة السامرية: كان اللوحان من الجوهر.

ومن خلال قول التوراة: «فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر». نستدل على أن ما كتب في لوحى التوراة عبارة عن كلمات قليلة باعتبار أنها عشر كلمات.

والصدق في الأقوال التوراتية يرى أن اللوحين كانوا في يد موسى النبي عندما نزل من الجبل. ثم عندما طرحتهما كانا في يديه الاثنين. وهذا يعني أن اللوحين من حيث الحجم صغيران. بينما نرى أن ما ورد في أسفار موسى الخمسة حسب قول التوراة يحتاج إلى عشرات الألواح. على الرغم من قول التوراة أن اللوحين كانوا مكتوبين على الوجهين وكل ذلك لا يتسع لهذا التشريع وهذه الأسفار التي ينسبونها لموسى النبي.

أما القرآن الكريم فيقول الله عز وجل فيه. ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَقُذْدَهَا يُفْوَهُ وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سُؤْرِيَّكُوْ دَارَ الْفَسِيقِينَ ﴾ (سورة الأعراف: 145). فالألواح حوت مواعظ عن كل شيء مما يحتاجون له من أمر الدين والدنيا. وهذه الموعظ هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين. والتفصيل هو تبيان للأحكام وعندما نعود إلى قول التوراة إن موسى كسر الألواح وأن الله أعاد كتابة التشريع المosoوي على لوحين جديدين ثم أعطاهما لموسى. نرى أن موسى النبي لن يقدم على كسر الألواح بعد أن مكث أربعين يوماً وهو في تربية روحية فريدة ولا يعقل أن يفرط بها مهما كان السبب.

أما القرآن الكريم فيقول وألقى الألواح ولا يعني أنها تكسرت. وعندما ذهب الغضب عن النبي موسى أخذ الألواح. أما قول التوراة بأن الله كتب له لوحين جديدين مرفوض والأصح ما قاله المحدثون بأن الألواح كانت سبعة فرفع منها ستة أسابيع وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من أخبار الغيب وبقي منها من المواعظ والأحكام والحلال والحرام⁽¹⁾.

وعندما ينسبون لموسى النبي الأسفار الخمسة ومنها سفر التكوين الذي يتحدث عنها سبق فإنهم خاطئون. لأن سفر التكوين دخل عليه التأليف والتحريف. لأن الألواح التي ألقاها موسى فقد منها ما يخص الغيبيات وبقي التشريع.

(1) محمد طه الدرة: تفسير القرآن وبيانه وإعرابه، مجلد 5 ص 86.

من جانب آخر فإن ذهاب موسى النبي إلى ميقات ربه ورد في الإصلاح 31 - 32 من سفر الخروج. وهذا يعني أن ما دُون في التوراة في سفر الخروج من الإصلاح الأول وحتى الثلاثين كتب قبل أن تنزل الألواح فكيف دُونت واعتبرت من أسفار موسى الخمسة التي أنزلت عليه، هل كتبها قبل أن تنزل الرسالة عليه أم أن هذه الإصلاحات ليست مما نزل على موسى لأن ليس بها أحكام ولا تشريع ولا حلال ولا حرام. أما كيف احتوى سفر التكوين على قصص الخلق وأدم وأولاده وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وأولاده وي يوسف فإن ذلك جاء من خلال التناقل الشفهي بين بني إسرائيل. ولا ريب أن موسى وهارون عليهما السلام ظلا يعلّمان بني إسرائيل التشريع وقصص الكون والخلق والأنباء الأولين حسبما علمهما إياها ربُ العالمين وذلك من خلال استمرار الوحي والتعليم الإلهي لموسى وليس شرطاً أن يكون ذلك مما كُتب في اللوحين أو الألواح⁽¹⁾.

وبعد تلقي النبي موسى النبي الألواح راح يلقن بني إسرائيل التشريع. وها نحن مرة أخرى نرى التوراة تعود إلى تجسيد ذات الله بتصورات وخيالات ليس لها علاقة بالحقيقة.

- 1 - فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التي خارج المحلة.
- 2 - وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة، ويتكلم الرب مع موسى.
- 3 - ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه.
- 4 - فقال (الرب) وجهي يسير فأريحك فقال له إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من هنا.

5 - فقال أرنى وجهك... فقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش وقال الرب هوذا عندي مكان فتفق على الصخرة ويكون متى اجتاز

(1) دحسن الباش: الكتاب والتوراة/ ص 13.

مجدي إني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز ثم أرفع يدي
فتنظر ورائي أما وجهي فلا يُرى.

6 - فنزل الرب في السحاب فوقف عنده هناك ونادى باسمه رب فاجتاز الرب
قدامه فأسرع موسى وخرّ إلى الأرض وسجد.

وبقية إصلاحات سفر الخروج بدءاً من الإصلاح الخامس والثلاثين وحتى
نهاية سفر الخروج حديث ملّ ومفصلٌ عن صناعة تابوت العهد وقد عهد النبي
موسى لرجل اسمه بصلٌّمٌثيل لصناعة هذا التابوت والألبسة الخاصة بالكهنة الذين
انتقاهم النبي موسى وهم من أولاد النبي هارون عليهما السلام.

وإذا عدنا إلى القرآن الكريم وتتبعنا سيرة النبي موسى عليه السلام مع بنى إسرائيل

نرى من البداية حتى النهاية الأمور التالية:

1 - موسى عند فرعون وقد تحدثنا عنه في صفحات سابقة.

2 - موسى والخروج وتحدثنا عنه في صفحات سابقة.

3 - موسى في سيناء وعبادة العجل من قبل بنى إسرائيل وقد ورد ذلك قبلاً.

4 - موسى والألواح والشريعة وقد سبق ذكره.

5 - كتاب موسى والتوراة.

6 - الطلب من موسى أن يروا الله جهراً.

7 - استسقاء موسى لقومه وضرب الحجر لينفجر ماء.

8 - لن يصبروا على طعام واحد.

9 - قصة البقرة.

10 - قصة قارون. وهو من قوم النبي موسى عليه السلام.

11 - نتق الجبل على بنى إسرائيل.

12 - قصة النبي موسى والعبد الصالح.

13 - ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم. أين هي الأرض المقدسة؟

النبي موسى بين الكتاب التوراة

يرد في القرآن الكريم أربع مصطلحات تخص النبي موسى عليه السلام. وهي الصحف، والألواح والكتاب ومصطلح يخص بني إسرائيل وهو التوراة. وقد جئنا على ذكر شيء فيها يخص الألواح. ويبقى لدينا حديث عن مصطلح الصحف والكتاب والتوراة.

ذكر الله سبحانه الصحف في قوله تعالى: ﴿صُّحْفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (سورة الأعلى: 19).

فهل هذه الصحف ترتبط بالتوراة أو بكتاب موسى عليه السلام؟ يقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَهُ وَذَكَرَ أَسْمَهُ رَبِّهِ، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْلَى تُؤْتَرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٦) ﴿إِنَّ هَذَا لِفَيْ الصُّحْفِ الْأُولَى﴾ ﴿صُّحْفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (سورة الأعلى: 14 - 19).

صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام حوت تلك الأشياء. وأعتقد أن الله سبحانه لما أمر موسى بالذهب إلى فرعون كان متسلحاً بذلك الصحف. وليس المقصود الصحف المكتوبة إنما قد تكون كلاماً توجيهياً ألقاه الله على موسى في أول خطوة نبوية خطتها وهي تبليغه بأن يذهب إلى فرعون الذي طغى وقال أنا ربكم الأعلى.

وتتضمن هذه الصحف التعريف بوحدانية الله والإيمان بالآخرة وتأدبة الفرائض وبعث الأموات. وهذه القضايا تحدث بها النبي موسى عند فرعون قبل أن ينزل عليه الله سبحانه الكتاب. وليس من إشارة إلى هذه الصحف بالتوراة ولا في أي مصدر آخر غير القرآن. أما الكتاب، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موقعاً من القرآن الكريم وفي كل موقع كانت كلمة كتاب تقترن باسم النبي موسى عليه السلام.

يقول تعالى:

﴿وَإِذَا أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهَذَّدُونَ﴾ (سورة البقرة: 53).

﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ وَفَقَيْتَنَا مِنْ بَعْدِهِ بِإِلَرْسُلٍ﴾ (سورة البقرة: 87).
﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَبَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ (سورة الأنعام: 91).
﴿ثُمَّ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَقْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (سورة الأنعام: 154).
﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ (سورة هود: 17).
﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ﴾ (سورة هود: 110).
﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِ إِسْرَائِيلَ﴾ (سورة الإسراء: 2).
﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ لِعَاهُمْ يَنْهَاذُونَ﴾ (سورة المؤمنون: 49).
﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ بِوَجْهِنَا مَعْهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزَيْرَانَ﴾ (سورة الفرقان: 35).
﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكَنَا الْقُرُونُ الْأُولَى﴾ (سورة القصص: 43).

﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ فَلَا تَكُنْ فِي مُرِيقَةٍ مِنْ لَقَائِيهِ﴾ (سورة السجدة: 23).
﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَبَ فَأَخْتَلَفَ فِيهِ﴾ (سورة فصلت: 45).
﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ (سورة الأحقاف: 12).

بيتها ارتبطت كلمة كتاب ببني إسرائيل عدة مرات. ووردت كلمة أهل الكتاب مرات عدة ويقصد بها اليهود والنصارى. فالكتاب الذي أنزل على النبي موسى عليه السلام مثل أي كتاب سماوي أنزله الله على أنبيائه يعني كتنزيل الإنجيل وتنزيل القرآن الكريم. لكن يبدو أن كلمة آتينا التي خصت الكتاب تدل على أن الله سبحانه آتى موسى الكتاب دفعة واحدة كما أنزل الإنجيل على سيدنا عيسى دفعة واحدة بينما القرآن نزل منجماً على 23 سنة.

ومن خلال الآيات التي مرت معنا نستدل على أن هذا الكتاب الذي أنزل على النبي موسى عليه السلام هو نور وهدى. وعلى أحسن ما يمكن وهو إمام ورحمة يقتدي به. وهو هدى لنبي إسرائيل. وقد اختلف اليهود في هذا الكتاب، والاختلاف حاصل من

عدة وجوه. فهل اختلفوا في أحکامه وتشريعاته؟ أم اختلفوا في وجوده وعدم وجوده؟
أم اختلفوا في كونه منزلًا من الله أم أنه من صنع موسى القطّل؟
وفي هذا الإطار لابد أن نطرح الأسئلة التالية:

هل كتاب النبي موسى هو نفسه ما كتب على الألواح؟
هل كتاب موسى القطّل هو نفسه التوراة؟
ما علاقة كتاب موسى بالأسفار الخمسة من التوراة؟
وهل من الممكن القول إن كتاب موسى والتوراة المنزلة هما التوراة التي بين
أيدينا اليوم؟

يبدو أن الألواح وأعدادها غير معروفة. فربما كانت سبعة ألواح كما ورد في بعض كتب الحديث أو التفسير. فإذا كان كل لوح قد كتب عليه بعض قضايا التشريع واستكملت على لوح آخر فإن مجموع ما كتب على الألواح شكل ما يسمى كتاب النبي موسى. هذا إذا استبعدنا تماماً ما قالته التوراة عن أن عدد الألواح فقط لوحان.

ومع هذا الافتراض فإن رأياً آخر يقول لنا إن الألواح أو ما كتب فيها قد نُسخ، ولهذا قالوا فإن تفسير قوله تعالى (وفي نسختها) أي أن للألواح نسخة مكتوبة غير ما كتب على الألواح. ويزخر لنا رأي آخر يقول إن الكتاب غير الألواح تماماً إذ هو كتاب أنزل على النبي موسى ككتاب مدون.

وما يهمنا من الحديث عن الألواح أن الله سبحانه أنزل كتاب موسى القطّل عليه دفعة واحدة. والله أعلمكم عدد صفحاته وما حواه بالتفصيل، ولا ندرى سوى أنه آتاه الله للنبي موسى ليهدى بنى إسرائيل إلى طريق الحق في العقيدة والتشريع.

رأي في لغة كتاب موسى القطّل:

يقول اليهود إن ما أنزل على موسى القطّل. في الألواح كان قد كتب باللغة العربية ويعتبرون هذه اللغة أشرف اللغات لأن الله أنزل الكتاب والتوراة بها.

والواقع أن هذا الكلام مرفوض علمياً وتاريخياً وأثرياً. أما لماذا هو مرفوض فإن ذلك لأسباب عديدة:

- 1 - لم يكن الحرف العربي موجوداً ولا اللغة العبرانية موجودة في زمن موسى عليه السلام.
- 2 - لم تكن لغة النبي موسى التي تحدث بها مع فرعون والمصريين سوى اللغة التي تعلمها في مصر ثم اختلطت بلغة أهل مدين العربية.
- 3 - يعتبر بنو إسرائيل من القبائل التي تحدثت لغة كنعان وهي اللغة التي كان يتكلّم بها يعقوب وأولاده حين كانوا يخيمون ويرعون أغنامهم بالقرب من مدينة نابلس التي كانت تسمى شكيم.
- 4 - كان النبي موسى وحده الذي يعرف ماذا أنزل الله ولم يطلع بنو إسرائيل على كتابه ولا على ما أنزل عليه. إنما كان موسى يلقنهم التعاليم بلسانه وبلغتهم دون أن يعطيهم أي شيء مادي من التعاليم ليطّلعوا عليه.
- 5 - بعد وفاة النبي موسى عليه السلام لم يعرف أحد أين اختفى كتابه. هل فعلًا ظل محفوظاً في تابوت العهد أم أن بني إسرائيل سرقوه وأخفوه حتى لا يظلوا مطالبين بتعاليمه وبتشريعه.
- 6 - تقول التوراة في آخر سفر التثنية: ولم يقم من بعده النبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه. فهذه هي شهادة لم يكن من الممكن أن يدلي بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة، بل هذه شهادة شخص عاش بعده بعده قرون وقرأ عن أنبياء عديدين بعد موسى^(١).

ويرى الفيلسوف سبينوزا أن سفر التثنية الحالي هو السفر الوحيد الذي يمكن نسبته إلى موسى عليه السلام لأنّه قد احتوى على الشريعة التي شرحها النبي موسى. إلا أن ما أضيف عليها يأتي في آخر السفر، خاصة عندما يقول السفر (ولم يقم من بعده النبي في إسرائيل) الخ وقد حوى هذا السفر وصايا خلقية

(1) باروخ سبينوزا: رسالة في اللاهوت. ترجمة محمد الشرقاوي / مقارنة بين أديان بحوث ودراسات ص 78.

وآداباً شرعية لا ريب أن فيها بقية وحي وأثار نبوة لأنها من معدن التعاليم والآداب التي يدعو الأنبياء لها^(١).

أما بالنسبة للاختلاط بين كتاب موسى والتوراة:

فنرى أن الكتاب غير التوراة، لقد آتى الله موسى الكتاب وأنزل التوراة الحقيقة. والتوراة وهي التعاليم أنزلت على النبي موسى شفاهية من غير كتاب. إذ أن الله سبحانه بعد آن آتى موسى الكتاب ظل الوحي يتزل عليه ويعلمه ويوحى إليه من دون كتابة.

أما ما يقال من أن التوراة العبرانية المؤلفة من 39 سفراً هي كلام الله. فهذا مرفوض، لأن ما جاء في التوراة بعد الأسفار الخمسة الأولى ليست كتبة دينية وإنما هيأسفار تاريخية وأسفار شعرية ونسبت إلى أزمان متبااعدة. سجلت تاريخ بنى إسرائيل ومن لفالفهم منذ وفاة موسى وظهور يوشع بن نون إلى آخر الشخصيات التي ظهرت بعد النفي البابلي. ولا ننسى أن هذه التوراة العبرانية دونت في منتصف القرن السادس أيام وجود بنى إسرائيل في بابل والفرق الزمني بين وجود موسى وتدوين التوراة لا يقل عن ستةمائة إلى سبعمائة سنة.

لقد ورد ذكر كلمة التوراة في القرآن الكريم في تسعه عشر موضعأً لم يقترن اسم التوراة فيها باسم النبي موسى. ولربما أنزلت التوراة على عدد من الأنبياء ومنهم موسى العظيم وقد ورد في التوراة أن التابوت حوى الوعاء الذي يخص المنشق عصا موسى ولوحي العهد وكان عليهما وصايا الله العشر ثم وضع بجانبه كتاب التوراة، وهذا يعني أن اللوحين وما حوياهما من تعاليم هو غير التوراة.

ولكن لابد أن نتساءل متى أنزلت التوراة؟ الواقع أننا لابد أن نشير إلى أن التوراة وهي تعاليم واسعة قد تلقاها النبي موسى شفاهية وعلمتها بنى إسرائيل ولكنها لم تكن مكتوبة مثل الكتاب.

(١) المرجع السابق/ الشرقاوي/ مقارنة أديان بحوث ودراسات ص 78.

وقد تنبأ النبي موسى الكتاب بأن بني إسرائيل سوف يزيفون عن طريقه ويحرفون كلام الله، وقد جاء في سفر التثنية ما يشير إلى ذلك، فقد جاء على لسان موسى في هذا السفر ما نصه: «وقال رب لموسى هذا أيامك قد قربت لكي الموت ادع يشوع وقفوا في خيمة الاجتماع لكي أوصيهم فانطلق موسى ويشوع ووقفا في خيمة الاجتماع وقال رب لموسى ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجانبين في الأرض التي هو داخل إليها فيها بينهم ويتذكرني وينكث عهدي الذي قطعه معه» (التثنية 31: 14 - 16).

ويقول: فعندما كمل موسى كتابة الكلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الله قائلًا: «خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الله لكم يكون هناك شاهداً عليكم لأنني أنا عارف تم ردكم ورقبكم الصلبة هؤلا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاصدوني الله لكم بالحري بعد موتي. اجمعوا إلي كل شيخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق في مسامعكم بهذه الكلمات فأشهد عليهم السماء والأرض لأنني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيفون عن الطريق الذي أوصيتكم به» (التثنية 31: 24 - 29).

وبحسب هذا النص يشار إلى أن موسى الكتاب قبل أن يموت بأيام كتب لبني إسرائيل هذه التوراة حسب ما جاء في النص. وهذا يعني أن كتاب موسى الكتاب الذي آتاه الله في سيناء وفي جبل الطور تحديدًا سبق كتابة التوراة بثمانين سنة. وهذا ما نصت عليه التوراة.

لكننا نؤمن بأن الله سبحانه أنزل التوراة الأصلية على سيدنا موسى والأنبياء شفاهية من خلال الوحي وليس من خلال الكتابة في كتابه.

موسى الكتاب وقصة البقرة:

يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذَبَّحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنَّدَخَذْنَا هُرُواٰ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَنَاحِلِينَ ﴾١٧﴾ ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَارَيَكَ يَبْيَسِنَ لَنَّا مَا هُنَّ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكُوْنُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمِنُونَ ﴾١٨﴾ ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَارَيَكَ

يَبْيَنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِلَهُمْ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا سُرُّ الظَّنِيرِينَ ٦٦
 قَالُوا أَقْعُ لَنَارِكَ يَبْيَنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَّهَ عَيْنَاهَا إِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْهَدُونَ ٦٧
 يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُولٌ شَيْرُ الْأَرْضَ وَلَا شَنَقِ الْمَرْثُ مَسْلَمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا إِنَّا لِلنَّ حِتَّ بِالْحَقِّ
 فَذَجَوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ٦٨ وَإِذْ قَلَّتِ الْمُنْفَسَ فَادَرَهُ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ مُغْرِيٌّ مَا كَنْتُمْ تَكْنِمُونَ ٦٩
 فَقُلْنَا أَخْرِيُوهُ بِيَعْصِيَ كَذَلِكَ يُعْنِي اللَّهُ الْمَوْنَ وَبِرِيَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٧٠ (سورة
 البقرة: ٦٧ - ٦٩).

و قبل أن نتحدث عن القصة وأبعادها لابد أن نشير إلى بعض الأمور في هذه الآية:

- 1 - موسى عليه السلام يقول إن الله يأمركم، بينما هم يقولون ادع لنا ربكم، ويكررونها ثلاث مرات، وكان هناك فصلاً بين من يؤمن به النبي موسى ومن يؤمنون به، ويفسر أن العلاقة بينبني إسرائيل والله علاقة باهتة، أو هي علاقة هامشية. فرب موسى ليس لهم علاقة به ولو كان لهم علاقة به لقالوا ادع ربنا أو ادع إلينا أو ادع الله. على العموم.
- 2 - قوله تعالى وما كادوا يفعلون: دليل على أنهم ذبحوها وهم غير مقتنيين بكلام نبيهم.
- 3 - يظهر تماماً أنهم لا يعرفون لماذا أمرهم النبي موسى بذبح البقرة. ولكن الغاية منها أن يظهر مسألة أكبر من ذبح البقرة وهي كشف الجريمة التي حاولوا إخفاءها وإخفاء من فعلها.

أما القصة: فهي كما رواها ابن عباس وغيره. أن رجلاً منبني إسرائيل كان كثير المال وكان شيئاً كبيراً له بنو أخيه وكانوا يتمنون موته ليرونه فعمد أحدهم فقتله في الليل وطرحة في جمع الطرق، ويقال على باب رجل منهم. فلما أصبح الناس اختصموا فيه وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويختلس، فقالوا: ما لكم تختصمون ولا تأتون نبي الله. فجاء ابن أخيه فشكراً أمر عممه إلى النبي موسى عليه السلام فقال موسى أنسد الله رجلاً عنده علم من أمر هذا القتيل إلا أعلمنا به، فلم يكن

عند أحد منهم علم منه وسأله أن يسأل هذه القضية ربه عز وجل، فسأل ربه عز وجل في ذلك فأمره الله أن يأمرهم بذبح بقرة قالوا: أتخذنا هزواً. يعنون نحن نسألك عن أمر هذا القتيل وأنت تقول هذا. قال المحدثون: لو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم. ويقال إنهم لم يجدوا البقرة بتلك الصفات إلا عند رجل منهم كان باراً بأبيه فطلبوها منه فأبى عليهم فأرحبوه في ثمنها. ثم ذبحوها. ثم أمرهم أن يضربوا بذلك القتيل ببعضها. فلما ضربوه ببعضها أحياء الله فقام وهو يشتبه عروقه التي في العنق فسأله نبي الله موسى: من قتلك؟ قال قتلني ابن أخي، ثم عاد ميتاً. وبين لهم النبي موسى أن الله يحيي الموتى كما أحياناً هذا الرجل وعليكم بالإيمان بالبعث وإحياء الموتى، لأنهم كانوا يشكّون بإحياء الموتى، وكان إيمانهم ضعيفاً بذلك.

في سيناء عجائب ومعجزات وتمرد:

يورد القرآن الكريم العديد من الحوادث التي حدثت لبني إسرائيل في سيناء ويوضح منها أنهم كانوا يطلبون من النبي موسى أموراً في غاية الغرابة:

- 1 - الطلب من موسى الكتلة أن يروا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون.
- 2 - ظلل عليهم الغمام من حر الشمس.
- 3 - أنزل عليهم المن والسلوى.
- 4 - العصا تضرب حجراً فينفجر اثنتي عشر عيناً من الماء العذب.
- 5 - عدم صبرهم على طعام واحد.

طلب بنو إسرائيل من موسى أن يروا الله جهرة. لأنهم في مصر تعودوا أن يروا الآلهة الوثنية وقد مثلها المصريون ونصبواها في كل مكان، بل ألهوا فرعون واعتقدوا أنه الإله أو ظلُّ الإله في الأرض لذلك طلبوا أن يتعرفوا على إله موسى لاعتقادهم أنه مثل آلهة المصريين وهذا دليل على عدم إيمانهم القطعي بالله الواحد الأحد، لذلك أخذتهم الصاعقة فماتوا الموت الأصغر وهو النوم لشدة الهول، ثم أحياهم الله.

وظلّل عليهم الغام ليقيهم حر الشمس في الصحراء فما ظلوا على عهده، ثم طلبوا من النبي موسى أن يستبدلوا طعامهم فسخر منهم موسى وغضب غضباً شديداً وقال لهم: اهبطوا إلى أرض مصر ستجدون ما تشتئون. قوله دليل على أنهم تعوّدوا الذل والإذلال. وقد كتبت عليهم الذلة سبحانه الله.

موسى عليه السلام والعبد الصالح

تبرز لنا قصة موسى والعبد الصالح في القرآن الكريم ولا نجد لها أثراً في كتاب التوراة وهي قصة عظيمة تعلم الإنسان منها كانت منزلته أن يتأنب أمام الله ولا يدعى أنه عالم بكل شيء.

أجمع عدد من المفسرين على أن العبد الصالح هو الخضر عليه السلام، ويدعى أهل التوراة أن هذا العبد الصالح هو الخضر وأن الذي التقاه غير النبي موسى عليه السلام، وهو رجل يدعى موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام.

والصحيح ما دل عليه سياق القرآن ونص الحديث الصحيح عن رسول الله عليه السلام من أن موسى هو نفسه النبي موسى بن عمران صاحببني إسرائيل، وقد ورد ذلك في صحيح البخاري. وقد كذبهم ابن عباس حيث قال (كذب عدو الله) ويعني الذي نقل رواية أن موسى هو غير النبي موسى عليه السلام.

وقد وردت قصة النبي عليه السلام والعبد الصالح في سورة الكهف دون غيرها. وجاءت الآيات مفصلة للحدث.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَنَةٌ لَا أَتَبْرُحُ حَقَّ أَتَلْعَجُ مَجْمَعَ الْبَخْرَتِينَ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ⑯ ﴾ فَلَمَّا بَلَغَا جَمْعَ بَنِيهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَأَنْخَذَ سَيِّلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرِيَا ⑯ فَلَمَّا جَاءَرَا قَالَ لِفَتَنَةٍ إِذَا نَأَيْنَا عَذَّابًا نَلَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَقْرِنَا هَذَا نَصْبًا ⑯ قَالَ أَرَيْتَ إِذَا أَوْنَنَا إِلَى الْبَحْرِ خَرْقَةً فَإِنِّي نَسِيَتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْنِي إِلَّا الشَّيْطَنُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَأَنْخَذَ سَيِّلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ⑯ قَالَ ذَلِكَ مَا كَانَ أَبْعَدُ فَأَرْتَهُ عَلَى إِثْمَارِهِ مَاقَصَّا ⑯ فَوَجَدَهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا إِنَّهُ رَحْمَةٌ مِنْ

عِنْدِنَا وَعَلَمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعْلَمَ مِمَّا عِلْمْتَ رُسُدًا ﴿٧﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا ﴿٨﴾ وَكَيْفَ تَصِيرُ عَلَىٰ مَا لَرْتُ تُحْكِمُ بِهِ حِبْرًا ﴿٩﴾ قَالَ سَتَجِدُ فِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَغْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٠﴾ قَالَ فَإِنِّي أَتَبْعَثُنِي فَلَا تَشْلُفِي عَنْ شَيْءٍ وَهُنَّ أَخْدِثُ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿١١﴾ فَانْطَلَقَ حَقِيقًا إِذَا رَكِبَ فِي أَسْسِيْنَةٍ حَرْقَهَا لِتُغْرِي أَهْلَهَا لَقَدْ جَهَّتْ شَيْئًا إِمْرًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَنْزَأْتُكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا ﴿١٣﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيْتَ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرٍ عَشْرًا ﴿١٤﴾ فَانْطَلَقَ حَقِيقًا إِذَا لَقِيَ عَلَدَمًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جَهَّتْ شَيْئًا ثُكْرًا ﴿١٥﴾ قَالَ أَنْزَأْتُكَ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا ﴿١٦﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تَصْبِحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْلَّهِ عِذْرًا ﴿١٧﴾ فَانْطَلَقَ حَقِيقًا إِذَا آتَيْنَا أَهْلَ قَرْيَةً أَسْتَطَعْمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأْنَا يُضَيْقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا حَدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخْذَلْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ هَذَا فَرَاقٌ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَبْيَثُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تُسْطِعْ عَلَيْهِ صَبَرًا ﴿١٩﴾ أَسَا السَّفِينَةَ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْسِبَهَا وَكَانَ وَرَاهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةً عَصَبًا ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الْفَلَمُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنٌ فَخَشِبَنَا أَنْ يُرْهِقُهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٢١﴾ فَأَرْدَدْنَا أَنْ يُبَدِّلُهُمَا رَهْبَسًا خِيرًا مِنْهُ زَكْرَهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٢٢﴾ وَأَمَّا الْحِدَارُ فَكَانَ لِغَلَمَيْنِ يَتَمَّيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَزْرًا لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَنِيلًا حَافَّارَ رَبِّكَ أَنْ يَبْلُغَا الشَّدَّهُمَا وَيَسْتَخِرَا مَا كَزَرُهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِيٍّ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تُسْطِعْ عَلَيْهِ صَبَرًا ﴿٢٣﴾ (سورة الكهف: 60 - 82).

هذا ما ورد في كتاب الله من قصة تدور أحداثها مع النبي موسى والعبد الصالح.

وهذا ملخص ما فهمنا من آيات الله:

وقف النبي موسى صلوات الله عليه وسلم خطيباً فيبني إسرائيل مذكراً إياهم بأيام الله بعبارات تشير وتبعث الشؤون (شؤون العين: مجازها) ففاضت العيون ورقن القلوب. ولما انتهى من قوله تعلق بأهدابه رجل وقال: أي رسول الله هل في الأرض من هو أعلم منك؟ قال: لا. أليس هو كبير أنبياءبني إسرائيل وقاهر فرعون، أو ليس هو صاحب اليد والعصبا. وبعصاه انفلق البحر. أليس الله قد شرفه بالكتاب والتوراة وكلمه فأي غاية أبعد من هذه الغاية. وأي شرف أسمى من هذا الشرف؟

ولكن الله أوحى إليه أن العلم أعظم من أن يحيوه رجل أو ينفرد به رسول، وأن في الأرض من خصبه الله بعلم أوفر من علمه ونصيب من الإلهام أوفر من نصبيه. قال: يا رب أين مكانه. لعلي ألقاه. فأصيب قبساً من علمه أو فيضاً من إلهامه ويقينه قال: تلقاء بمجمع البحرين. قال: اجعل لي علماً يدلني عليه وآية ترشدني إليه. قال: آية ذلك أن تأخذ حوتاً في مكتل فحيث فقدت الحوت فقد وجدت الرجل.

فأخذ موسى للأمر عدته واصطحب فتاه وحمله المكتل ووضع الحوت فيه كما أوحى إليه وظل سائراً وقبلته الرجل وأخذ على نفسه عهداً أنه سيظل مُجداً في السير معناً في الطلب حتى يبلغ هذا المكان ولو مضت عليه الأيام أو تعاقبت السنون ثم آذن الفتى أن يخبره إذا فقد الحوت.

ولما بلغ مجمع البحرين في المكان الذي أراد الله أن يلتقي فيه النبي بنى إسرائيل بعده الصالح أخذت موسى سنة من النوم وفي أثناء نومه أمطرت السماء فابتلى الحوت وانتقض وسرت إليه الحياة ثم قفز إلى الماء.

واستيقظ موسى النبي ونادى الفتى: هيا نواصل السير والسرى. وأنسى الشيطان الفتى ما كان من أمر الحوت وتابعاً السير إلى أن أدركهما التعب وأحسا بالجوع. فقال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرينا هذا نصباً.

ولما هم أن يأخذ الغداء من المكتل تذكر ما كان من أمر الحوت وذهباه في الماء فقال: أرأيت إذ أؤينا إلى الصخرة وحين غشاك النعاس فإن الحوت قد اتخذ سبيلاً إلى الماء ونسى أن أذكرك وما أنساني إلا الشيطان.

وحيثئذ لاحت لموسى شارة الظفر ووجد ريح الرجل فقال: ذلك ما كنا نبغيه ونشدده، هيا بنا نعد إلى هذا المكان فإننا سننصيب الغاية ورجعوا يتبعان الأثر ويعرفان الطريق ولما وصلا إلى حيث فقد الحوت وجدا رجلاً نحيل الجسم غائر العينين عليه دلائل النبوة وفي وجهه فيض من السماحة والتقوى وقد سُجّي بشوبه وجعل طرحة تحت رجليه وطرفه الآخر تحت رأسه، فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه. وقال: هل بأرضي من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى فقال: موسى نبي بنى

إسرائيل؟ قال: نعم. ومن أعلمك بهذا؟ قال: الذي بعثك إلي. فعلم موسى أنه ضالته التي ينشدتها. فتلطف في القول وتجمل بأحسن ما وبه الله من أدب الحديث وفضل التواضع. وقال: هل تأذن أيها العبد الصالح لرجل جاحد في سبيل لقائك ولقي العناء حتى أصاب موضعك أن تفليس عليه من علمك وأن تقبسه شيئاً من هديك على أن أتبعك وأسير في ظلك وألتزم أمرك ونميك.

قال له العبد الصالح: إنك لن تستطيع معي صبراً ولو أنك صحبتني فإنك ستر ظواهر عجيبة وأموراً غريبة وسترى أموراً منكرة في ظاهرها وإن كانت حقاً في باطنها ولكنك بما ركب الله في البشر من إلف القيل والقال والجنوح إلى البحث والجدال سوف لا تسكت عن الاعتراض ولا تتورع عن الامتعاض وكيف تصر على ما يخرج عن مألفك ويتجاوز معروفك فقال له موسى وكان حريصاً على العلم توافقاً إلى المعرفة: ستتجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً. قال الخضر: إن صحبتني آخذ عليك عهداً وشرطأً أن تأخذ عدتك من الحزم والصبر ونصيبك من الجلد وضبط النفس فلا تبتدرني بسؤال ولا تثر أمامي أي اعتراض حتى ينقضي الشرط وتنتهي الرحلة وإنى بعدها سأتي على ما في نفسك وأشفى ما بصدرك.

فقبل موسى الشرط وقيد نفسه بذلك العهد وسارا على الساحل حتى لمح سفينه في البحر فطلبا من أهلها حملهما إلى حيث يذهبون ولما قرروا السماحة في وجهيهما ورأوا بريق النبوة يلمع في عيونهما حملوهما على غير أجر وبالغوا في إكرامهما والحفاوة بهما.

وبينما هما في السفينة وعلى حين غفلة من أهلها آخذ الخضر لوحين من خشب السفينة فخلعهما فهال موسى وهو الرسول الكريم الذي أرسل لهداية الناس وردّ عادية الظلم عنهم أن يقابل صنيعهم بالإساءة وجميلهم بالنكران وخشي أن يصيبهم غرق أو هلاك فنسي عهده وشرطه وصاح: أتعمد إلى قوم أكرموا وفادتنا وأحسنوا لقائنا فتخرق سفينتهم وتحاول إغرائهم لقد جئت شيئاً إمراً.

فالتفت الخضر إليه وما زاد على أن ذكره بشرطه وما قدره من قبل أنه سوف لا يصبر على سؤال ولا يسكت عن مراء وقال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا. وحينذاك أدرك موسى ما وقع فيه من خطأ وما تورط فيه من نسيان. فاعتذر إليه واستغفره من نسيانه وقال لا تؤاخذني بها نسيت ولا تحرمني شرف الصحبة وفضل المرافقة وساكون بعد الآن كما شرطت. وغادرا السفينة وتابعا السير فوجدا غلاماً وضيقاً يلعب مع لداته وأقر انه فأخذه الخضر بعيداً ثم أضجه وقتلها ففزع موسى من هذا القتل وكبر عنده ذلك الإثم إذرأي غلاماً يافعاً قد يكون وحيد أهله ورجاء والديه يقتل من غير قود ويسفك دمه من غير إثم على يدي رباني كريم وإمام من أئمة الدين فتحلل من عهده وأطلق نفسه من ميثاقه وقال: ما هذا المنكر الذي تأته والإثم الذي ترتكبه أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرة. فالتفت إليه الخضر ولم يزد على أن ذكره بعهده وما كان من شرطه وما قدره مما سيكون من سؤاله عما لا يعرف وامتعاضه مما لا يألف قائلاً: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا، وهنا استحينا وأدرك أنه قد أنقل على هذا العبد الصالح وكان خليقاً به أن يدرع بالصبر ويمسك لسانه عن الجدل حتى يفصح له بعد عما خفي من أمره وما تشابه عليه من علمه. وخشي إن تمادي أن يقع منه على موجدة أو كراهية. فاتخذ لنفسه شرطاً ألا يعجل بالسؤال بعد الآن وإن فإن رفيقه في حل من مرافقته وقطع صحبته. وقال: إن سألك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً. وانطلقا على هذا الشرط حتى أدركهما الطوى ونال منها النصب والكلال وصادفاً قرية في طريقهما فدخلاهما طمعاً في زاد يعينهما على السفر ويمسكتهما على الجموع ولكن أهلها بما كانوا عليه من لوم الأصل وبخل النفس أبوا أن يضيقوهما وردوهما ردآ غير جميل فلم يجدا عندهم مأوى ولا طعاماً وخرجا جائعين ساخطين وقبل أن يتجاوزا القرية وجدا جداراً يتداعى للسقوط فأقامه الخضر وأصلاح من شأنه فقال: عجبًا! أتجاري هؤلاء القوم اللئماء الذين أساءوا البقاء بهذا الإحسان لو شئت لاتخذت على عملك هذا أجراً نسدّ به حاجتنا ونحفظ به على الحياة أنفسنا، قال

الحضر وقد آمن بأن موسى سوف لا يستطيع بعد الآن صبراً (هذا إفراق بيني وبينك سأبئنك بتأنيل ما لم تستطع عليه صبراً).

أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فيصيرون منها رزقاً يعينهم على الكسب ويقطعون به مغارة الحياة ولكن ملكاً ظالماً كان يتبع كل سفينة صالحة يأخذها من أهلها عنوة ويستولي عليها غصباً فأردت أن أغيبها رفقاً بهم ورحمة لهم حتى إذا شهدوا الملك تركها لعيتها فهذا عمل إن كان ظاهره الفساد ففي باطنها رحمة وإن كنت قد حسبته نكراً فإنها هو حفظ للمساكين وإبقاء على حياة هؤلاء البائسين. وأما الغلام فكان وقاحاً مبغضاً من الناس وكان أبواه مؤمنين وبما فطر الله الآباء على حب الأبناء والدفاع عنهم بالحق وبالباطل خشيت أن يحملها هذا على التعصب له والميل إلى طريقة فيتهيا إلى الطغيان والكفر فقتله حفظاً لدينها ورجاءً من الله أن يرزقها خيراً منه زكاة وأقرب رحماً، وأما الجدار فقد علمت من الله أن تحته كنزاً ليتيمين صغيرين تحدرا من رجل صالح كريم فأردت أن أحمي هذا الجدار حتى يشد أزرهما ويقوى على الحياة أمرهما فيستخرجاً كنزاً مالا حلالاً طيباً لهما. وما فعلت هذا بعلمي ولا برأيي ولكنه وحي من الله وهدى منه ذلك تأنيل ما لم تستطع عليه صبراً.

بعد أن أوردنا قصة موسى عليه السلام مع الحضر أو العبد الصالح لابد لنا من وقفة مع بعض القضايا والمعطيات التي نستشفها من الآيات الكريمة:

1 - يستشف من القصة أن النبي موسى عليه السلام بعد أن راح يعلم بنى إسرائيل التشريع ويطبق فيهم ما أمر الله به ظن أنه استفرد بالعلم وصار العالم الأوحد بعد أن تلقى الرسالة. وعندما نعود إلى جغرافية المكان نرى أن النبي موسى ظل مع بنى إسرائيل بالقرب من جبل الطور أو طور سيناء الذي يقع في جنوبها.

ونحن نعلم أن الله أجرى لموسى عليه السلام المعجزات وهو عند فرعون. وفعلت عصاه بإذن الله المعجزة تلو الأخرى، ثم لما دخل سيناء مع بنى إسرائيل تلقى الرسالة بعد ملاقات ربها فظن أنه اكتمل وحاز من الله ما لم يستطع إنسان أن يحوزه.

وعندما أوحى له الله أن عبداً صالحًا من عباده الخاصين أعلم من موسى وقال له اذهب لتلقيه عند مجتمع البحرين. وكان النبي موسى هاماً للقاء العبد الصالح ولو كلفه أن يمشي سنين طويلة.

2 - أما مجتمع البحرين فقالوا هو بحر الروم - الأبيض المتوسط - وبحر القلزم - الأحمر وجميعها مكان التقائهما في منطقة البحرات المرة وبحيرة التمساح.

وهذا الرأي مرفوض لأنه لم يكن هناك جامع يجمع البحرين ولا كانت قناة السويس موجودة والمسافة بين المتوسط والأحمر أكثر من مائة وخمسين كيلومتراً. قبل شق قناة السويس.

والرأي الأرجح هو مجتمع خليجي السويس والعقبة في زاوية سيناء الجنوبية الغربية ونعتقد أن اللقاء الذي تم بين النبي موسى والخضر عليهما السلام كان عند صخرة تقع على شاطئ البحر عند انقسام البحر الأحمر إلى خليج السويس وخليج العقبة.

ويدعم ذلك قوله الله سبحانه (ركبا في السفينة) فالسفينة تحتاج إلى بحر أو نهر وغرق السفينة في البحر أقوى من غرقها في النهر لاحتمال ضحالة الماء في النهر ويدعم ذلك قوله تعالى: ﴿فَاخْذَ سَيِّلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرِّيَا﴾ وقوله: ﴿وَأَنْخَذَ سَيِّلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَّا﴾.

أما كيف عادت الحياة إلى الموت فهناك عدة آراء أهمها أن شيئاً من ماء عين تسمى عين الحياة سقطت على الحوت. ولكن الأسلم أن الله سبحانه أجرى معجزة إحياء الحوت لكي يتم علامه اللقاء بين موسى النبي والخضر أو العبد الصالح.

من هو فتى موسى: ذكر بعض المفسرين أن يوشع بن نون كان فتى موسى. وقد ذكرت التوراة ل Yoshi'ah ben Nun سفراً من التوراة العبرانية وهو السفر السادس وقد ورد في صحيح البخاري أن يوشع بن نون كان فتى موسى. وفي فتح الباري أن يوشع هو الذي قام في بني إسرائيل بعد موت موسى ونقل ابن العربي أنه كان ابن أخت موسى.

لكن هناك تناقضاً صارخاً في هذه الشخصية، ففي التوراة يأتي السفر السادس باسم سفر يشوع. وفي هذا السفر تجسد التوراة كل أنواع الجرائم في شخصيته فهو يأمربني إسرائيل بحروب الإبادة بحق أرض كنعان. وحسب النص التوراتي يقوم يشوع بأكثر من ثلاثين مجزرة دموية، في أريحا والخليل وضواحي القدس وغيرها من المناطق الداخلية في فلسطين.

وبغض النظر عما إذا كان ما ورد في التوراة من نسخ خيال المؤلف أم غير ذلك، إلا أنها حين ندرس شخصية يشوع كما هي في التوراة. نرى رجلاً دموياً مجرماً لا يحفل ولا يحرم. وهذا لا يمكن أن يتجانس مع فتى رافق موسى وأضاعه وتعلم منه الكثير من التربية النبوية.

فإما أن يكون فتى موسى يشوع المذهب التقى الذي يعرف الله وحدود الحرام والحلال ولا يكون هو نفسه من أجلى المذابح المتخلية أو غيرها. وإما أن يكون فتى موسى شخصاً آخر غير يشوع لأنه لا يمكن أن تكون هذه الشخصية هي نفسها في الحالتين.

وقد أورد بعض المفسرين أن يشوع كاننبياً غير مرسل. ونعتقد أن هذا من الأخطاء القاتلة التي وقع فيها هؤلاء. لأن يشوع لم يرد بنبوته شيء من القرآن. وأكثر ما اعتمدوا في ميلهم لنبوته هو من الإسرائييليات. أما إذا عدنا إلى آيات سورة الكهف فإننا نتوقف عند عدة أمور.

إن ما ورد في سورة الكهف يؤكّد الدروس التربوية العظيمة لمن يريد أن يتعلم، أو يتربى تربية دينية صحيحة، فهذا هو النبي موسى الذي قدم أعظم درس في التواضع والتربية النبوية العظيمة.

فهو كما يظهر له من ظاهر الأمور أن العبد الصالح أتى على أشياء تخالف الشرع فاحتاج وهذا حقه لأنه أخذ بظاهر الشرع.

فموسى يحتاج على قتل الغلام، فكيف تحيز التوراة أوامر موسى بالقتل وإبادة الشعوب إذا كان موسى قد احتاج على قتل غلام واحد. فكيف تحيز التوراة لنفسها أن تنسّب لموسى أوامر بقتل قبائل فيها الأطفال والنساء والشيوخ؟

إن نكران التوراة للقاء موسى بالعبد الصالح يأتي من خلال موقف سلبي تجاه القصة، فهم لا يريدون أن يقولوا إن موسى الذي بلغ ما بلغ عندهم يمكن أن يكون هذا حاله مع رجل آخر قد لا يكوننبياً. فهو عالم العلماء الذي لا يحتاج لعلم من غيره، ثم إن التوراتين الذين يؤمنون بكل شيء محسوس ولا يؤمنون بما وراء ذلك ينكرون هذه القصة و مجريات الأحداث فيها؛ لأن فيها ما هو خلف المحسوس وذلك يخالف ما آمنوا به من ظاهر الأشياء.

وفي عالمنا وعقيدتنا أن الله سبحانه إذا أراد أن يكمل نبوةنبي أدبه واستمر برعايته حتى النهاية. وهذا ما نقوله لهؤلاء التوراتين. إن موسى هو نفسه الذي أعلمنا الله بشخصيته وتاريخه وصراعه مع الباطل وتربيته النبوية العظيمة وليس موسى التوراتي الذي اتهموه بالكذب والقسوة والخداع والإجرام.
وهناك ملاحظات أخرى يجب أن نفهمها:

- 1 - إن النبي موسى والعبد الصالح ركب السفينة قبل أن تجري في البحر ولم يغادرا الشاطئ.
- 2 - إن الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً. غير معروف لدينا. ونحن نخمن أن هذا الملك كان ملكاً لمنطقة تقع في جنوب غرب سيناء أو أنه ملك على البر المصري الذي لا يبعد كثيراً عن منطقة لقاء موسى بالعبد الصالح.
- 3 - إن المنطقة التي جرت فيها الأحداث. السفينة. وقتل الغلام. والقرية كانت منطقة متقاربة وجميعها يقع في الجزء الجنوبي من سيناء.
- 4 - من الواضح أن سيدنا موسى صلوات الله عليه بعد أن تركه العبد الصالح عاد إلىبني إسرائيل ليتابع مسيرة الدعوة والهدایة وتثبيت التشريع في قلوب قومه ونقوشهم.
- 5 - إن فتى موسى انقطعت أخباره بمجرد أن التقى النبي موسى بالعبد الصالح حيث لم يظهر على ساحة الحدث. فالأحداث كانت مقتصرة على اثنين ولم يكن معهما ثالث ونعتقد أن فتى موسى لم يرافقهما. ولو رافقهما لأفسد عليهم الدرس إذ أن النبي موسى لم يتحمل ما رأى فكيف بفتاه أن يتحمل ما

جرى من أفعال قام بها العبد الصالح. من خرق للسفينة أو قتل الغلام. أو إقامة الجدار.

وقد أوردت بعض الكتب والمصادر أن موسى طلب أن يوصيه العبد الصالح، فوصا به كثير من الوصايا العلمية والأدبية. ونحن هنا لا نحتاج لهذا لخروجه عن موضوع الدراسة.

الفصل الرابع

ما ينسب من تشريع للنبي موسى عليه السلام

دراسة تحليلية للأسفار الخمسة

في التوراة

ما ينسب من تشريع للنبي موسى عليه السلام

يرى كثيرون من متديني اليهود أن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة تنسب إلى موسى عليه السلام وقد أجرى العديد من الدارسين والباحثين على هذه الأسفار دراسات تحليلية تناولت شخصية موسى وتناسبها مع ما تُنسب إليه وتاريخ تأليفها ولغتها وصلتها بتراث شعوب المنطقة وعقائدها.

وعقد بعض الدارسين العرب والمسلمين مقارنات بين ما ورد في التوراة وما ورد في القرآن الكريم، وتناولوا التشريع التوراتي بالتحليل والنقد والتفسير وغير ذلك.

وفي هذه الصفحات ستتناول بالدراسة التحليلية ما جاء في الأسفار الخمسة الأولى من التوراة باعتبارها - حسب أتباع اليهودية - أسفار موسى الخمسة وتناول التشريع الذي طُرِح فيها ومدى ما تتوافق مع القرآن الكريم أو خالفه.

١- نسبة الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام. لماذا وكيف؟

جاء في كثير من الدراسات اليهودية واليسوعية الغربية أن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة بأنواعها الثلاثة: العبرانية، السامرية، اليونانية، هي أسفار موسى عليه السلام. وظل هذا سائداً في كثير من الأوساط اليهودية واليسوعية.

وقد تناول هذه الأسفار عدد كبير من العلماء والدارسين وتوصلوا إلى نتائج مهمة، قلبت العديد من المفاهيم المتدولة والمسلم بها. وحين نضع هذه الأسفار تحت الضوء والفحص نرى فعلاً أن نسبتها إلى النبي موسى ليس أمراً صحيحاً لأسباب عديدة. وقد تكون بعض التشريعات المبثوثة في سفر التثنية ترتبط بتشريع نبوي مosoي، ولكن هذا لا يعني قطعاً أن هذه الأسفار هي ما أوحى الله لموسى وحياً أو حتى كتابة أو غير ذلك.

وقبل أن نأخذ بالتحليل التفصيلي لهذه الأسفار لابد أن نذكر أن الذين أجمعوا على عدم صحة نسبتها إلى النبي موسى هم من الدارسين اليهود والغربيين المتخصصين بعلم اللاهوت والتاريخ والفلسفة.

وقد طرح جميع الباحثين السؤال التالي: هل حقاً أن موسى عليه السلام هو من كتب الأسفار الخمسة من التوراة؟ أو بصيغة أخرى: هل كانت هذه الأسفار هي ما أنزل على النبي موسى ونسخها وصارت كالشكل الذي نعرفه؟
كيف ذلك والسفر الأخير وهو سفر التثنية يتحدث بالتفصيل عن موت النبي موسى.

ولماذا وردت أسماء في التوراة لأماكن كثيرة في سيناء وفلسطين لم تكن موجودة أساساً في زمن النبي موسى. لقد أقر الدارسون أن الأسفار الخمسة قد كُتبت ووسيعها وزيّنت لاحقاً من قبل محررين مجهولين ومراجعين متعددين على مدى عدة قرون.

وقد أقر العلماء منذ القرن التاسع عشر أن قراءة حذرة لسفر التكوين على سبيل المثال تكشف عن نسختين متعارضتين لقصة الخلق ١ / ٢ - ٣ و ٤ / ٢٥. فهناك سلسلتا نسب مختلفتان جداً لنسل آدم وهناك قستان للطوفان منفصلتان ثم مرتبتان ثانية مع بعضهما. بالإضافة إلى أن هناك العشرات من نماذج التكرار المضاعف.

ولعل أكثر من فتح الآفاق حول دراسة الأسفار الخمسة المنسوبة للنبي موسى عليه السلام هو ابن حزم الأندلسي الذي ألف كتابه الضخم في الأديان (الفصل في الملل والأهواء والنحل). أما بالنسبة للعلماء اليهود القدامى فقد برع منهم ابن عزرا وهو حبر يهودي غرناطي يُدعى إبراهيم بن عزرا وقد ولد سنة ١٠٩٢ وتُوفي في غرناطة سنة ٥٦٢ هـ ١١٦٧ م.

ومن علمائهم الخبر اليهودي المغربي الفاسي سليمان بن ميلخ الذي نشر تفسيره للعهد القديم سنة ٩٦١ م - ١٥٥٤ هـ في القدسية، ومنهم أيضاً يهود اهتدوا إلى الإسلام. أمثال الحسن بن أبيه قبل القرن الرابع والسموأل بن يحيى المغربي سنة ٥٧٠ هـ والحسن بن سعيد الإسكندراني وابن قوسين اليهودي.
وقد أثر ابن حزم بالفيلسوف باروخ سبينوزا الذي يعتبر أهم من كتب في دراسة التوراة وقد شرح سبينوزا الفكر النقدي للحبر ابن عزرا الأنف الذكر.

ويلخص سينوزا كلام ابن عزرا في ثلاثة نقاط:

- 1 - أن النبي موسى عليه السلام لم يكتب هذه الأسفار التي يطلق عليها التوراة.
- 2 - أن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمن طويل جداً.
- 3 - أن موسى كتب سفراً مختلفاً عن هذه الأسفار الخمسة المعروفة.

ومن خلال استنتاجه يرى:

- 1 - أن موسى عليه السلام لم يكتب مقدمة سفر التثنية الحالي التي جاء فيها: (فيها وراء نهر الأردن ابتدأ موسى بشرح هذه الشريعة)، وذلك لسبب واضح جداً هو أن موسى عليه السلام لم يعبر نهر الأردن ومات في البرية كما جاء في آخر سفر التثنية نفسه.
- 2 - لقد نقش سفر موسى الأصلي كله بوضوح تام على حافة مذبح واحد. يتكون من اثنتي عشرة حجرة حسب عدد الأحبار، ومعنى ذلك أن سفر موسى الأصلي كان في حجمه أقل بكثير من الأسفار الخمسة المتداولة وهذا ما رمز إليه ابن عزرا بقوله (سر الاثنتي عشرة).
- 3 - يذكر الخبر كذلك أنه قد ورد في سفر التثنية: (وقد كتب موسى هذه التوراة). ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك بل لابد من أن يكون قائلها كاتباً آخر يروي أقوال موسى وأعماله.
- 4 - يروي ابن عزرا نصاً من سفر التكوين يقص فيه الراوي (يقصد سينوزا بالراوي جامع الأسفار الحالية من مرويات تاريخية ومصادر مختلفة) رحلة إبراهيم عليه السلام في بلاد الكنعانيين ويعلق عليها الراوي (مؤلف التوراة الحالية) والكنعانيون حينئذ في الأرض.
- 5 - ذكر الخبر ابن عزرا أنه جاء في سفر التكوين: أن جبل موريما سمي جبل الله. ومعلوم أن هذا الجبل لم يحمل هذا الاسم إلا بعد الشروع في بناء المعبد الذي سمي الهيكل. وهذه التسمية متأخرة جداً عن زمان النبي موسى عليه السلام.

أما ما توصل إليه الفيلسوف سينوزا في دراسته لهذه الأسفار فهو:

١ - أن الأسفار الخمسة لا تتحدث عن موسى بضمير الغائب فحسب وإنما تعطي عنه شهادات عديدة لا يصح البتة أن يكون هو الذي أعطاها عن نفسه ومن ثم لا يسوغ قطعاً أن يكون هو كاتبها وهذه الشهادات مثل:

تحدث الله مع موسى، وكان الله مع موسى وجهاً لوجه، وكان موسى رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس، فسخط موسى على وكلاء الجيش، موسى رجل الله، لقد مات موسى خادم الله ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل.

والأكثر من ذلك تتحدث التوراة أن موسى فاق جميع الأنبياء الذين جاؤوا بعده، أي داود وسلیمان وهذا يدل على أن الذي كتب التوراة جاء بعد داود وسلیمان فأين هذا مما ينسب إلى موسى أنه صاحب هذه الأسفار.

إضافة لذلك فإن بعض الأماكن أطلق عليها أسماء عبرانية وأقحمت على روایات من زمن إبراهيم مثل كلمة دان وكان اسمها سابقاً لايش.

ويتحدث سفر التكوين عن ملوك حكموا الأدوميين زمن داود بعد موسى بزمن طويل، وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك ملك فيبني إسرائيل.

وبشكل عام فإن ما توصل إليه العلماء يشكل إجماعاً منهم أن الأسفار الخمسة ليست تأليفاً فردياً واحداً بل تجميع وترقيق لمصادر مختلفة، كل منها كتب تحت ظروف تاريخية مختلفة لإبداء وجهات نظر دينية أو سياسية مختلفة.

التشريع الموسوي والتشريع التوراتي

لقد صار من المؤكد أن التوراة بكل أصنافها العبرانية والسامرية واليونانية هي كتب مؤلفة باعتراف كافة العلماء الغربيين واليهود وغيرهم.

وحيث نظر في التشريع الذي ورد في التوراة نرى أموراً عديدة لا تتوافق مع منهج النبوة بالشكل العام ولا منهج النبي موسى بشكل خاص. وطالما أن التوراة العبرانية تُنسب إلى عزرا وعدد آخر من المؤلفين، فلا بد أن تكون الكتابة انعكasaً

للظروف العقلية والنفسية والاجتماعية التي عاشها عزرا وعاشها اليهود المنفيون في أرض العراق. ونعتقد أن التشريعات التي وردت في سفر الخروج وسفر التثنية جاءت انعكاساً لتلك الظروف وليس هي تشريعات سماوية كتبها الله على بنى إسرائيل.

وتقع الإشكالات التشريعية في قوانين الحرب والإبادة والقتل غير المشروع، ثم الدفع باتجاه الغزو وتخريب البلاد والعباد، والتشريعات التي تخص الحياة الداخلية لليهود كالمأكل والمشرب والحلال والحرام والطهارة والنجاسة والذبح وما شابه ذلك.

وعلينا أن نلاحظ أن التشريعات التي وردت في التوراة وهي مشكوك في نسبتها إلى النبي موسى لم يتقيد بها اليهود بل اخترعوا تشريعات أخرى تناسب أوضاعهم ونفسيتهم التي صاروا عليها بعد مئات السنين.

العبادات بين التشريع الموسوي والمستحدث من التشريع اليهودي:

تنقسم العبادات إلى صلاة وصوم وأعياد عند اليهود. وقد وردت بعض الإشارات لصلوات كان يقوم بها النبي موسى، ويقول فيها بعض الكلمات كما نصت عليه التوراة وقد جاء في كتاب السموأل بن يحيى المغربي:

نقول لهم: ما تقولون في صلواتكم وأصوماكم؟ هل هي التي فارقكم موسى عليه؟ فإن قالوا نعم. قلنا فهل كان موسى وأمته يقولون في صلواتهم كما تقولون؟ (اللهم اضرب بيوق عظيم لعتقنا واقبضنا جميعاً من أفكار الأرض إلى قدسك، سبحانك يا جامع تشتيت قومه إسرائيل) أم هل كانوا يقولون على عهد موسى سبحانك يا جامع تشتيت قومه إسرائيل؟ (اردد حكامنا الأولين ومشيرينا كالابتداء وابن يروشليم كما يقولون في كل يوم: (اردد حكامنا الأولين ومشيرينا كالابتداء وابن يروشليم قرية قدسك في أيامنا وأعزنا ببنائها سبحانك يا باني يروشليم) أم هذه فصول لفقتها بعد زوال الدولة؟

فتغير الكلام الذي طرأ في صلاة اليهود وقع بعد النفي البابلي في منتصف القرن السادس قبل الميلاد. ودليل السموأل هنا واضح على التحريف والنسخ. فالقول الأول عبارة عن دعاء يهودي قيل في صلواتهم أيام النفي. ومضمونه الطلب

من الله سبحانه أن يعتقهم من الأسر والعبودية ويجمعهم بعد أن شتتهم البابليون. ويدعون ربهم أن يعيدهم مجتمعين في القدس.

أما النص الذي أورده السموأل بأنه منسوب إلى النبي موسى عليه السلام ويقوله اليهود في صلواتهم. فالواقع أن النبي موسى عليه السلام لم يدخل الأرض المقدسة ولم يدخل القدس وهذا ما جاء في التوراة العبرانية كما جاء في القرآن الكريم، وقول السموأل (كانوا يقولون على عهد موسى) الخ.. فيه خطأ كبير لأن النص يشير إلى أن الرب هو باني أورشاليم القدس ويقصدون القدس يهودية السكان. والواقع لو حملنا النص معنى آخر لقلنا أن النص عبارة عن دعاء وأمنية كي تصبح القدس لهم. والمدقق فيأسفار التوراة لا يرى أي رابط بين القدس والتقدس الإلهي. والحقيقة أن الله توفى موسى قبل أن يتسرّب بنو إسرائيل إلى فلسطين، وتقول التوراة في ذلك: (ولكنت إلى هناك لا تعب فهات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم) سفر التثنية 34: 4 - 6. أما ما يُرى اليوم من صلوات يهودية بجانب حائط البراق الذي يزعمون أنه حائط المبكى فلا يمت بأي صلة للصلوة التي كان يؤديها موسى وجماعته، فهي صلوات مستحدثة فيها من الحركات ما هو مثير للدهشة من هز الرأس والقسم الأعلى من الجسم وهذه مخترعات اخترعها حاخاماتهم ولم يكن يعرفها موسى عليه السلام.

ومن التشريعات التي لم تكن في زمن النبي موسى عليه السلام واستحدثتها كهنتهم ما يسمى صوم إحراق بيت المقدس وصوم حصاره وصوم كذليا. وقد جعله اليهود فرضاً، ويقول السموأل في ذلك:

هل كان موسى يصومها أو أمر بها هو أو خليفته يوشع بن نون. أو صلب هامان؟ هل هذه الأمور مفترضة بالتوراة أو زيدت لأسباب اقتضت زيادتها في هذه العصور؟ فإن قالوا وكيف يلزمنا النسخ بهذا الأمر قلنا لأن التوراة نطقت بهذه الآية: (لا تزيدوا على الأمر الذي أنا موصيكم به شيئاً ولا تنقصوا منه شيئاً وإذا زدمتم أشياء من الغرائض فقد نسختم تلك الآية).

وقد صام النبي موسى أربعين يوماً على جبل سيناء وذلك لاستقبال كلمات الله تعالى. ولم يرد الصوم لفظاً فيأسفار موسى المنسوبة له ولكن كان يوم واحد للصوم هو يوم الكفارة. وفي أيام النبي زكريا كانت أصوات كثيرة مفروضة في الشهر الرابع والخامس والسابع والعasher تذكاراً لحصار القدس في الشهر العاشر وسقوطها في الشهر الرابع وخراب المعبد في الشهر الخامس. ومقتل جدليا واليهود الذين كانوا معه في الشهر السادس.

وفي بعض مسائل الطهارة. حولوا ما كان في زمن النبي موسى من تشريعات تخص الطهارة وقد ورد ذلك في ما ناقشهم به السموأل بين يحيى المغربي فقال:

تقول لهم أنتم اليوم على ملة موسى النبي. فإن قالوا نعم قلنا لهم أليس في التوراة أن من مس عظاماً أو وطئ قبراً أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير من النجاسة في حالٍ لا مخرج له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهازوني يحرقها فلا يمكنكم مخالفته ذلك لأنّه نص ما يتداولونه فيقول لهم فهل أنتم اليوم على ذلك فيقولون لا نقدر عليه. فنقول لهم فلم جعلتم أن من لمس العظم والقبر والميت فهو طاهر يصلح للصلوة وحمل المصحف والذي في كتابكم بخلافه. فإن قالوا لأنّا عدمنا أسباب الطهارة وهي رماد البقرة والإمام والمطهر المستغفر. قلنا فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عن فعله مما تستغبون في الطهارة عنه أم لا؟ فإن قالوا نعم قد نستغبني عنه. فقد أقرّوا بالنسخ لتلك الفريضة حال اقتضاهما هذا الزمان وإن قالوا لا لا يُستغبني في الطهارة عن ذلك الطهور. فقد أقرّوا بأنّهم الأنجالس أبداً ما داموا لا يقدرون على سبب الطهارة. فنقول لهم: فإذا كنتم أنجالساً على رأيكم وأصولكم فما بالكم تعزلون الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام اعتزالاً تفترطون فيه إلى حد أن أحدكم لو لمس ثوبه ثوب امرأة لاستنجستمه مع ثوبه فإن قالوا لأن ذلك من أحكام التوراة. قلنا أليس في التوراة أن ذلك يراد به الطهارة فإذا كانت الطهارة قد فاتتكم والنجاسة التي أنتم فيها هي على معتقدكم لا ترفع بالغسل كنجاسة الحيض. فهي لذلك أشد من نجاسة الحيض ثم إنكم ترون أن الحائض طاهرة إذا

كانت من غير ملككم ولا تستنجدون لامسها ولا الثوب الذي يلمسه. وتخصيص هذا الأمر بطائفتكم مما ليس في التوراة. فهذا كله منكم نسخ أو تبديل.

ما نسب إلى النبي موسى في الأسفار الخمسة الأولى

يقر جميع اليهود بأن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة هي أسفار النبي موسى عليه السلام. ويرون أن الله أوحى بها لموسى وهو على جبل حوريب أي طور سيناء. ويخلطون بينها وبين ما حوتة الألواح، وبعضهم يرى أن ما كتب على الألواح هو نفسه ما جاء في هذه الأسفار الخمسة.

وحين نطالع هذه الأسفار سفراً سفراً نرى عشرات الأمور المتناقضة مع منهج النبوة من ناحية والمتناقضة مع القرآن من ناحية ثانية والمتناقضة مع نفسها من ناحية ثالثة.

وهنا لابد أن نبحث أولاً في نسبة هذه الأسفار للنبي موسى وهي أبعد ما تكون من الذي أنزل عليه.

فالقرآن يخبرنا أن كتاب موسى عليه السلام فيه هدى ونور وأن التوراة أيضاً فيها هدى ونور فهل كانت الأسفار الخمسة هدى ونور؟ هل هي متوافقة مع الم Heidi النبي الذي جاء به موسى عليه السلام؟

سفر التكوين: حينما نطالع السفر الأول وهو سفر التكوين لا نرى أية إشارة للنبي موسى عليه السلام، فهذا السفر الذي يقع في خمسين إصحاحاً لا يمت بصلة إلى النبي موسى ولا توجد أية إشارة لا من قريب ولا من بعيد إلى أن الله سبحانه نزله على النبي موسى عليه السلام. ولم يأت السفر على ذكر النبي موسى في أي صفحة من صفحاته، يقول رحمة الله الهندي: وهذا الأمر لا يظهر من موضوع من موضوعات التوراة بل تشهد عبارته أن كاتبه غير موسى وهذا (غير) جمع هذا الكتاب من الروايات والقصص المشهورة فيها بين اليهود. ميّز بين هذه الأقوال بأن ما كان في زعمه قول الله أو قول موسى أدرجه تحت قال الله أو قال موسى وعبر عن موسى في

جميع الموضوعات بصيغة الغائب ولو كانت التوراة من تصنيفه لكان عبر عن نفسه بصيغة المتكلم، ولا أقل من أن يعبر في موضع من الموضع، لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضي زيادة الاعتبار والذي يشهد له الظاهر مقبول ما لم يقام على خلافه دليل قوي ومن ادعى خلاف ذلك الظاهر فعليه البيان^(١).

ويقول الهندي: لا يقدر أحد أن يدعى بالنسبة إلى بعض الفقرات وبعض الأبواب أنها من كلام موسى. بل إن بعض الفقرات تدل دلالة بينة أن مؤلف هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قبل داود عليه السلام بل يكون إما معاصر الله أو بعده.

ويذكر بعض علماء اليهود أن عزرا كتب التوراة بالإلهام. بمعنى أن الله أهله التوراة وهذا يعني أن كتاب موسى وتوراته بعد أن انعدما كتبه عزرا بالإلهام مرة أخرى والواقع أن عزرا لم يعود إلى كتاب موسى ولو شفاهية عندما دون توراته. ولو كان ما كتبه عزرا إلهاماً لما وجدنا اختلافاً واضحاً بين نسخ التوراة السامرية والعبرانية واليونانية.

ويقول السامريون: إن عزرا هو الذي كتب هذه التوراة وأنه حرف كلام الله وغيره وبديل عمداً بمحض إرادته. ولم تكن التوراة ضائعة فكتبها بل استبدل الحق بالباطل. ويقول أبو الفتح ابن أبي الحسن السامي في تاريخه. إن الفرس لما سمحوا لليهود بالعودة إلى فلسطين طلبوا منهم أن يتّحدوا تحت رئاسة واحدة وتكون لهم عاصمة واحدة ليسهل التعامل معهم فأصر بنو مملكة إسرائيل (السامرة) أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون هيكلهم في نابلس وهو القبلة، وأصر بنو مملكة يهودا أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون هيكلهم في القدس، واشتد العداء بينهم من أجل ذلك فغير فريق القدس التوراة التي عنده لصالحه وخالفوا الخط العربي. ويقول: إن تحريف التوراة قد تم على يد اليهود العبرانيين بعدمها منع السامريون العربين من بنائهم الهيكل بوساطة ملك فارس بعد الرجوع من سبي بابل مباشرة.

(١) رحمة الله الهندي / إظهار الحق.

ومن كبار فقهاء اليهود الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأول شلبي
الذي يرى أن اليهود حرقوا شريعة موسى الكتاب. ويقول في ذلك: نرى أن أعمدة
هذه الشريعة الموسوية وأركانها التي كانت مستندة إليها وفيها قوامها
واستيلاؤها قد انهارت بالكلية وانعدمت مثل إبادة الملك والرئاسة وعدم وجود
الأنباء وإبطال الكهنوت وخراب الهيكل وهدم المذبح واندثار الذبائح ومحقق
الأسباط وما يتعلق بهم، لأن هذه الأعمدة والأركان كان قد ربط بها الله سبحانه
وتعالى جميع ما يلزم من القضايا الدينية المشروعة في التوراة حتى الأحكام
المدنية أيضاً.

فإذا انعدمت هذه اللوازم الرازيم وبطلت كما هو مشاهد الآن نستدل من
انعدامها على بطلان الديانة جميعها بحيث تعلق الديانة بها.

ويرى هذا الحبر أن الله لم يتکفل بحفظ التوراة كما تکفل بحفظ القرآن.
ويظهر من ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد استخدمها إلى أزمنة معلومة محدودة
غير راض لخلودها لا بل إنه راض بانقضائها وتبدلها، لأنه لو كان قد صد الله
خلود هذه الشريعة الموسوية وحفظها ودوامها لما كان هو ذاته سبحانه ربها في
كذا قضايا تنظر إبادتها وإنعدامها عياناً ظاهراً في كل حين وأن عند العالم والغبي
والعقل والجاهل والشيخ والشاب، وجميعهم بالسواء قد ينظرون بأنها قد
أعدمت وبطلت ومضى على بطلانها مئات كثيرة من السنين وكل عاقل يرغب
ثواب الآخرة قد يستدل على الانتقال منها إلى شريعة نبينا محمد المصطفى ص هو
أمر ضروري ولازم.

ويرى هذا الحبر أن الذي أجا الأحبار والحاخامات اليهود إلى صنع تشريع
جديد مختلف عن تشريعات التوراة كون ترك اليهود لليهودية والعزوف عنها إلى
ديانة أخرى.

فيقول في ذلك: وإن رأى الأحبار والحاخامات الكثير من جماعتهم اليهود
الموجودين في تلك العصور تابعين لدين هذين الرجلين النبيين العظيمين (محمد

وعيسى) عليهما الصلاة والسلام. وما بقي عندهم إلا قليل من الناس كما هو مشاهد. فقد شرعوا في عمل تحريفات وتأويلات وتفسيرات مخالفة لضامين الشهادة الواردة في التوراة بحقيها. واحتزروا آراء مستحدثة قد رأوا أن يبقوها الباقيين في دينهم إلى الآن. ومع ذلك لما كنت أتردد عندكم (أي عند اليهود) كنت أرى أن بعضًا منكم مذبذبون ومنقسمة آراؤهم في الكثير مما ذكرته وهم من الأناس العقلاء وبعض منهم عارفون الحق ولكنهم مربو طون في وظائفهم الدينية والأحوال والأولاد والعياط وبعضاً منهم مغفلون غير مبالين من دخولهم تحت هذه اللعنات المذكورة التي يتلزم بالدخول تحت نيرها جهورهم بلا حالات بحيث لا يمكنهم عمل الوصايا المربوطة على من لم يعملها هذه اللعنات. وينخلص هذا الخبر إلى نتيجة مهمة مفادها أن الله الذي أنزل أحكام التوراة قادر على هدمها وهذه إشارة إلى نسخ التوراة بنزول القرآن الكريم^(١).

أما الباحث م. ريجسكي الذي ترجم آراءه الدكتور آحو يوسف من الروسية إلى العربية يقول: إن حرري التوراة المتأخرین الذين جمعوا قائمة الكتابات المقدسة بذلوا جهدهم لكي يختاروا من مجلـل الأديـيات النبوـية فقط تلك النبوـات التي كان مضمـونـها وأفـكارـها تنسـجمـ على أـكـملـ وجهـ معـ المـشـروعـ الـديـنيـ الـذـيـ كانـ قد تـكـرسـ عـنـدـئـذـ، ثمـ عـدـتـ تلكـ المؤـلفـاتـ وـحدـهاـ نـبـءـاتـ حـقـيقـيةـ وـكتـابـاتـ مـقدـسـةـ. أماـ الـبـقـيـةـ فقدـ طـواـهاـ النـسـيـانـ، وـالـمـحـرـرـونـ وـالـنـسـاخـ المـتأـخـرـونـ كانواـ يـحـشـرونـ فيـ مؤـلـفـاتـ نـبـيـ قـدـيمـ بلاـ استـحـيـاءـ يـذـكـرـ مقـاطـعـ يـرـونـهاـ منـاسـبـةـ منـ تـأـلـيفـ مؤـلـفـ آخرـ عـاـشـ بـعـدـ ذـلـكـ النـبـيـ بـزـمـنـ طـوـيلـ.

ويتساءل ريجسكي عن مصير الكتاب الذي عثر عليه حلقيا الكاهن زمن الملك يوشيا عام 622 ق م فيقول: ما الذي جرى لهذا الكتاب فيما بعد؟ من المستبعد تماماً أن يكون الكاهن الأول حلقيا (بعد أن تم استخدام سفر الشريعة

(1) الرسالة السبيعية في إبطال الديانة اليهودية ملحق على كتاب غاية المقصود للسموأل بن يحيى المغربي.

الذي عثر عليه استخداماً بالغ النجاح) قد سمح لهذا السفر أن يبقى في نسخة واحدة مجهولة يغطيها الغبار على رف المكتبة داخل المعبد ويقول: في أي مكان من العهد القديم يحتمل أكثر أن نعثر على سفر الشريعة. واضح أنه في ذلك الجزء الذي حصل فيما بعد على تسميته تورا - القانون لم يكن في الحقيقة كتاب موسى وقد قيل عن الكتاب الذي عثر عليه حلقيا أنه أعطى بيد موسى، وهذا يعني أنه كان يمكن أن يصبح أحد الكتب الخمسة (الأسفار الخمسة) أو جزءاً من أحد تلك الكتب. إنه يعبر بشكل واضح خصوصاً عن الأفكار التي تم تجسيدها في إصلاحات يوشايا الملك إنه كتاب التثنية حيث يتم التعبير باللحاج عن المطالبة بعده يهوه إلهًا وحيداً لإسرائيل وباحتثاث عبادة كل الآلهة الأخرى.

وهذا يعني أن سفر التثنية ليس كله لموسى إنما أدخل الكاهن حلقيا بعض توجيهاته التي أراد من ورائها أن يقوم الملك يوشايا بدور مهم بإعادة الاعتبار لعبادة يهوه وإبعاد الآلهات الصنمية التي عبدها بنو إسرائيل ونسبها إلى موسى كي يقدسها القوم ولا يرفضوها. فلو أن حلقيا أعلن أنه مؤلفها فإنهم يرفضونها أما إذا أدعى أنها لموسى فإنهم ينصاعون لها.

وقد رفض اللاهوتي ابن عزرا وهو من القرن الثاني عشر وكذلك الفيلسوف اليهودي سبينوزا من القرن السابع عشر وكذلك فولتير رفضوا جميعاً وبحزم فكرة أن يكون مؤلف الكتاب الذي عثر عليه حلقيا هو موسى.

وقد برهن العالم الألماني دي فيتيه من بداية القرن التاسع عشر بالدليل القاطع أن كتاب التثنية ما كان يوسعه أن يظهر في زمن موسى أي في القرن الخامس عشر ق.م فالقوانين والأحكام المدونة في الكتاب تعني شعباً يعيش حياة حضرية مرتبة ويشغل بالزراعة كما يملك مدنًا كبيرة ونظاماً سياسياً جيد التطور. وكل هذه الأشياء لم تكن موجودة زمن موسى إذ كان في الصحراء وجماعته جماعة منقطعة عن كل شيء زراعي أو حضري.

ويفهم من ذلك أن ما كتب في سفر التثنية لا يتناسب مطلقاً مع واقع الحياة البدوية الحسنة التي كان يعيشها بنو إسرائيل في سيناء. وهذا ينسف مقوله نسب سفر التثنية للنبي موسى عليه السلام.

وبالنسبة لكتاب سفر الشريعة الذي عثر عليه حلقيا، وادعى الملك يوشيا أنه كتاب موسى عليه السلام فيقول العالم الألماني دي فيتيه: (فيها ينحصر حكاية اللقية فإننا لا نستطيع معرفة وزمن وكيفية مجيء هذا الكتاب إلى معبد القدس. ولن يستبعد إمكانية أن يكون الكاهن حلقيا هو الذي جاء به: إن طريقة ظهور الكتاب شبيهة جداً بإجراء مدبر شارك فيه عدا حلقيا وشافان والنبي خلدة) ^(١).

ويقول ريجسكي: إن أكثر الدارسين للتوراة حتى اللاهوتين منهم مضطرون للاعتراف بأن كتاب التثنية أو بتعبير أدق ذلك الجزء من كتاب التثنية الذي عثر عليه حلقيا في تلك السنوات أيام حكم يوشيا تم اختلاقه والادعاء بأنه مخطوطة قديمة ^(٢).

ثم يتساءل ريجسكي قائلاً: لماذا وكيف كان النسيان والضياع في معبد القدس هما مصير الكتاب الذي كتب بيد موسى؟

ويرى ريجسكي أن المقطع الذي ورد في سفر التثنية الإصلاح 31: 24 - 27 هو من تأليف حلقيا كي يسوغ عدم ضياع كتاب موسى أو كي يسوغ مشروعية وجوده والمقطع يقول: (فعدنما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملي تابوت العهد ليهوه قائلاً: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد يهوه إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم لأنني أنا عارف ترددكم ورقبكم الصلبة هؤلا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون يهوه فكم بالحربي بعد موتي).

(١) ريجسكي / أنبياء التوراة / ص 144 ترجمة: آخو يوسف.

(٢) المرجع السابق ص 145 .

ويعلق ريجسكي قائلاً: إن سخافة هذا التفسير واضحة تماماً للقارئ المعاصر. لماذا كان يجب إخفاء الكتاب - الشهادة - بطريقة جعلت من غير الممكن العثور عليه خلال عدة قرون. وينتظم قوله في هذه النقطة لكن هذا المقطع من كتاب الشنفية يصبح مفهوماً جداً إذا ربطناه بقصة اللقية عند حلقيا. لقد استخدم مجرر الإصلاح عام 622 طريقة معروفة من قبل، حيث تم نسب الكتاب الذي كتبوه إلى النبي قديم هو موسى، الذي كان التقليد الشعبي يرى فيه ليس مجرد شخص خلّص الأجداد من نير الفراعنة المصريين بل مؤسس ديانة يهوه.

ويرى ريجسكي: أن عزرا كرم ما كان قد فعله قبل قرنين الملك يوشيا والكاهن حلقيا. أي إن عزرا ونحتميا حصلا على اعتراف رسمي بأن الكتاب الذي جلبه عزرا هو قانون أوصى به يهوه ذاته لموسى⁽¹⁾.

أما في التشريع فإن ما كان على زمن النبي موسى *الكتاب* غير وبُدل وحرف. ومن ذلك الكثير.

يقول السموأل: نقول لهم: أنتم اليوم على ملة موسى *الكتاب* فإن قالوا نعم قلنا لهم أليس في التوراة أن من مس عظماً أو وطع قبراً أو حضر ميتاً عند موته فإنه يصير من النجاسة في حال لا يخرج له منها إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها فلا يمكنهم مخالفته ذلك لأنه نص ما يتداولونه. فيقول لهم فهل أنتم اليوم على ذلك؟ فيقول لا نقدر عليه. فنقول لهم فلم جعلتم أن من لمس العظم والقبر والميت فهو ظاهر يصلح للصلوة وحمل المصحف (التوراة) والذي في كتابكم بخلافه. فإن قالوا لأننا عدمنا أسباب الطهارة وهي رماد البقرة والإمام والمطهر المستغفر. قلنا فهل ترون هذا الأمر مع عجزكم عن فعله مما تستغبون في الطهارة عنه أم لا؟ فإن قالوا نعم قد نستغني عنه، فقد أقرروا بالنسخ لتلك الفريضة حال اقتضتها هذا الزمان وإن قالوا لا.. لا نستغني في الطهارة عن ذلك الطهور. فقد أقرروا بأنهم

(1) ريجسكي / أنبياء التوراة ص 146 - مرجع سبق ذكره.

الأنجاس أبداً ما داموا لا يقدرون على سبب الطهارة. فنقول لهم: فإذا كنتم أنجاساً على رأيكم وأصولكم فما بالكم تعزلون الحائض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة أيام اعتزاً تفرطون فيه إلى حد أن أحدكم لو ملمس ثوبه ثوب امرأة لاستنجسته مع ثوبه. فإن قالوا لأن ذلك من أحكام التوراة. قلنا أليس في التوراة أن ذلك يراد به الطهارة. فإذا كانت الطهارة قد فاتتكم والنجasse التي أنتم فيها هي على معتقدكم لا ترفع بالغسل كنجasse الحيض فهي لذلك أشد من نجasse الحيض ثم إنكم ترون أن الحائض ظاهرة إذا كانت من غير ملتكم ولا تستنجسون لامسها ولا الثوب الذي يلمسه. وتخصيص هذا الأمر، يعني نجasse الحيض بطاائفكم ما ليس في التوراة. فهذا كلهم منكم نسخ أو تبديل فإن قالوا إن هذا وإن كان النص غير ناطق به فقد جاء في الفقه. قلنا فيما تقولون في فقهائكم. هل الذي اختلفوا من مسائل الخلاف والمذهب بعينه فهم يقولون إن جميع ما في كتب فقهنا نقله الفقهاء عن الأخبار عن الثقات من السلف عن يوشع بن نون عن موسى الكليم القطّلة عن الله تعالى فيلزمكم في هذا أن المسألة الواحدة التي اختلف فيها اثنان من فقهائكم يكون كل واحد منها ينقل مذهبه فيها نقاًلاً مستندًا إلى الله عز وجل. وفي ذلك من الشناعة الالزمة لهم أن يجعلوا الله قد أمر في تلك المسألة بشيء وخلافه وهو النسخ الذي يدفعونه بعينه^(١).

(ما جاء في الأسفار الخمسة يناقض كلياً منهج النبوة)

لا شك أن منهج النبوة منهج رباني أراده الله سبحانه وتعالى لجميع أنبيائه الذين بُعثوا هداية للناس. وإذا تفحصنا الأسفار الخمسة الأولى من التوراة العبرانية واليونانية وكذلك التوراة السامرية التي لا تؤمن إلا بهذه الأسفار وجدنا عشرات القضايا التي تناقض منهج نبوة النبي موسى القطّلة، كما تناقض منهج النبوة عند كافة الأنبياء.

(1) السموأل بن يحيى المغربي/ غاية المقصود في الرد على اليهود، ص 12.

ويمكن لنا أن نلاحظ الأمور التالية في هذه الأسفار الخمسة وهي تناقض كليةً منهج نبوة النبي موسى عليه السلام.

- ١ - التجسيم والتتشيه وإلصاق الصفات البشرية بذات الله سبحانه.
- ٢ - افتقاد عقيدة التوحيد.
- ٣ - أثر العقائد الوثنية في يهودية الأسفار الخمسة.
- ٤ - افتقاد الإيمان بنبوة الأنبياء السابقين.
- ٥ - افتقاد الإيمان باليوم الآخر.
- ٦ - طغيان الحسّ العنصري.
- ٧ - وجود الخرافات والأساطير المخالفة لمنطق النبوة ومنهجها.

الذات الإلهية بين عقيدة موسى والأسفار الخمسة

تتضخع عقيدة التوحيد لدى النبي موسى عليه السلام في آيات القرآن الكريم وهي تحالف تماماً عقيدة الأسفار التوراتية التي تنسب إليه السلام.

فإذنا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمْوِسِي ﴾^{٤٦} ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَنْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾^{٤٧} ﴿ قَالَ فَمَا بِالْقُرُونِ الْأُولَى ﴾^{٤٨} ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾^{٤٩} ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهَدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُّلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ بَنَاتِ شَقَّ ﴾^{٥٠} (سورة طه: 49 - 53).

فالله سبحانه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، والله وحده يعلم ما سلف من البشر والله منزه عن الضلال والنسیان وهو الذي جعل الأرض مسخرة للإنسان وهو الذي سلك فيها السُّبُل وأنزل من السماء الماء ليخرج من الأرض النباتات.

ويقول تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^{٥١} ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^{٥٢} ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴾^{٥٣} ﴿ قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ الْأَوَّلَيْنَ ﴾^{٥٤} ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجُونٌ ﴾^{٥٥} ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقْرِئُونَ ﴾^{٥٦} (سورة الشعرا: 23 - 28).

وَحِينْ ضَلَّ قَوْمٌ مُوسَى وَعَبَدُوا الْعَجْلَ بَيْنَ هُمْ فَسَادٌ ذَلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ
الْإِلَهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ ﴿إِنَّكُمْ أَهُمُ الظَّاهِرُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسَعَ كُلَّ شَيْءٍ
عَلَمًا﴾ (سورة طه: 98).

فَإِذَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَكَذَا يَفْهَمُهُ مُوسَى النَّبِيُّ فَكَيْفَ فَهَمَتِهِ التُّورَاةُ وَنَسَبَتْ
أَقْوَاهَا إِلَى النَّبِيِّ مُوسَى ذَاتَهُ؟

فَكَمَا وَرَدَ فِي نَصوصِ الْأَسْفَارِ الْخَمْسَةِ إِنَّ اللَّهَ رَبُّ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ وَحْدَهُمْ دُونَ
سَوَاهِمِ الْبَشَرِ . وَهُوَ مُثْلُ بَاقِي الْمَخْلُوقَاتِ يَغَارُ وَيَغْضِبُ وَيَتَأَلَّمُ وَيَنْدَمُ وَهُوَ يَلِدُ
مُثْلَ الْبَشَرِ وَيَنْسِبُ إِلَيْهِ أَوْلَادًا.

فِي الْإِصْحَاحِ الرَّابِعِ مِنْ سَفَرِ الْخُرُوجِ جَاءَ قَوْلُ التُّورَاةِ: «وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى
عِنْدَمَا تَذَهَّبُ لِتَرْجِعَ إِلَى مِصْرٍ انْظُرْ جَمِيعَ الْعَجَائِبِ الَّتِي جَعَلَتْهَا فِي يَدِكَّ وَاصْنَعْهَا
قَدَامَ فَرْعَوْنَ وَلَكَنِّي أَشَدُّ قَلْبِهِ حَتَّى لا يَطْلُقَ الشَّعْبَ فَتَقُولُ لِفَرْعَوْنَ هَكَذَا يَقُولُ
الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبَكَرِ فَقَلَّتْ أَطْلَقَ ابْنِي لِيَعْبُدُنِي فَأَبَيْتُ أَنْ تَطْلُقَهُمْ هَا أَنَا أُقْتَلُ
ابْنَكَ الْبَكَرِ» (خُرُوج٤: 21 - 23).

وَيَرِدُ فِي سَفَرِ التَّكْوِينِ وَهُوَ السَّفَرُ الْأُولُ الَّذِي يَنْسِبُ إِلَى مُوسَى السَّعْلَادَ.
«وَحَدَّثَ لَمَا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الْأَرْضِ وَوَلَدُهُمْ بَنَاتٍ أَنَّ أَبْنَاءَ اللَّهِ رَأَوَا
بَنَاتَ النَّاسِ أَنْهُنْ حَسَنَاتٍ فَاتَّخَذُوهُنَّ لِأَنْفُسِهِنَّ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا فَقَالَ الرَّبُّ لَا
يَدِينُ رُوحِي فِي الْإِنْسَانِ إِلَى الْأَبْدِ لِزِيَاجَاهُ هُوَ بَشَرٌ وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِائَةٌ وَعِشْرِينَ سَنَةً
كَانَ طَغَةً فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَيَبْعَدُ ذَلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللَّهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدَنِهِمْ
أَوْلَادًا هُؤُلَاءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مِنْذَ الدَّهْرِ ذُوو اسْمٍ» (تَكْوِين٦: 1 - 4).

إِذَا مَا افْرَقَ بَيْنَ اللَّهِ التُّورَاةِ وَالْإِنْسَانِ أَوْ الْبَشَرِ؟ فَهَذَا يَلِدُ أَوْلَادًا وَهَذَا يَلِدُ
مُثْلَهُ لَكُنَّ إِلَهٌ مُوسَى مُنْزَهٌ عَنْ هَذِهِ الصَّفَاتِ الَّتِي يَنْسِبُونَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ مَا وَرَدَ فِي النَّصَيْنِ السَّابِقَيْنِ لَيْسَ إِلَّا صَدِيًّا لِلْمَؤْثِرَاتِ الْوَثْنِيَّةِ
فِي عَقِيْدَةِ التُّورَاةِ الْمَحْرَفَةِ. فَنَحْنُ نَعْرِفُ أَنَّ الْمِيَثُولُوْجِيَا الْكَنْعَانِيَّةُ وَالْبَابِلِيَّةُ وَالْيَوْنَانِيَّةُ
حَفَلَتْ بِمُثْلِ هَذَا التَّوَالِدِ وَالتَّنَاسُلِ عِنْدَ الْآلهَةِ. وَلَمْ يَكُنْ كَاتِبُ التُّورَاةِ بِمَنْأَىٰ عَنْ هَذِهِ

المؤثرات طالما أنه كتب توراته في ظل وجوده في بابل أيام النبي البابلي لليهود. ولا ننسى ما اطلع عليه من ثقافة الفرس أو اليونان. تلك الثقافة التي استوحها منهم ظناً منه أنه يمنح اليهود تراثاً عظيماً من الأساطير لكنه وقع في فخ الشرك والكفر.

وفي نفس السياق لم يكن كاتب الأسفار الخمسة يفهم معنى الربوبية وصفات الإله وقد دفعه عدم إيمانه بإله واحد وكذلك ما ران على عقله من تشوش وجنون وكذلك ما تأثر به مما شاهده وسمعه دفعه إلى الوقوع في التجسيم والتшибيه وإسقاط أفعال الإنسان على الله سبحانه وتعالى.

في سفر التكوين رأينا الله يتمشى في الجنة، ويسأل ابن آدم وهو جاهل أين يختبئ. ومع نوح والطوفان نرى الله يندم لأنه فعل الشر بالأرض ويقول لا أعود أفعل الشر كما فعلت.

ومع إبراهيم يتجسد الله ويخاطب إبراهيم وأكل من ذبيحته، ويتردد في الإفصاح عن هويته لإبراهيم.

ومع سارة يكون الرب عنصرياً حيث يأمر هاجر أن تخضع لسيادتها وتكون خادمة مطيعة وكأن الله يفرق بين امرأة وأخرى.

ومع يعقوب يصارع الله هذا النبي في منامه فيغلبه. ومع لوط يناقض الله نفسه بنفسه فتارة يأمر لوطاً أن يأخذ أصحابه معه خوفاً من العقوبة وتارة يقول له أنت أنقذك مع ابنتيك.

وإذا دخلنا في سفر الخروج وهو سفر يخص النبي موسى عليه السلام مباشرة نرى أن الله ينزل من عليائه ليقودبني إسرائيل في النهار كعمود من سحاب وفي الليل كعمود من نار، بل إن الله يقابل شيوخبني إسرائيل ويتحدث إليهم واحداً واحداً وينزل من عليائه فيدخلن الجبل، وكأن الله مركبة فضائية تستغل بالوقود السائل. وذات الله يقول لموسى لن تراني ولكن ستري طرف الأخير وأنا أمر بجانب الجبل. والله عندما يهبط من عليائه فيضيء لأنه مثل العقيق الأخضر وكصفحة السماء الزرقاء في نقاوته كما يقول سفر الخروج.

إن الذات الإلهية التي تجلت في الأسفار الخمسة ليست إلا صدى للذات الصنمية الوثنية التي كان عليها آلهة الشعوب الأخرى، فهو مثل مردوخ إله البابليين وهو مثل بعل إله финикиين الكنعانيين. أما إله موسى الحقيقي فهو إله جميع الأنبياء وصفاته وأسماؤه وأفعاله أتى عليها القرآن الكريم. وقد أوردنا بعض الآيات التي تحدث موسى بها أمام فرعون، وأمام قومه الذين ما عهدوا عقيدة التوحيد وما وعوها بل ظلوا بعيدين عنها منذ ذلك الزمان وإلى آخر الأزمان.

وحيث نتساءل لماذا تذكر تلك الأسفار الآلة الأخرى؟ لماذا تساوي بين ذات الله والأصنام. ولماذا تصور التوراة الله غيوراً من الآلة الأخرى؟ أليس ذلك دليلاً على فقدان روح عقيدة التوحيد عند هؤلاء.

وإضافة لذلك تصور الأسفار الخمسة الله بصفات خسيسة لا يجرؤ عليها حتى أصحاب الأصنام. فهل الله يأمر بأن يسرق الإنسان أخيه الإنسان؟ وهل حقاً قال الله لموسى أن يقول لبني إسرائيل اسرقوا المصريين قبل أن تهربوا ليلاً؟

تقول التوراة: «فيكون حينما تمضون أنه لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيككم وبنياتكم فتسلبون المصريين» الفقرة الأخيرة من الإصلاح الثالث من سفر الخروج.

وفي سفر الخروج نفسه نرى الله (تنزه عن ذلك) أنه يطلب من بني إسرائيل على لسان موسى أن يرشوا بيوتهم بالدم لكي تميّز عن بيوت المصريين. لأن الله لا يعرف أن يميز بين البيوت.

جاء في سفر الخروج: «إِنِّي أَجْتَازَ فِي أَرْضِ مِصْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَأَضْرَبُ كُلَّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ وَأَصْنَعُ أَحْكَاماً بِكُلِّ آلهَةِ الْمَصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ وَيَكُونُ لَكُمُ الدَّمُ عَلَى الْبَيْوَتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا فَأُرْرِيَ الدَّمُ وَأَعْبَرُ عَنْكُمْ فَلَا يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرَبَةٌ لِلْهَلَاكِ حِينَ أَضْرَبُ أَرْضَ مِصْرَ وَيَكُونُ لَكُمْ هَذَا الْيَوْمُ تَذَكَّرَا فَتَعْبُدُونَنِي عِيدًا لِلرَّبِّ فِي أَجْيَالِكُمْ تَعْبُدُونَنِي فَرِيقَةً أَبْدِيَّةً» (خروج 12: 12 - 14).

وتتجلى عقيدة الوثنية في الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة لموسى عليه السلام في العديد من الفقرات والعديد من المناسبات.

وقد ذكرنا أن كاتب هذه الأسفار يتخيل الله وهو ينزل من عليائه ليلتقي ببني إسرائيل واحداً واحداً. وهذا أشد سخفاً وحيناً وأشد وثنية.

تقول التوراة: «فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التي أوصاه بها رب فأجاب جميع الشعب معاً وقالوا: كل ما تكلم به رب نفعل». فرد موسى كلام الشعب إلى الله. فقال الله لموسى ها أنا آت إليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما تكلم معك فيؤمن بك أيضاً إلى الأبد. وأخبر موسى الله بكلام الشعب. فقال الله لموسى اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً وليرغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالث لأنه في اليوم الثالث ينزل الله أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء» (خروج 19: 7-11).

وعلى الرغم من وضوح هذه الفقرة الوثنية إلا أن كاتب سفر الخروج يعدل عن رأيه في نزول الله من عليائه ويرى أن الله قرر قراراً آخر غير الأول «فدع الله موسى إلى رأس الجبل فصعد موسى فقال الله لموسى انحدر حذّر الشعب لئلا يقتربوا إلى الله لينظروا فيسقط منهم كثيرون» (خروج 19: 20-21).

ويرد تعدد الآلهة في الأسفار الخمسة بدءاً من سفر التكوين الذي يؤكد أن جماعة يعقوب بمن فيهم زوجاته وأولاده والعبيد الذين كانوا معه كانوا قد حملوا معهم أصناماً وأوثاناً عندما غادر يعقوب أرض خاله لابان.

تقول التوراة: «فقال يعقوب لبنيه ولكل من كان معه اعززوا الآلهة الغريبة التي بينكم، فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم» (تكوين 35). وهو يعني أن يعقوب يعترف بوجود آلهة غير إلهه ولكنها آلهة غريبة. وله إله خاص ولغيره من الناس آلهة أخرى.

فهل يعقل أن يقول موسى هذا الكلام نقاً عن ربه؟ طالما أنهم يقولون إن هذه الأسفار الخمسة هي أسفار النبي موسى عليه السلام.

وإذا كانت مهمة النبي يعقوب كنبي موحد نشر عقيدة التوحيد ورفض الوثنية فما مبرر طلبه من أهله جمع الآلهة الغريبة. وهذا بالطبع ينافي ما ورد في القرآن الكريم إذ يقول عز وجل:

﴿أَمْ كُنْتُمْ شَهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِيَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ أَبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَجَدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
(سورة البقرة: 133).

وقد حوى سفر التكوين المنسوب إلى النبي موسى عليه السلام كلاماً عن التحنط وهذه شعيرة خاصة بفراعنة مصر وتتصل بالعقيدة القائلة إن الفرعون يحيط ليقى جسله سالماً لأنه سيتقل إلى عالم الخلود. لذلك فهو يحتاج للأكل والشرب فيضعون له ما يحتاجه. جاء في سفر التكوين: «وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحيطوا أباه فحيط الأطباء إسرائيل وكل له أربعون يوماً لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين» (تكوين 50).

وجاء أيضاً: «ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشرين سنة فحيطوه في تابوت في مصر» والتحنط يعني فتح البطن وإخراج الأحشاء من داخله. وهذا تشويه لجسد الإنسان. الواقع إننا نسأل هل كان يوسف يؤمن بعقائد الفراعنة أم أنه يؤمن بعقيدة التوحيد. فنص سفر التكوين يشير إلى أن يوسف كان على عقيدة الفراعنة لذلك حيّط أباه يعقوب ثم إنبني إسرائيل حنطوا يوسف أيضاً ووضعوه في تابوت.

أما ما يخص الذات الإلهية - وقد أشرنا إلى بعضها كما وردت في التوراة - فإن أهم أمر لدى كاتب التوراة الذي نسب خمسة أسفار منها إلى النبي موسى عليه السلام - أراد أن يخصص لبني إسرائيل إلهًا مختلف عن آلهة بقية الشعوب. فقد ضيقوا طبيعة الذات الإلهية فجعلوا الإله خاصاً جداً لهم يصفونه كما يحلو لهم. وكما يرغبون وقد ظنوا أن تخصصهم بإله خاص من شأنه أن يرفع من قيمهم الدينية والعقدية أمام أعدائهم الذين لهم آلة منذ زمن بعيد.

يرد في سفر الخروج قوله: «من مثلك بين الآلهة يا رب» «الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة» (الإصحاح 15 والإصحاح 18 من سفر الخروج).

فمن خلال هذا السياق يتبيّن لنا أن هناك تنازعاً نفسياً لدى اليهود بين اتخاذ هذه الآلة أو بين اتخاذ أخرى. وبعد كل نعمه تحل بهم يقولون إن هذه الآلة هي الأفضل. فهناك مقارنة مستمرة بين الآلة.

وفي سفر الخروج المنسوب للنبي موسى عليه السلام يقول: «لا يكن لك آلة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنّي أنا رب إلهك إله غيور» (خروج 20: 3 - 5).

ثم يقول: «لا تصنعوا معي آلة فضة ولا تصنعوا لكم آلة ذهب» (خروج 23: 20).

يعلق آرنولد تويني المؤرخ المعروف قائلاً حول ذلك: (لقد تصوروا لهم في صورة إنسان، ويطلب هذا الكائن الإنساني الإلهي من أتباعه طاعة عمياء وولاء صادقاً كاملاً ولا تختل وجهة النظر هذه بشأن طبيعة إله اليهود ذات المنحى الإنساني بين مثقف وجاهل قدرياً وحديثاً. ويعثر عليها الباحث بين القبائل الإسرائيليية البربرية في سالف الأيام ولا يسلم من الإيمان بها فلاسفة اليهود المحدثين. ولم يحدث قط أن تصور اليهود ربهم في صورة تتنزه عن التجسيد الإنساني حتى وقتها قرنه بالحقيقة الروحية المطلقة)^(١).

أما في الإصلاح 25 من سفر الخروج تقول التوراة: «وكلم الرب موسى قائلاً تكلمبني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة من كل من يحيث قلبه تأخذون تقدمتي. وهذه هي التقدمة التي تأخذون منهم. ذهب وفضة ونحاس وإسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وزيت للمنارة وأطياط لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم» (خروج 25: 1 - 8).

(1) فؤاد شبل / مشكلة اليهودية العالمية. دراسة تحليلية لأراء آرنولد تويني المكتبة الثقافية عدد 241 عام 1970.

ففي هذا النص يبدو التجسيد للذات الإلهية أكثر وضوحاً. فالرب يطلب من اليهود أن يصنعوا له مسکناً مصنوعاً من الذهب والفضة والأرجوان الخ. أما عن كتابة الألواح فتقول التوراة: (واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين). فالله يكتب بيده اللوحين وهذا بالطبع تجسيد واضح تماماً.

(الله قائد عسكري في أسفار التوراة الخمسة الأولى)

بعد أن تبين لنا أن كاتب التوراة لم يترك وسيلة لتجسيد الذات الإلهية إلا واستعملها يبرز لنا منحى آخر لهذا الإله التوراتي في سفري العدد والثنية وهو ما من الأسفار التي نسبت إلى موسى عليه السلام.

نرى في البداية أن هذا الرب يدعو إلى احتلال أراضي الشعوب الأخرى بأساليب القهر والظلم والعنصرية والقسوة. وتعتبر هذه الدعوة لهذا الاحتلال دستوراً قتالياً سياسياً لهؤلاء اليهود.

قوانين الحرب

يأتي في سفر الثنية الإصلاح 20: «حيث تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فإن أجبتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستبعد لك وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهاك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بالسيف».

نلاحظ أن الإله التوراتي يملي على أتباعه شريعته المليئة بمشاعر العداون ونزعة التعطش للدماء والقتل والعدوان. الواقع أن هذا الإله هو من صنع خيالة كاتب التوراة. بمعنى أنهم تصوروا هذا الإله وتخيلوه وراحوا ينطقونه بما يريدون وبما تهوى أنفسهم، وهذه الصورة التي وضعها اليهود لهذا الإله هي الصورة التي شكلوا خطوطها من أهدافهم ومزجوا لأنواعها من أطماعهم وحددوها بإطار من الروح التي حملوها في صدورهم. وقد أرادوا لهذا الإله أن يكون قاسياً داعياً للحرب مدمرة يملي على شعبه الخاص دروساً في القتال والحقن والقسوة والوحشية.

ويتابع هذا الرب مسيرتهم في كل الأمكانة التي يصلون إليها فيأتي في العدد وفي الإصلاح 22: 9: «فأتى الله إلى بلعام وقال من هم هؤلاء الرجال الذين عندك».

فالله ينتقل من مكان إلى مكان يرعى جنوده وخاصة شعبه المقاتل أو المنطلق للقتال. ويرى المرء أن هؤلاء اليهود هم الذين يحملون هذا الإله الوثني معهم أينما ذهبوا وحيثما توجهوا. وهذه العادة كانت متتبعة لدى الشعوب القديمة حيث كان الإله يحمل معهم لينصرهم على أعدائهم باعتبار أن هذا الإله يتمثل بالصنم. فكان من السهل حمله معهم وبأي شكل كان. ومثال ذلك أوردته التوراة بأن الفلسطينيين حملوا إلهمهم (dagoun) في حربهم مع العبرانيين أيام الملوك والقضاة كما تقول.

ويتدخل الرب في شؤون الحرب فيوافق على حرب فئة ويعارض في حرب فئة أخرى حتى أن تدخله يأتي بأسلوب فج وأحياناً مضحك. ففي سفر العدد تقول التوراة: فحمي غضب الرب لأنه منطلق. ووقف ملاك الرب في الطريق ليقاومه وهو راكب على أتانه وغلاماه معه فأبصراً الآتان ملك الرب وهو واقف في الطريق.

وفي منحى آخر تقول التوراة في سفر العدد الإصلاح 35: 9 - 11: وكلم الرب موسى قائلاً: «كلم بنى إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتعيّنون لأنفسكم مدنًا تكون مدن ملجأ لكم ليهرب إليها القاتل الذي قتل نفساً سهواً».

فهذا الرب يعد اليهود بمدن وأراض مقابل ولائهم له، بل يهرب لهم هذه المناطق ليهرب إليها القاتل لئلا يلاحقه الناس أو تلاحمه العدالة.

(الإله التوراتي وقوانين الحرب العنصرية)

يقول المؤرخ توينيبي: (ولعله كان في الأصل رب القبائل الكنعانية أو مدين. ومهمها يكن من أمر موطنه الأصلي يبدأ سجله التاريخي منذ أن اخذته إسرائيل إما سياسياً لها) ^(١).

(1) فؤاد شبل / مشكلة اليهودية العالمية، ص 25 سبق ذكره.

ولننظر إلى هذه القيادة الإلهية لبني إسرائيل في حروبهم المفترضة ضد القبائل العربية تقول التوراة: «هأنا طارد من قدامك الأمرورين والكنعانيين والختين والفرزيين والحوّيين والبيوسيين. احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آتٍ إليها» (خروج 34: 11 - 12).

ويأتي في سفر التثنية: «فقلت لكم لا ترهبوا ولا تخافوا منهم. الرب إلهكم السائر أمامكم هو يحارب عنكم» (التثنية 1 / 3).

ويأتي أيضاً في التثنية: «فخرج سيحون للقائنا هو وجميع قومه للحرب إلى ياهص: فدفعه الرب إلينا أمامنا فضربناه وبنيه وجميع قومه وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرمنا من كل مدينة الرجال والنساء والأطفال لم نبق شارداً. لكن البهائم نهبتها لأنفسنا وغنيمة المدن التي أخذنا» (التثنية 2 : 31 - 35).

ولنعد على الأسباع القوانين الدموية العنصرية التي جاءت في سفر التثنية وهي مخالفة لطبيعة النبوة.

«حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجبتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسلخ ويُستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهاك إلى بذكره فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهاك، هكذا تفعل بجميع المدن بعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهاك نصيباً فلا تستبعد منها نسمة ما بل تحررها تحريراً الحثين والأمورين والكنعانيين والفرزيين والحوّيين والبيوسيين كما أمرك الرب إلهاك» (التثنية 20 : 10 - 17).

وجاء في سفر التثنية أيضاً: «الرب إلهاك هو عابر قدامك. هو يبيد هؤلاء الأمم من قدامك فترثهم» (سفر التثنية).

وإذا دققنا النظر في هذه القوانين نراها تتناقض كلياً مع منهج النبوة بشكل عام وتعارض كلياً مع شخصية موسى عليه السلام كما جاء عليها القرآن الكريم.

ومن الواضح تماماً أن هذا الكلام الذي أورده كاتب التوراة في سفر التثنية المنسوب زوراً وبهتاناً إلى النبي موسى يتحدث عن مرحلة لاحقة وهي مرحلة تأصيل الحقد اليهودي على القبائل العربية الفلسطينية. عندما تصدى العرب من كنعانيين ويبابلين لهذا التسرب اليهودي إلى فلسطين. وعندما خلّصت فلسطين من دنس هذا التسرب وجد اليهود أنفسهم بلا شيء لذلك صب كاتب التوراة جام حقده على أهل فلسطين. وأصبح كلامه قوانين يسير عليها اليهود حتى يومنا هذا.

الفصل الخامس

**النبي موسى في نهاية المطاف
الأرض المقدسة**

نهاية النبي هارون

**انتهاء العلاقة بين النبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل
ماذا قيل في موت النبي موسى عليه السلام؟**

النبي موسى عليه السلام في نهاية المطاف

ورد في القرآن الكريم ست آيات في سورة المائدة ترتبط بالنبي موسى عليه السلام وكذلك ببني إسرائيل وبحدث محدد. هذه الآيات هي من الآية 21 - 26.

يقول تعالى فيها: ﴿ يَنْقُومُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَبَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تُرْدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ فَنَقْلِبُوا أَخْسِرِينَ ﴾ ٢١ ﴿ قَالُوا يَنْمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَحْلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّنَا فِي نَا دَخْلُونَ ﴾ ٢٢ ﴿ قَالَ رَجُلٌ أَنَّ رَبَّهُمْ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَلِيلُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ٢٣ ﴿ قَالُوا يَنْمُوسَى إِنَّا لَنَنْدَحْلَهَا أَبْدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَإِذَهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَدْتِلَا إِنَّا هَهُنَا فَنَعْدُونَ ﴾ ٢٤ ﴿ قَالَ رَبِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَآخِي فَافْرَقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمَ الْفَسِيقِينَ ﴾ ٢٥ ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مَحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَزْيَعَنْ سَنَةً يَنْهَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ ﴾ (سورة المائدة: 21 - 26).

يرى بعض الدارسين والمفسرين أن الأرض المقدسة هي أرض بيت المقدس. ويرى آخرون أنها أرض أريحا وما حولها. وبعضهم قال إن القصة في محملها امتحان لبني إسرائيل.

لم يرد اسم الأرض المقدسة إلا في هذا الموضع من القرآن الكريم فإذا كان المقصود أرض بيت المقدس فإن آيات أخرى سمت هذه الأرض بالأرض المباركة وقد ورد ذلك في قوله: ﴿ وَبَيَّنَنَّهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي يَرْكَأُ فِيهَا الْعَلَمَيْنَ ﴾ (سورة الأنبياء: 71).

بينما ورد ذكر التقديس في قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِينَ طَوِي ﴾ (سورة طه: 12).

تشير روایات المؤرخین ومنهم الطبری وكذلك ابن الأثیر إلى أن المقصود بالأرض المقدسة هي أرض أريحا وكان فيها قوم جبارون حسب روایات الإسرائیلیات، ولماذا لا تكون الأرض المقدسة في سیناء؟ لأن فيها نزل الوحي على

النبي موسى وكذلك نزلت الألواح لماذا لا يكون جبل طور سيناء هو المقصود بالتقديس؟

على أي حال فلنا وقفة مع ما ورد في بعض كتب التاريخ لنرى كم دخلت روايات الإسرائييليات إليها وكم نرى من التناقضات حول حقيقة الأرض المقدسة.

يقول ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ:

وقال آخرون: إن موسى عاش حتى خرج من بيته وسار إلى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يشوع بن نون ففتحها وهو قول ابن إسحق. قال ابن إسحق: سار موسى بن عمران إلى أرض كنعان لقتال الجبارين فقدم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهو صهره على أخته مريم بنت عمران. فلما بلغوها اجتمع الجبارون إلى بلעם ابن باعور وهو من ولد لوط فقالوا له إن موسى جاء ليقتلنا ويخربنا من ديارنا فادع الله عليهم. وكان بلעם يعرف اسم الله الأعظم فقال لهم: كيف أدعو على النبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة. فراجعوه في ذلك وهو يتمتع عليهم. فأتوا امرأه وأهدوا لها هدية فقبلتها وطلبوها إليها أن تحسن لزوجها أن يدعوا على النبي الله. فقالت له في ذلك فامتنع، فلم تزل به حتى قال: أستخير الله. فاستخار الله تعالى فنهاه في النام فأخبرها بذلك فقالت: راجع ربك فعاود الاستخارة فلم يرد إليه جواب فقالت: لو أراد ربك لنهاك. ولم تزل تخدعه حتى أجا بهم فركب حماراً له متوجهاً إلى جبل مشرف على بني إسرائيل ليقف عليه ويدعوا على بني إسرائيل. فما سار عليه إلا قليلاً حتى ربع الحمار فنزل عنه وضربه حتى قام فركبه فسار به قليلاً فبرك. فعل ذلك ثلاث مرات فلما اشتد ضربه في الثالثة أنطقه الله فقال له: ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة تردني فلم يرجع فأطلق الله الحمار حيث شئ فسار عليه حتى أشرف على بني إسرائيل فكان كلما أراد أن يدعوا عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم وإذا أراد أن يدعوا لقومه انقلب دعاؤه عليهم فقالوا له في ذلك. فقال: هذا شيء غلبنا الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره. فقال: الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق غير المكر والخيالة وأمرهم أن يزيّنوا نساءهم ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن

إلى العسكر ولا تمنع امرأة نفسها من يريدها. وقال: إن زنى منهم رجل واحد كُفيتهم ففعلوا ذلك. ودخل النساء عسكربني إسرائيل فأخذ زمري بن شالوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة وأتى بها موسى فقال له: أظنك تقول هذا حرام فوالله لا نطيرك، ثم أدخلها خيمته فوقع عليها فأنزل الله عليهم الطاعون وكان فنحاص بن إليعازر بن هارون صاحب أمر عمه موسى غائباً فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في بني إسرائيل وأخبر الخبر وكان ذا قوة وبطش فقصد زمري فرأه وهو مضاجع المرأة فطعنها بحربة في يده فانتظمهما ورفع الطاعون.

ثم إن موسى قدم يشوع إلى أريحا في بني إسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس الغروب فخشى أن يدركهم الليل فيعجزوه فدعا الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتى استأصلهم ودخلها موسى وأقام بها ما شاء الله أن يقيم وقضى الله إليه ولا يعلم بقبره أحد من الخلق^(١).

هذه روایة ابن الأثیر عن ابن إسحق. وهي روایة إسرائلية مائة بالمائة فهي تحوى من التناقضات ما يثير العقل ويخالف الجغرافية والتاريخ ويخالف آيات القرآن الكريم.

١ - قوله إن موسى سار إلى مدينة الجبارين. يناقض قول الله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَبَاهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾.

فقد حرمت عليهم بمن فيهم موسى وظلوا تائهين في الصحراء كما حكم الله عليهم أربعين سنة.

وهناك رأي يقول إن بني إسرائيل تشتتوا بقضاء الله سبحانه وتأهوا في الأرض وتوزعوا ولم تعرف قبيلة مصير القبيلة الأخرى.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: إن موسى وهارون توفيا في التيه وتوفي فيه كل من دخله. وقد جاوز العشرين سنة.

(١) ابن الأثیر / الكامل في التاريخ / الجزء ١ / ص ٢٠١ - ٢٠٢.

2 - ظاهر الآيات القرآنية أن تلك الأرض كان فيها قوم جبارون. وأريحا لم يكن فيها قوم جبارون ولكن التفسيرات التوراتية وخاصة ما جاء في التوراة تحاول أن تضخم أعداء اليهود لتقول إنهم أقوى من هؤلاء الجبارين بل وتغلبوا عليهم. وفي النص القرآني يظهر جُبن بنى إسرائيل ورفضهم لأمر نبيهم موسى عليه السلام وقد حاول معهم عدة مرات، وأخيراً قالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون.

وهذه الآية تنفي نفياً قاطعاً دخول موسى عليه السلام وبني إسرائيل إلى تلك الأرض ثم إن الجُبن الذي سيطر عليهم لن يؤهلهم أن يتبعوا يشوع في حربه المتوفّمة وفي سفر يشوع وهو السفر السادس من التوراة العبرانية ملامح أسطورية غريبة يصور كاتب التوراة فيها ما لم يتصوره عقل ولا تاريخ. وإنما هو من نسج خياله وأمنياته. وقد أكد علم الآثار أن أريحا لم تتعرض لهجوم من قبل هؤلاء ولم تنهَّ أسوارها كما تزعم التوراة.

3 - يورد نص ابن الأثير المنقول عن ابن إسحق أن رجلاً اسمه بلעם بن باعور وهو من ولد لوط كان متزعمًا على هؤلاء الجبارين.

فمن أين جاءت هذه الرواية؟ مع العلم أن الله سبحانه أباد قوم لوط ولم يبق معه إلا ثلاثة قليلة من أهله ودون أمرأته التي خانته فمحققها الله وأحرقها.

وإذا كانت الرواية هذه صحيحة فإن هذا الرجل المدعو بلעם بن باعور كان يعرف اسم الله الأعظم ويقول كيف أدعوا على النبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة؟ فإذا لم يكن هذا الرجل جباراً بل هو مؤمن بالله وبرسالة النبي موسى ومؤمن بالملائكة، إذاً لماذا يقاتلهم موسى وهونبي لا يدعوا إلى القتل؟ حتى أن اسم بلעם بن باعور هو اسم عربي ولا ندرى كيف أقحم هذا الاسم على هذه الرواية.

والغريب في الرواية أن هذا بلעם يصف أصحاب موسى بالمؤمنين، وهم لم يكونوا كذلك؛ لأنهم حسب النص القرآني تردوا على نبيهم ورفضوا أوامرها حين طلب منهم الدخول إلى تلك الأرض المقدسة.

ثم في الرواية نفسها تناقض صارخ، فإذا كان بنو إسرائيل مؤمنين كما وصفهم هذا الرجل المدعو بلعم بن باعور فلماذا عندما قال راوي القصة إن نساء أريحا ذهبن إلى جيش بني إسرائيل لأجل الإيقاع بهم وفعلاً حسب الرواية وقعوا في شر المكرات وزنوا. فهل يكون هؤلاء مؤمنين ويقومون بهذه الفاحشة؟

ثم تقول الرواية إن الطاعون حل بقوم موسى. فماذا فعل بهم هذا المرض؟

ثم تقول الرواية إن موسى النبي دعا رباه أن يوقف الشمس ويؤخر غروبها فتأخر الغروب ساعة. فما هذه الأسطورة وهذه الخرافة. الشمس بحجمها وقوتها حرارتها تتوقف عن المسير لمدة ساعة. ماذا حل بالكون بسبب هذا التوقف ماذا حل بالأرض، بالكواكب، بالنجوم. هل ظلت على مسارها؟ ألم تصطدم بالشمس، ألم

تصطدم مع بعضها، ماذا حل بالنبات بالإنسان بالحيوان بكل المخلوقات؟

إن تلك الرواية ما هي إلا من الأساطير المسوقة من أساطير الشعوب الأخرى. أراد كاتب التوراة ورواية إسرائيليات أن يضخمو الأحداث ويضفوا عليها حسناً أسطوريًا معجزاً خارقاً لنوميس البشر.

هذه رواية ابن الأثير المنشورة عن ابن إسحق. وما أكثر الإسرائيليات التي نقلها ابن إسحق وهي في غالبيتها مرويات إسرائيلية تخالف القرآن كلياً وتخالف منطق العقل والتاريخ والجغرافيا.

وننقل الرواية الأخرى وهي رواية الطبرى. فهي في أسطورتها أكثر إضحاكاً وأكثر غرابة.

فلما تمرد بنو إسرائيل ورفضوا دعوة النبي موسى غضب منهم ودعا عليهم وقال: فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين..

يقول الطبرى: وكانت عجلة من موسى عجلها، فقال الله: (فإنها محمرة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض). فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى، وأنأه قومه الذين كانوا معه يطبعونه فقالوا له: ما صنعت بنا يا موسى؟ فلما ندم أوحى الله عز وجل إليه أن لا تأس، أي لا تحزن على القوم الذين سميتهم فاسقين. فلم يحزن فقالوا: يا موسى فكيف لنا باء هاهنا أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن والسلوى...

فلما خرجوا من التيه رفع المن والسلوى وأكلوا البقول والتقي موسى وعاج (عوج بن عنان) فنزا (ارتفع) موسى في السماء عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة أذرع فأصاب كعب عاج فقتله.

ويورد الطبرى: كان سرير عوج ثمانمئة ذراع وقيل إن عوج عاش ثلاثة آلاف سنة أما ما يتعلق بأريحا والقوم الجبارين فلينظر القارئ ما أورده الطبرى من خرافات لا يقبلها مجانون ولا عاقل ولا مؤمن ولا كافر.

يقول الطبرى: (ثم أمرهم بالسير إلى أريحا وهي أرض بيت المقدس حتى إذا كانوا قريباً منها بعث موسى اثنى عشر نقيباً من جميع أسباط بنى إسرائيل فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبارين فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عاج (عوج) فأخذ الاثنى عشر فجعلهم في حجزته وعلى رأسه حملة حطب فانطلق بهم إلى امرأته فقال انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا فطرحهم بين يديها فقال: ألا أطحنتهم برجلٍ فقالت امرأته: لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فلما خرج القوم قال بعضهم لبعض: يا قوم إنكم إن أخبرتم بنى إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه وأخبروا نبئي الله فيكونان هما يريان رأيهما فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتموه. ثم رجعوا فانطلق عشرة فنكثوا العهد فجعل الرجل منهم يخبر أخاه وأباه بما رأوا من أمر عاج (عوج) وكتم رجالان منهم فأتوا موسى وهارون فأخبروهما الخبر.

فليس في الخلق مخلوق يصل طوله كما قالت رواية الطبرى، فهل يعقل أن يقبض هذا الجبار على اثنى عشر رجلاً ويريد أن يطحنتهم برجله أو بقدمه، وهل يعقل أن موسى النبي يقفر عشرة أذرع ليصل إلى كعب رجله فيضر به بالعصا ويقتله؟ ولنر الآن ما جاء على لسان ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية لندرك صحة ما قاله في الإسرائيлик.

ذكر كثير من المفسرين هنا آثاراً فيها مجازفات كثيرة باطلة يدل العقل والنقل على خلافها، من أن أشكال الجبارين كانت هائلة وكانوا ضخاماً جداً حتى إنهم

ذكروا أن رسلبني إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجنارين فجعل يأخذهم واحداً واحداً ويلقفهم في أكمامه وحجزة سراويله وهم اثنا عشر رجلاً فجاء بهم فنشرهم بين يدي ملك الجنارين. فقال ما هؤلاء ولم يعرف أنهم منبني آدم حتى عرفوه وكل هذه هذيات وخرافات لا حقيقة لها. وأن الملك بعث معهم عنباً كل عنبة تكفي الرجل وشيئاً من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشخاصهم وهذا غير صحيح. وذكروا هنأ أن عوج بن عنق خرج من عند الجنارين إلىبني إسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين. وهذا غير صحيح، وهذا كله من الإسرائيлик وكل هذه من وضع جهالبني إسرائيل فإن الأخبار الكاذبة قد كثرت عندهم ولا تميز لهم بين صحتها وباطلها.

ويقول ابن كثير: عوقيبوا على نكولهم بالتهان في الأرض يسرون إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً. ويقال إنه لم يخرج أحد من التيه من دخله بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة^(١).

ويقول ابن كثير في لفترة مهمة: ولم أر في كتاب أهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال الجنارين. ول فترة ابن كثير مهمة جداً إذ أنها تؤكد أن كاتب التوراة لم يرد أن يبين جبن هؤلاء وارتداهم، بل تماذى في قوله إن يوشع بن نون حاصر أريحا ودار حولها سبعة أشواط ثم نودي بالبوق فسقطت أسوارها ودخلها يشوع حسب نص التوراة وأجرى فيها مذبحه هائلة على زعم التوراة، ولكن الحقيقة أن يشوع لم يدخل أريحا وهذا كله من خيالات كاتب التوراة.

حقائق على ضوء الآيات الكريمة:

يقول تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُدُوا عَلَى أَذْبَارِكُمْ فَذَنَقُلُّو أَخْسِرِينَ﴾^(٢) ﴿قَالُوا يَمْسِحُ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَآخِلُونَ﴾^(٣) قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَغَاوِرُونَ أَنَّمَّ اللَّهُ عَلَيْهِمَا

(١) ابن كثير/ البداية والنهاية/ الجزء الأول ص 248 - 249 .

أَدْخُلُوا عَنِّيْهِم الْبَاب فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَنِّيْلُوْن وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِين ﴿٢٣﴾
 قَالُوا يَنْمُونَع إِنَّا لَن نَدْخُلْهَا أَبْدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَأَذْهَبَ أَنَّتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَهَا إِنَّا هَنَّا
 قَعْدُوْنَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَآخِي فَأَفْرَقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَنَسِيقِينَ
 ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَهَوَّنُ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
 الْفَنَسِيقِينَ ﴿٢٦﴾ (سورة المائدة: 21 - 26).

يبدأ نداء سيدنا موسى عليه السلام لبني إسرائيل بالدخول إلى أرض مقدسة كتبها الله لهم.

ومنذ البداية لا ندرى ما هي الأرض المقدسة وأين تقع. لقد قال المفسرون إنها أرض أريحا وكان فيها قوم جبارون. ولكن تحديد الأرض المقدسة بأريحا هي من روایة التوراة والإسرائيлик، فليس هناك مصدر آخر يؤكّد أن أريحا هي المقصودة بالتقديس وإذا قيل إن الأرض المقدسة هي ديار بيت المقدس أو فلسطين فإن القرآن الكريم يصف هذه الأرض بالباركة وليس بالقدسة.

وإذا افترض بعضهم أنها أرض فلسطين فإن هذه الأرض لم يكن فيها قوم جبارون وإنما كانت فيها عدة أقوام أو قبائل منها قبائل كنعان واليويسيين والأموريين والجرجاشيين والختين وغيرهم ولم يعرف عن هذه القبائل العربية أنها من الجباررة ومن هنا لا ندرى أين هذه الأرض المقدسة التي يسكنها قوم جبارون. هل هي أريحا أم هي في سيناء أم أنها مناطق أخرى في الأردن أو غيرها.

لقد كان نداء النبي موسى امتحاناً لبني إسرائيل. ويبدو أنه الامتحان الأخير قبل وفاة هذا النبي. لقد امتحنهم بالبقرة وتطبيق التشريع والإيمان بالله الواحد فعبدوا العجل وانحازوا كلياً عن عقيدة التوحيد وبدلوا التشريع حتى يتناسب مع نفسيتهم وظروفها، وميلهم إلى الفساد. وهنا يبرز هذا الامتحان الأخير وهو الدخول إلى أرض مقدسة لكي يقيموا شعائر الله. ولكنهم رفضوا منذ النداء الأول. فقالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنما لن ندخلها حتى يخرجوا منها فكيف يمكن أن يخرج شعب من أرض ويسلمها لغيره؟ وهذا من المستحيل دينياً

وأجتمعاً على كل الوجه، إن هذا يدل على رعب مسبق دُبّ في قلوبهم وهكذا هي الحقيقة حقيقة الجن والخنوع اللذين تميزوا بهما. وهذا يدل على أن حروب يوشع التي افتعلتها التوراة ما هي إلا أوهام وخيالات وأمنيات افترضها كاتب التوراة.

وأخيراً يتخلى بنو إسرائيل نهائياً عن النبي موسى حين قالوا: (إذهب أنت وربك فقاتلنا إنا ههنا قاعدون)، وبعد معاناة وتبلیغ داماً أكثر من ثمانين سنة هاهم يرفضون نداء موسى الصلوة.

لذلك لا يمكن أن نعثر على بقية لقصة النبي موسى الصلوة مع بنى إسرائيل بعد هذه الحادثة. ونرى قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَآتَيْتَنَا وَبَيْنَ أَنْقَوْرِ الْفَنَسِيقَيْنِ﴾ (سورة المائدة: 25). إذاً بنو إسرائيل فاسقون وهذه حقيقة. لذلك نرى أن سيرة النبي موسى تنتهي إلى هذا الحد.

إن بعض الآراء التاريخية تقول: إنه في زمن وجود بنى إسرائيل في سيناء قدمت غزوة من جزيرة كريت اليونانية بعد صراع بين الإمارات اليونانية آنذاك وحاولت هذه الحملة احتلال أجزاء من شمال مصر ولكنها فشلت فتوجهت بحرياً إلى سواحل فلسطين واستطاعت النزول في غزة وتمررت فيها. ثم تقول المصادر: إن هذه الحملة أقامت في خمسة مدن فلسطينية ساحلية، منها عسقلان وغزة وإسدود وعقرعون ومدينة داخلية اسمها جت.. وكان هؤلاء من متمرسي الحرب. فعندما أراد موسى الصلوة أن يحيث بنى إسرائيل للدخول إلى الأرض المقدسة اصطدم بنو إسرائيل بهؤلاء اليونانيين وقارنووا بينهم وبين هؤلاء فأدرکوا أن لا طاقة لهم بهم فوصفوهم بالجبارين وخفوا منهم. وهذه كما قلنا إحدى الروايات.

وتقول رواية أخرى: إن الجبارين من العناقين كانوا يسكنون في الجهة الشمالية الغربية من سيناء، وتشير التوراة إلى اصطدام بينهم وبين بنى إسرائيل الذين هربوا باتجاه الجنوب نحو جبل سيناء أي جبل حوريب، ومن الممكن أن النداء كان موجهاً لبني إسرائيل كي يقاتلوه هناك العناقين.

وهناك رواية تقول: إن موسى عليه السلام طلب من بنى إسرائيل الدخول إلى الأرض المقدسة من دون حرب أو صراع، والغاية أن يقدسوا الله ويتبعدوه وليس القصد طرد السكان أو إجراء المذابح بحقهم واحتلال أراضيهم.

وهناك رواية أخرى تقول إن بعض أطراف فلسطين كان يسكنها أقوام قد ضلوا وعبدوا الأصنام فأراد الله أن ينهزموه ويجلب مخلصهم بنى إسرائيل طالما أنهم يعبدون الله ويسيرون على منهج موسى في ظاهر الأمر. ولكن باطن الأمر تبين وتبين معه أن بنى إسرائيل كانوا يتقلبون وينقلبون من عقيدة إلى أخرى ولا يثبتون على مبدأ على الرغم من وجود نبي الله موسى بينهم.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَهَوَّدُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسِ عَلَى الْقَوْمِ الْفَسِيقِينَ﴾ (سورة المائدة: 26).

توقف المفسرون عند هذه الآية فأقرروا بفهمهم أن الله سبحانه حرم دخول تلك الأرض المقدسة على بنى إسرائيل تحريراً أبداً. وبعض المفسرين قالوا حرمـت عليهم أربعين سنة حيث ظلوا تائهين في الأرض هذه المدة الزمنية ثم أذن الله لهم بالدخول إلى هذه الأرض.

وتوقف مفسرون آخرون عند قوله تعالى «أربعين سنة يتاهون في الأرض»، بأن الله سبحانه قضى على بنى إسرائيل التي في كل مكان، الواقع لم يعد بينهم نبي يجمعهم. ولم يكونوا على عقيدة التوحيد حتى ينصرهم الله في شؤون حياتهم.

موسى وهارون عليهم السلام ونهاية المطاف

من الطبيعي والبهي أن كل نبي يؤدي رسالته ويظل في قومه يهدىهم حتى النهاية، ومن الطبيعي أن النبي موسى وكذلك النبي هارون تُوفيا وانتقلتا إلى جوار ربها، ونحن لا نعرف بالضبط متى مات النبي موسى عليه السلام لولا بعض الإشارات المستنيرة أولاً، ولو لا أحاديث رسول الله ﷺ التي تحدث بإيجاز عن النبي موسى عليه السلام.

وقد أسهبت كتب التفسير والتاريخ الإسلامي بالحديث عن نهاية النبي موسى وكذلك عن نهاية النبي هارون. وقد ذكرت التوراة بعضاً من هذه النهاية. يرد في التوراة: «وَكَلَمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي نَفْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً اصْعَدَ إِلَى جَبَلٍ عَبَارِيمَ هَذَا جَبَلٌ نَبِيُّ الَّذِي فِي أَرْضِ مَوَابِ الَّذِي قَبَالَةً أَرْيَحاً وَانْظَرْ أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا أَعْطَيْهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مَلَكًا. وَمَتْ فِي الْجَبَلِ الَّذِي تَصَعَّدَ إِلَيْهِ وَانْصَمَ إِلَى قَوْمَكَ كَهَامَاتَ هَارُونَ أَخْوَكَ فِي جَبَلِ هُورِ وَضُمِّ إِلَى قَوْمِهِ. لَأَنَّكُمَا خَنْتَهَا فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيَّةِ قَادِشَ فِي بَرِّيَّةِ صَينِ إِذْلَمْ تَقْدِسَانِي فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّكَ تَنْظَرُ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ قَبْلَتِهَا وَلَكِنَّكَ لَا تَدْخُلُ إِلَى هَنَاكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا أَعْطَيْتَهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ» (تثنية 32: 48 - 52).

وهذا النص يوضح أن هارون الثَّالِثُ مات في جبل هور. ولكن نصاً آخر من آخر سفر التثنية يتحدث عن موت موسى الثَّالِثُ بقوله: «فَهَاتِ هَنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مَوَابِ حَسْبَ قَوْلِ الرَّبِّ وَدَفْنَهُ فِي الْجَوَاءِ فِي أَرْضِ مَوَابِ مَقَابِلِ بَيْتِ فَغُورِ وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ» (تثنية 34: 5 - 6).

وتقول التوراة: «وَكَانَ مُوسَى ابْنُ مَئِةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ» (تثنية 34: 7). وتقول: «وَلَمْ يَقُمْ بَعْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لَوْجَهٍ» (تثنية 34: 10).

هل مات النبي موسى مقتولاً؟

على ضوء النص الذي ذكرنا و منه قول الله لموسى: (وَمَتْ فِي الْجَبَلِ) الذي قبالة أريحا تثار تساؤلات فيما يتعلق بكيفية موت موسى الثَّالِثُ هل مات موتاً طبيعياً أم هل أمر الرَّبُّ بموته.

استخلص الباحث الألماني سيلين من بعض الفقرات في سفر يشوع أن هناك دلائل بأن موسى مات شهيداً اغتاله الكهنة الذين قاوموه فهدموا كل ما نادى به من تعاليم دينية تقريباً. وهناك من يرى أن يشوع بن نون هو الذي اغتال النبي موسى

حيث اصطحبه إلى أعلى الجبل ثم عاد بدونه ليعلن أن الأمر بموت موسى قد تم تنفيذه وفقاً لأمر الرب.

ويقول فرويد إن ما استخلصه سللين من اغتيال موسى على أيدي أتباعه محتمل جدأ لأن موسى لابد أن يكون استعمل العنف والقسوة في فرض شعائر دينية صارمة على أتباعه ولعلها أكثر صرامة من تلك التي فرضها أخناتون على الشعب المصري^(١).

ماذا تقول روايات المفسرين والمؤرخين المسلمين؟

جاء في الكامل لابن الأثير:

قيل: بينما موسى طهرا يمشي ومعه يوشع بن نون فتاه إذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة فالالتزام موسى وقال: لا تقوم الساعة وأنا ملتزمنبي الله، فاستل موسى من تحت القميص وبقي القميص في يدي يوشع. فلما جاء يوشع بالقميص أخذه بنو إسرائيل وقالوا: قتلتنبي الله فقال: ما قتلتنه ولكنه استل مني. فلم يصدقوه قال: فإذا لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام. فوكلوا به من يحفظه فدعا الله فأُتي كل رجل كان يحرسه في المنام فأخبره أن يوشع لم يقتل موسى... وأنا قد رفعناه إلينا، فتركوه.

وقيل: إن موسى كره الموت فأراد الله أن يحبب إليه الموت فأوحى الله إلى يوشع بن نون وكان يغدو عليه ويروح ويقول له موسى: يانبي الله ما أحدث الله إليك فقال له يوشع بن نون: يانبي الله لم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنتأسألك عن شيء مما أحدث الله لك. ولا يذكر له شيئاً. فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت. وقيل: إنه منفردأ برهط من الملائكة يحفرون قبراً فعرفهم فوق عليهم فلم ير أحسن منه ولم ير مثل ما فيه من الخضراء والبهجة. فقال لهم: يا ملائكة الله من تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد كريم على ربه. فقال: إن هذا العبد له

(1) دأحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ / ص 236

منزل كريم ما رأيت مضجعاً ولا مدخلأً مثله فقالوا: أتحب أن يكون لك؟ قال: وددت قالوا: انزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك وتنفس أسهل تنفسه، فنزل فيه وتوجه إلى ربه فتنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب^(١).

وذكر ابن كثير حديثاً من صحيح البخاري قال فيه: حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبد الرزاق أئبنا معمر عن ابن طاوس عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى الصلوة فلما جاءه صكه (ضربه) فرجع إلى ربه عز وجل فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بها غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالآن قال: فسأل الله عز وجل أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال أبو هريرة؛ فقال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثم أريكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحر.

وفي رواية أخرى لمسلم وأحمد في مسنده. قال: جاء ملك الموت إلى موسى الصلوة فقال: أجب ربك فلطم موسى عين الملك ففُقأَه فرجع الملك إلى الله فقال: إنك بعثتني إلى عبد لك لا يريد الموت قال: وقد فقا عيني قال فرد الله عينه وقال: ارجع إلى عبدي فقل له الحياة تريد فإن كنت ت يريد الحياة فضع يدك... بقية الحديث. وقد تفرد به أحمد وهو موقوف بهذا اللفظ وقد رواه ابن حبان في صحيحه وقد أجاب عنه بما حاصله أن ملك الموت لما قال له هذا لم يعرفه لمجيئه له على غير صورة شاب فلم يعرفهم إبراهيم ولا لوط أولاً، وكذلك موسى لم يعرفه لذلك لطمه ففقا عينه لأنه دخل داره بغير إذنه.

وقال السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناسٍ من الصحابة قالوا ثم إن الله تعالى أوحى إلى موسى أبي متوفٍ هارون فأتت به إلى جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فإذا هم بشجرة لم ير شجرة مثلها وإذا هم ببيت مبني وإذا هم بسرير عليه فرش وإذا فيه

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ / المجلد الأول ص 198

ريح طيبة فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه قال: يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير قال له موسى: فنم قال: يا موسى نم معنـي فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعاً. فلما ناماً أخذ هارون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعني. قال فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبـت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء. فلما رجع موسى إلى قومـه وليس معـه هارون وكان في موسى بعض الغلظـة عليهم، قالوا فإنـ موسى قتل هارون وحسـده حـبـ بنـي إسرـائيلـ لهـ وكانـ هارـونـ أـكـفـ عـنـهـمـ وأـلـيـنـ لـهـمـ منـ مـوـسـىـ. فـلـمـاـ بـلـغـهـ ذـلـكـ قـالـ لـهـمـ: وـيـحـكـمـ كـانـ أـخـيـ أـفـتـرـوـنـيـ أـقـتـلـهـ فـلـمـاـ أـكـثـرـوـاـ عـلـيـهـ قـامـ فـصـلـيـ رـكـعـتـيـ ثـمـ دـعـاـ اللـهـ فـنـزـلـ السـرـيرـ حـتـىـ نـظـرـوـاـ إـلـيـهـ بـيـنـ السـمـاءـ وـالـأـرـضـ) (١).

(١) ابن كثير: البداية والنهاية المجلد الأول ص ١٧١ - ١٧٢.

الفصل السادس

النبي موسى عليه السلام
بأقلام الباحثين
والمؤرخين

النبي موسى عليه السلام بأقلام الباحثين والمؤرخين

تواجه الباحث مشكلات أثارها عدد كبير من الباحثين والمؤرخين القدامى والمحدثين وهذه المشاكل بربت من خلال دراسة شخصية النبي موسى عليه السلام في التوراة، ولعل أكثر ما تعرض له الباحثون شخصية هذا النبي وما ارتبط به من عقيدة ومن تشريع ومن تعامل مع بنى إسرائيل.

ويمكن لنا أن نجمل ما تناوله الباحثون في الآتي:

- 1 - موسى قائد عسكري عنصري وليس نبياً.
- 2 - موسى أتى بتشريع عنصري في التوراة.
- 3 - ليس موسى من بنى إسرائيل بل هو مصرى.

ولكثرة البحوث والدراسات التي تناولت شخصية هذا النبي فقد تنوّعت أسبابها وأهدافها وغاياتها وتعددت جنسيات الباحثين وأديانهم، حتى أنت نرى منهم يهوداً أو مسيحيين غربيين ويهوداً ومسيحيين شرقين.

ونستطيع أن نلمس من خلال ما كتبه هؤلاء الباحثون أن الفكر السياسي والانتهاء الديني والقومي يلعبان دوراً مهماً في الحديث عن هذه الشخصية، فهناك باحثون من تيارات علمانية لا تعرف بنبوة موسى عليه السلام وهناك تيار مسيحي شرقي يرى أن موسى بالمقارنة مع المسيح لم يكن نبياً بل كان قائد جماعة ببرية عنصرية.

وهناك تيارات علمانية محايضة تحاكم مصادر العقيدة اليهودية وخاصة التوراة دون الهجوم أو المساس بها جاء فيها.

ويقى في هذا الإطار منهجنا المتبع على ضوء ما قرأناه في القرآن الكريم والسنة النبوية. وهو في جوهره يستند إلى الإيمان بالأنبياء جميعاً. وموسى عليه السلام نبي من أولى العزم عانى الكثير من بنى إسرائيل وهو يرشدهم إلى الطريق الإلهي القويم. ولا نعتمد على ما جاء في التوراة العبرانية لأنها مؤلفة من قبل مؤلفين وليس كلاماً متولاً من الله. لذلك نرى أن الباحثين في التوراة وقعوا في فخ قاتل

عندما رأوا أن التوراة تعبّر عن شخصية النبي موسى لكنهم لم يرجعوا إلى القرآن الكريم ليدركوا هذه الشخصية بعيداً عن تلفيقات التوراة.

شخصية النبي موسى أسطورة أم حقيقة

يرى بعض الباحثين العلمانيين ومنهم علماء يهود أن موسى تلفيقية أسطورية توراتية فهو ليس موجوداً حقيقة.

يعلن عالم الآثار ولIAM Diffr من جامعة أريزونا أن موسى شخصية أسطورية ويعلن علماء الآثار القديمة بل ويؤكدون أن قصص موسى كانت من صنع سياسي وقد ابتدعت لتجمّع القبائل في أطراف أرض كنعان (كائنها أنها كانت وذلك بهدف صنع رمز بطولي تاريخي).

وقد استند علماء الآثار على المعلومات الشحيحة الغامضة في التوراة. فجل ما يذكره العهد القديم أن والده ووالدته من بيت لاوي ولا ينقل عن شخصيته سوى معلومة وفاته وأنه لم يقم نبي بعده في إسرائيل كما يقول سفر التثنية⁽¹⁾.

ويرى فرويد وهو عالم نفس يهودي أن اثنين يحملان اسم موسى، والأول منها كان والياً لأنخاتون الموحد على منطقة جasan حيث يوجد العبريون. وحين سقطت دعوة أنخاتون خرج موسى مع أتباعه هارباً بعقيدته الجديدة حيث يقتل الشعب موسى الأول وفيما بعد يقيمون بديلاً له تكفيراً عن خطئتهم.

بالطبع فإن فرويد يخل على هواه وليس هناك أي دليل على هذا الكلام لا من التوراة ولا من غيرها.

ويرى برسيد وهو عالم آثار أميركي أن الاسم (موسى) اسم فرعوني خالص ويعني ابن وهو جزء من اسم فرعون المركب على غرار مانري من اسم تحتموس. رعمسيس.

(1) أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب / ص 19.

أما المؤرخ اللبناني كمال صليبي فيعطي تفسيراً للاسم مفاده أن الاسم موسى بالعبرية (موشه بالتصويت هو اسم الفاعل من مشه أي انتشل أو خلص والفعل هذا يقابله في العربية مسا أي استخرج الأوساخ من خرج الناقة أو البقرة ويقابله بالأرامية مشا تصوينا من مشى بمعنى غسل أو طهر).

وعليه يرى بعضهم أن موسى لم يكن اسمها إنما كان صفة أو كنية بمعنى المخلص أو المنقذ. وهناك روايات أخرى حول مصرية النبي موسى ومنها ما رواه المؤرخ اليهودي الشهير فلافيوس يوسيفوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي. وقد قال إن موسى كان حاكماً أو كاهناً مصرياً وقد كان قائداً كبيراً في الجيش المصري خلال الحملة المصرية على الحبشة التي حقق فيها نمراً كبيراً، وقد تزوج هناك من (تريس) بنت ملك الحبشة، كما أن الفيلسوف اليهودي الإسكندرى فيلون 30 ق.م. أيد بأن موسى كان مصرياً وبذلك يكونان قد خالفاً الإجماع اليهودي على عريته، وقد ورد في التوراة ما يؤيد زواج موسى في الحبشة فقالت: إنه تزوج من امرأة كوشية كما أوردت أنه تزوج من ابنة كاهن مدين. وفي كلا الزواجين لم نجد ظاهرة تدل على أنه كان لموسى صلة ببني إسرائيل وفي التوراة أيضاً ما يشير إلى أن موسى سمي بالمصري في قول بنات يثرون لأبيهن عن نجدة موسى هن من الرعاة (فقلن: رجل مصرى أنقذنا من أيدي الرعاة وإنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم).

ويؤكد ول ديورانت أن موسى اسم مصرى ولعله اختصار للفظ حموس. ويقول نقاً عن جارستانغ عضو بعثة مارستان التابعة لجامعة ليفربول أنه اكتشف في مقابر أريحا الملكية أدلة تثبت أن موسى أنجبه في عام 1537 ق.م الأميرة حتشبوب وأنه تربى في بلاطها بين حاشيتها. وأنه فر من مصر حين جلس على العرش عدوها تحتمس الثالث ويعصي ول ديورانت أن يوسيفوس ينقل عن مانيشون وهو مؤرخ مصرى عاش في القرن الثالث ق.م أن موسى كان كاهناً مصرياً خرج للتبرير بديانة التوحيد وقد ورد في التقليد أن ابنة فرعون أقامت عليه أساتذة من الكهنة يفهمونه علوم المصريين ويرى أكثر الخبراء أن النبي موسى بشر بعقيدة التوحيد الخالصة التي

دعا لها أخناتون فيقول العلامة (ويج) إن أول من قال بالتوحيد المطلق الذي يدعوا إلى عبادة الإله الواحد هو أخناتون. ويبدو أن موسى وقد أمضى طفولته وشبابه في مصر عرف هذه العقيدة وتأثر بها ودعا لها^(١).

وبالطبع للحديث بقية عما قاله بعض علماء الغرب وعلماء الآثار. وهذا المنهج هو أحد المناهج التي اتبعها الباحثون في دراسة شخصية النبي موسى عليه السلام. وهذا يجبرنا لنتظر إلى منهج آخر، وهو منهج هجومي يستند إلى التوراة، فيحاسب شخصية النبي موسى على أساس وصف التوراة له. وقد ارتبط هذا المنهج على الغالب بأيديولوجية معينة ترفض التوراة واليهودية وأنبياء التوراة وحتى أنبياء بني إسرائيل بشكل عام.

ندرة اليازجي وكتابه (رد على التوراة)

يقول ندرة اليازجي: تأسست اليهودية على يد رئيس كهنة إسرائيليين هارون أخي موسى، كان هارون رئيس كهنة إسرائيليين وكان موسى نبيهم واستطاع هارون الطامع برئاسة بني إسرائيل أن يحول الأمور لصالحه في الانقلاب الذي قام به ضد موسى يوم كان هذا الأخير يقضي أوقات تأمله على جبل سيناء وحدث أن موسى انحدر من الجبل وشاهد ما فعل أخيه. أدرك موسى أن هارون حرض جمهور الشعب ضده فقفز عائداً إلى قمة الجبل حيث لقي حتفه.

ثمة مراجع تذكر أن موسى لم يُشاهد بعد صعوده الثاني. وتحدث هذه المراجع عن انتقال موسى إلى جوار ربه. لقد قتله أخوه رئيس الكهنة واحتل مكانه في قيادة الشعب^(٢).

فهذا الكلام في هذه الفقرة مرفوض لأن هارون لم يقم بانقلاب على أخيه موسى عليها السلام، والذي حدث أن السامي هو الذي صنع العجل ليعبدة بنو إسرائيل، ولم يستطع هارون النبي ردّهم وكادوا أن يقتلوه.

(١) تقلاً عن كتاب الدكتور أحمد سوسة العرب واليهود في التاريخ ص 509.

(٢) ندرة اليازجي: رد على التوراة، ص 30 / دار الغربال / دمشق 1987.

من ناحية ثانية، من المؤكد أن هارون مات قبل موسى وليس العكس. إذ أن هارون مات في جبل هور حسب ما قالت التوراة، وحسب ما جاء في المصادر الإسلامية فإن هارون مات قبل موسى واتهم بنو إسرائيل موسى ^{الظالم} بقتله وليس العكس ولم يقد هارون بنى إسرائيل كما يتخيل الكاتب لأنه كما قلنا مات قبل موسى ^{الظالم} ويقول اليازجي: وفي هذا الانقلاب الشبيه بانقلاب قام به كهنة أمون في مصر على إخناتون، تحول الاتجاه الديني من الإسرائيلية التي كانت تؤمن بإله كوني على غرار مبادئ إخناتون إلى يهودية تعبد إلهًا خاصاً شخصياً، لقد تحول إيل إلى يهوه. وفي التحول الطارئ على الاتجاه الديني أصبح هارون الكاهن الوسيط بين الإنسان الإسرائيلي والإله يهوه. ولم يعد بإمكان الإسرائيلي القيام بتقديم الذبيحة بنفسه، وذلك لأن الوساطة بينه وبين ربه الجديد قد تركزت في النظام الكهنوتي الذي أسسه هارون.

وتحت عنوان موسى والتوراة يقول اليازجي: موسى وسيلة لإيقاف الشر بالعنف وهذا سوء العنف في الناموس. فهل يمكن أن تقوم شريعة بدون عنف وقسوة؟ إذن لا ناموس ولا شريعة من الله. وضع الناموس لشعب يعبد إيليس ويسير في ركاب الشر.

فليس من السهل وضع ديانة له لأن شعب يسير تحت اللعنة يتعالى على الروح ليغرق في المادة هوتعبير كامل للسقوط. إذن هو يحتاج إلى شريعة تقوده. ثم إن موسى لا يمثل الكمال لأن الناموس الذي أعطاهم لم يكن كاملاً.

في الناموس لا يحب الإنسان الله بل يخافه وينخض له كعبد ولا يحب الإنسان الآخر ففي المسيحية تموت الموسوية وتضمحل.

ولما كانت الشريعة تقف عند حدود النعمة والحق والرحمة والمحبة، فإنها تتغطر بمجيء من يمثل هذه القيم، ولهذا تتضاءل قيم الموسوية أمام المسيحية في أمرين: الأول هو أن الموسوية لا تصلح طريراً للخلاص لأنها طريقة يتبعها كل ضال. والثاني هو العلاقة بين الإنسان والله.

ويقول اليازجي: كان موسى متعصباً لبني قومه، أي لإلهه، وعرقياً برأيه فأراد أن يفقدتهم وبالفعل خرج موسى إلى قصر فرعون ومضى إلى مقر بنى إسرائيل

فوجد إسرائيلياً في قتال مع مصرى فقتل المصري. وفي المرة الثانية التقى إسرائيليين يتقاتلان ولما حاول أن يكون حكماً بينهما رفض أحدهما فهرب من أرض مصر. لقد أظهر موسى من خلال قصة اليهودي والمصري أنه متغصب لبني قومه وتلعب فيه العرقية مع أنه لا يمت لهم بصلة القربي لا في نشأته ولا ثقافته وتراثه. وعندما نقارن بين موسى وال المسيح نجد ما يلي:

1 - عرقية موسى وعالمية المسيح، والعرقية تعصب لشعب وكره لشعوب أخرى والعالمية محبة وتضحيه.

2 - موسى يقتل، يريق دمًا، فهو قاتل يمثل الناموس الحرف والمسيح يحب، يُراق دمه فهو ناموس الله.

3 - موسى قائد شعب، والمسيح محب للإنسانية جموعه وخدمتها.

4 - موسى بيته في الصحراء والمسيح يتصر على إيليس في الصحراء.

ويقول اليازجي: إن تعصب موسى قاده إلى تشخيص الإله تشخيصه في أرض وفي ناموس وكانت هذه العملية علة لغضب الإله، فقد غضب الله على موسى لأنه حول الأمور من الروحانية إلى المادية إلى الحرب إلى الناموس المكتوب على ألواح حجرية. وهذا فقد دعاه الله ليりه الأرض السماوية وعندئذ أدرك موسى لكنه أدرك متأخرًا.

ويقول اليازجي: ثور ثائرة موسى على كنعان، كنعان المسلم الذي يعبد إلهًا حقيقياً فيلعنه موسى لأنَّه قاوم ولم يستسلم ويلعن أبناء نوح بأجمعهم ويجعلهم خداماً لسام الذي يعتبره الشعب اليهودي جدهم. ويلعن موسى كرهه للشعوب فيوصي شعبه أن يحب اليهود ويكره الآخرين ذلك لأنَّ يهوه أمر بذلك.

ويتابع اليازجي: إننا نأتي إلى تأويلات رمزية تفترضنا لدى فهم موضوع موسى هل عاين موسى الأرض المادية الموعودة من رأس جبل سيناء عندما أراه الله إياها؟ وكيف يستطيع موسى أن يرى من بعيد وهوشيخ طاعن في السن والأرض

بعيدة جداً؟ لقد عاين موسى الأرض الموعودة التي حرفها إلى أرض مادية عندما خضع لزيارات إلهه ورغبات شعبه.

ماذا يفعل في صحراء شائعة واسعة. إنه يكلمهم بلغة العنف لماذا؟ لأنه أخرجهم من أرضه وعليه أن يدخلهم إلى أرض. فالخروج من أرض رمز روحي يعني الإقبال على حياة جديدة والانتقال من فكرة ماضية شريرة إلى فكرة جديدة صالحة.

وفي إخراجهم من أرض مصر بدأت المصيبة الفاجعة. فليس المقصود بالإخراج المهروب والانتقال إلى مكان آخر لعبادة الله؛ لأن عبادة الله تتم في كل مكان فالخروج يعني الخروج من الظلمة والدخول إلى النور، ومن العبودية إلى الحرية، فكيف يبيح موسى لشعبه أرضاً يسكنها أناس آخرون ومتى كانت هذه الأرض لإبراهيم أو لموسى أو للشعب الإسرائيلي المتنتقل؟ إنها عقدة الحرف وليس الحرف إلا نمراً لإبليس.

هكذا أتاه موسى وشعبه لأنهم أخطأوا الفهم وأساؤوا. فمن غير المعقول أن يظل شعب في الصحراء لا يقطنها ولا يجتازها ولن يستمر صحراء موسى إلا متاهة اليونان ففي متاهة اليونان دخول دون خروج يتيم المرء فيها، هي متاهة العقل والوجود التي لا يتصر فيها إلا الحكيم وفي الصحراء يتيم موسى^(١).

حينما يناقش السيد ندرة اليازجي نذكره أن ما ورد في التوراة ليس هو الذي أنزله الله في كتاب على موسى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذه الأسفار الخمسة التي ينسبونها لموسى لا تمت بصلة له. إنما تمت بكل الصلة مؤلف التوراة عزرا. ولو أراد ندرة اليازجي التعرف على شخصية النبي موسى فيما عليه إلا أن يعود إلى آيات القرآن الكريم ويرى كم عانى النبي موسى من قومه بني إسرائيل وكم عذبوه نفسياً حتى أنه تمنى الموت على أن يظل بين ظهاريهما.

(١) المرجع السابق ص 161 - 162 - 163.

والله في عقيدة موسى هو خالق السموات والأرض ورب العالمين وليس يهوه كما تزعم التوراة، وأخلاق موسى هي أخلاق الأنبياء جميعاً فلينظر اليازجي إلى أخلاق النبي موسى عندما التقى بالعبد الصالح الذي ورد ذكره في سورة الكهف ليدرك أن موسى عليه السلام كان في قمة التربية الإلهية وخاصة في أدبه وتواضعه ونبوته. أما أن موسى عليه السلام كان عنيفاً مع قومه، فهذا ينطبق على بعض المواقف. نعم كان النبي موسى عنيفاً جداً مع قومه لأنهم يستحقون ذلك، فهم متقلبون في عقيدتهم فاسدون في أخلاقهم لا يحترمون النبي ولا النبوة وكل ذلك يتوضّح عندما نقرأ سيرتهم السيئة في القرآن الكريم.

لا نريد أن نناقش كل ما ورد في آراء السيد اليازجي ولكننا نستطيع القول: إن موسى كما ورد في التوراة ليس إلا تصويراً لشخصية أخرى تعمّدتها كاتب التوراة. وشخصية موسى عليه السلام نعرفها على حقيقتها النبوية كما جاء ذكرها في القرآن الكريم وليس في التوراة وكتب اليهود المحرفة.

لقد أورد اليازجي في الصفحة 175 وما بعدها أصواتاً عديدة على التوراة وأدخل موسى عليه السلام في نقهـة القاسي، فيقول: (عمد اليهود وعلى رأسهم موسى إلىأخذ آراء غيرهم والعمل على طمسها لتعطـي الأسبقية لهم).

فما دخل النبي موسى بما كتبه كاتب التوراة، ومن قال إن موسى كان يهودياً، صحيح أن اليهود سرقوا تراث غيرهم ونسبوه إليهم ولكن أليس بالحربي استبعاد النبي موسى عن اليهود وتلفيقات التوراة وخاصة الأسفار التي تُسبـت له زوراً وبهتاناً؟ ثم إن الحس العنصري الموجود في التوراة لا يخص موسى مطلقاً، فهذا الشعور بالتفوق والعنصرية ليس سوى محاولة من كاتب التوراة ليعرض عقدة النقص التي حلـت في النفس اليهودية بعد النفي البابلي. وكـره الشعوب جميعها لهم بسبب فسادهم وإفسادهم.

والشوـاهد الكثيرة من التوراة تدل على أن أحـبار اليهود وعلى رأسهم نحـميـاـ وعزـراـ حـرـفـواـ أفـكـارـ مـوسـىـ وـعقـيـدـتـهـ وـتـشـرـيـعـهـ الذـيـ أمرـ بـهـ اللهـ لـمـصـلـحـتـهـ العـنـصـرـيـةـ

وفسادهم أخيراً نقول إن الهجوم على شخصية النبي موسى بسبب تشويه التوراة لها ليس عملاً علمياً صحيحاً، واليازجي يعرف وكلنا يعرف من ألف التوراة، فعلينا أن ننظر إلى القرآن الكريم أولاً، وعلينا أن نرفض التوراة المحرفة ولا نقحم النبي موسى في نقدنا لهذه التوراة المؤلفة من قبل عزرا وهي لا تمت بصلة إلى النبي موسى عليه السلام.

منهج الدكتور جرجي كنعان في كتابه سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية وكتابه الوثيقة العنصرية في العهد القديم.

قبل مناقشة آراء الدكتور كنعان لابد أن أتوه أن عدداً من الباحثين المنحازين إلى الكنعانية وإلى مفهوم أرض سوريا الكبرى شنوا هجوماً واسعاً على اليهودية والصهيونية والتوراة، وهذا حق لا يختلف عليه، أما ما نختلف حوله معهم هو الهجوم على الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن. فنحن نرى أن ما نُسب إلى هؤلاء الأنبياء ليس إلا تشويهاً اعتمدته كاتب التوراة عزرا الكاتب. والأنبياء بريئون مما نسب إليهم. إن كان ذلك في العقيدة أو التشريع أو الأخلاق والسلوك ولو رجع هؤلاء الباحثون إلى القرآن الكريم لأدركوا الحقيقة النبوية لكل هؤلاء الأنبياء خاصة النبي موسى عليه السلام.

موسى لدى الدكتور كنعان قائد عسكري عنصري، قاتل غادر غاز لا يمت إلى النبوة بصلة، والدكتور يتتجاهل الحقائق القرآنية التي تبين شخصية النبي موسى الحقيقة وهذا هو نفس التصور الذي وقع فيه الكاتب ندرة اليازجي.

فالتوراة ليست مقياساً في التعريف بأي شخصية نبوية، فإذا أردنا الإنصاف والموضوعية علينا أن ندرك الحقائق والسمات لأي شخصية نبوية ليس من خلال ما لفقه كتبة التوراة بل من خلال الحقائق الإلهية التي لا تطاماً لها التحرifات.

يقول جرجي كنعان: (لعل أول سطر في مسيرة موسى هو صفة العنصرية الشوهاء والتعصب الأعمى التي خلعتها على أتباعه وجعلتها فريضة دينية)^(١).

(1) جرجي كنعان: سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية/ ص 43 ط أولى 1980.

ويقول: (وكان موسى كان يعي أن سلطان الدين سبيل إلى تحقيق سلطان الدنيا، ووجد من الضروري أن يكون لجماعته إله يرعاهم ويطعمهم ويحميهم وينهض لهم في المعارك ويقودهم في الحروب ويكون بينه وبينهم نوع من المنفعة المتبادلة).

ويقول: (ففي واد من أودية سيناء أوهم موسى أتباعه بأن رسالة جديدة جاءت له من إلهه) ويقول في موقع آخر: (ألا يكون الأقرب إلى العقل والمنطق أن موسى النبي حين كان زعيمًا لقبيلة يهودية ضاربة في صحراء سيناء فكر بغزو أطراف أرض كنعان لكنه مات قبل أن يتحقق حلمه) (ووجد موسى من الضرورة أن يكون لجماعته إله ينحطط لهم في المعارك ويقودهم في الحروب ووجد أن خير الصفات تكون لهذا الإله هي الغضب والحدق والاغتياب وسفك الدماء وإشعال نار الحروب. وهذه الصفات في الغالب صفات موسى أعطاها لربه وقد أتباعه.

فموسى حين حاول أن يجمع قومه بيهوه كان من الطبيعي أن يجعل منه إلهًا قومياً خاصاً بهم. ويكتفي أن نعلم أن يهوه إله حرب إقليمي قبلي. مثله مثل آلهة القبائل أو الملك الأخرى اخذه موسى إليها وجعله ينطق بما يشاء ويضع الأوامر والأحكام على لسانه لتكسب صفة التقديس وفرض عبادته على قومه بنى إسرائيل بالإرهاب المصحوب بالقتل والتذبح)^(١).

وقد برّ يهوه أو موسى بقسمه - لا فرق فهما اسمان لحقيقة أو شخصية واحدة لقد برّ بقسمه وأخر جهم من مصر. وتحت ضغط النازية كتب العالم النفسي اليهودي فرويد كتابه المشهور (موسى والتوحيد) توصل حسب رأيه إلى أن موسى رجل مصرى قاد حملات عسكرية إلى الحبشة وغيرها. وأنه استقى ديانة التوحيد من الفرعون المصري أخناتون وقد تمرد على سادته الجدد من الفراعنة وخرج من مصر ومعه بنو إسرائيل وبعض المضطهدرين دينياً من المصريين إلى سيناء.

(١) جرجي كنعان: الوثيقة الصهيونية في العهد القديم ص 33 / دار النهار ط 1977.

ورداً على هذه الآراء وغيرها نرى أنفسنا ملزمنا للاطلاع على سيرة النبي موسى عليه السلام كما أوردها القرآن الكريم.

فموسى عندما قتل الرجل المصري لم يكن قد تلقى الرسالة ولم يكننبياً فهو شاب صغير لم يبلغ سن الرجولة وعلى الرغم من ذلك لم يكن موسى يقصد القتل فالوكز لا يقتل الإنسان لكن الحكمة الإلهية أرادت أن يموت الرجل بسبب وكراهه ليكون ذلك مقدمة لما أراده الله لموسى من هروبه إلى مديان العربية ومن ثم تلقى الرسالة في سيناء. وموسى عندما تلقى الرسالة أصبح مسؤولاً أمام ربه عن أي عمل يقوم به فهو لن يقتل إلا بحق ولن يكون سفاحاً طالما هونبي مسؤول أمام الله وهذا رد على من اتهم موسى بأنه قاتل وأن رسالته تدعو إلى القتل.

وموسى عليه السلام لم يخترع إلهاً من تصوره كما قال بعض الباحثين. فالله في نظر موسى ليس إلهاً قومياً إقليمياً يدعوه إلى القتل ويغار ويتجسد.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَارِبُ الْعَالَمِينَ ﴾٢٣﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ﴾٢٤﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِنُنَّ ﴾٢٥﴿ قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ الْأَوَّلَيْنَ ﴾٢٦﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمْ جَنُونٌ ﴾٢٧﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾٢٨﴾ (سورة الشعراء: 23 - 28).

ويقول تعالى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَنْهَا مُوسَى ﴾٢٩﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَنَا كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾٣٠﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقَوْنُ الْأَوَّلِيِّنَ ﴾٣١﴿ قَالَ عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾٣٢﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُّلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ أَرْوَاجًا مِنْ بَأْتِ شَتَّى ﴾٣٣﴾ (سورة طه: 49 - 53).

فأين صفات الله التي أص quoها ياله موسى عليه السلام من هذه الآيات التي توضح بصدق صفات الله. فهو خالق السموات والأرض ورب المشرق والمغرب ورب الناس أولهم وأخرهم وهو الذي أعطى كل شيء خلقه وجعل الأرض مهداً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أرواجاً من النباتات.

أهذه صفات الإله الخاص ببني إسرائيل؟ أليست هي ذاتها صفات الله كما عرفها المسيح وكما عرفها النبي محمد ﷺ؟

أما إذا كانت التوراة قد وصفت الإله الذي عرفه موسى بالإله القومي الدموي المتعصب فهذا شأنها وليس لموسى الشفاعة ذنب في ذلك. وإذا نظرنا إلى التعاليم التي أنزلت على النبي موسى وجدنا أنها مبثوثة في ثنايا آيات القرآن الكريم، يقول تعالى:

﴿قَدَّافَلَحْ مَنْ تَرَكَ ﴿١٦﴾ وَذَكَرَ أَسْمَرَيْهِ، فَصَلَّى ﴿١٥﴾ أَبِيلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةَ خَيْرٌ ﴿١٧﴾ وَأَبْقَى ﴿١٨﴾ إِنَّهَذَا لِنِفَّ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ ﴿١٩﴾ مُحَمَّفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (سورة الأعلى: 14 - 19). إن ما ورد في كتابات ندرة اليازجي وجريجي كنعان يهون أمام ما كتبه بعض الدارسين الآخرين حيث وصل بهم الحد إلى الإسفاف والكلام البذيء. وبذلك نراهم لا يقلّون سفاهة من اليهود الذين شوهوا الأنبياء وألصقوها صفات لا تليق حتى بالحيوانات.

والغريب في الأمر أنهم راحوا يكيلون للأنبياء الشتائم بناءً على ما قرؤوه في التوراة، بل إن العجذات التي أجرأها رب العالمين وورد ذكرها في القرآن الكريم اعتبروها خرافات وسذاجات وتخلقاً. وبدل أن يخلصوا الأنبياء من براثن التشويه التورائي وقعوا في ما وقع فيه اليهود من الإسفاف والحقد على الأنبياء وقتلهم وبذلك ما أفادوا بل أضرروا تماماً بالمنهج الصحيح الذي يجب أن يُدرس الأنبياء من خلاله. كنموذج من تلك الكتب نورد بعضاً مما جاء في كتاب بعنوان دراسات توراتية للمؤلف حنا حنا.

حنا حنا وكتاب دراسات توراتية:

يقول: ثم إن موسى كان رجلاً حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض (العدد 12 : 3) ولكننا نقول: إذا كان موسى هذا الرجل الحليم فكيف تصرف بحقيقة ما بعدها حماقة حين كسر لوحى الشهادة هدية الرب إلى الشعب المختار خروج 23: 19. ثم أين كان حلمه الرفيع عندما قتل الرجل المصري وطمره بالرمل وعندما انفضح أمره هرب من وجه العدالة المصرية خروج 2: 11. وأين كانت أخلاقي موسى الحميدة وإنسانيته عندما أمر بقتل ثلاثة آلاف من العبرانيين خروج 32: 27. الذين تذمروا من الخروج وندموا عليه ويسوسوا من تعasse الهجرة والتنقل في الصحاري والبراري حتى الملاك. خروج 32: 27 - 28.

على أية حال، إن أبغض من سلوك موسى في الإجرام هو التصديق بنبأة موسى والتسليم بنزول الوحي عليه. أما ردنا عن السبب الدافع الذي حمل موسى لأن يكوننبياً أو ادعاؤه بالنبوة فنقول بأن هناك احتمالين يستحقان الدراسة.

1 - إن موسى كان فاراً من وجه العدالة بتهمة القتل العمد ونتيجة لهذا الفرار تغرب إلى أرض مدين وبالتالي تعرف على يثرون أو رعوئيل الذي أعطاه ابنته صفورة، وبحكم هذه القرابة بين موسى ويثرون اتفقا على ادعاء موسى بالنبوة لترعُّم العبرانيين. وحيث إن موسى لا يستطيع الظهور أمام المصريين الذين يطربونه بجريمة القتل العمد لذلك ورط العبريين بالسرقة وقال لهم هكذا يقول رب إله آبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب، يقول تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وتضعونها على بنيكם وبناتكم فتسلبون المصريين خروج 3 - 22 وبذلك أصبح القاسم المشترك بين العبريين وموسى هو الفرار من وجه العدالة. أما قصص الضربات العشر فهي من أكثر القصص سذاجة وتخلفاً وليس فيها أي منطق ومعقولية.

إلا أن الاحتمال الثاني وهو الأقرب إلى الحقيقة. وهو إن حقيقة موسى قد تكون على غير ما وردت في أسفار التوراة، والتي تروي أن موسى كان لقيطة وانتشلته ابنة فرعون لأنها تركيبة مقتبسة من قصة سرجون الأكادي. التي سبقت عهد موسى وهنا يحتمل أغلب الظن أن موسى قد يكون فرعونياً في جنسيته وربما كان ضابطاً في الجيش المصري إذ كلف بإخراج العبريين من مصر.

ويقول في مكان آخر: إن لعبة موسى بعصاه مع العبريين كانت تشبه لعبة الفلاح مع حماره الذي لم يكن يسير إلا بعد أن ربط جزرة بخيط مدلٍّ من عصاه. صحيح أن موسى لم يربط جزرة في عصاه ليسير خلفها العبريون إلا أنه عمل بنفسه مضمون هذه الخطة حيث كان عمود السحاب في السماء بمثابة هذه الجزرة نهاراً أما في الليل فكان شخص ما يحمل شعلة نار عن بعد لتنبوب عن هذه الجزرة.

ويقول: من المعقول جداً ما يراه بعضهم من أن موسى قتل على يد هذه الجماعة التي أخرجت من مصر بمكر في إحدى ثورات غضبهم وأيأسهم مما لا يفوه من خدعة في إخراجهم وعدم تمكنهم من الرجوع.

ثم يقول في مكان آخر: لكن موسى ساس العربين بالطريقة التي اتبعها الشيطان مع آدم فعندما سقط آدم بالخطيئة وأخرج من الجنة إلى هذه الأرض وحيث أنه لم يتعد بعد على الظلام خاف جداً من ظلام الليل فجاء إليه الشيطان مستغلاً جهل آدم في تناوب الليل والنهار⁽¹⁾...

وهناك مقاطع عديدة من كتاب حنا حنا يشهر فيها بالنبي موسى عليه السلام. ويظهر من خلال كتابته استناده على النص التوراتي الذي يعرف هو وغيره أنه مؤلف من قبل عزرا وليس هو الكتاب الذي أنزله الله على النبي موسى.

ولسنا في هذا الإطار نحصر جميع ما كُتب عن النبي موسى. وقد اكتفينا ببعض النماذج العربية، والملاحظ أن الذين تناولوا موسى حسب نص التوراة لم يطلعوا مطلقاً على آيات القرآن الكريم التي توضح شخصية النبي موسى على حقيقتها والتي توضح زيف التوراة وبهتانها وتحريفها.

إن موسى عليه السلامنبي من أنبياء الله بعثه الله لبني إسرائيل كي يهدىهم لطريق الله لكنهم رفضوا ذلك وفسدوا وأفسدوا حتى جعلوا النبي موسى بعد ثمانين سنة من الدعوة أن يتمني من الله أن يأخذه ويرتاح من فسادهم وتمردهم.

وقد بين الله سبحانه ذلك من خلال قوله: ﴿هُوَ رَبِّ إِلَيْنَا لَا أَمْلَأُ إِلَّا نَقْسِي وَأَخْرِيٌّ فَأَفْرَقْتُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة المائدة: 25).

(النبي موسى عليه السلام في الفكر المسيحي)

ليس النبي موسى عليه السلام بعيداً عن التراث المسيحي بل هو أحياناً في صلب العقيدة المسيحية طالما أصبح التوراة والإنجيل في كتاب واحد يطلقون عليه الكتاب

(1) حنا حنا: دراسات توراتية/ ص 313 - 314 - 315 دار رام دمشق 2006.

القدس وهنا لابد أن نفرق بين وجهات نظر متعددة حول النبي موسى عليه السلام وهذه الوجهات تختلف بسبب تدين بعضها وبسبب علمانية بعضها الآخر وبسبب رؤية المسيحية منفصلة عن اليهودية التوراتية.

فالكنيسة الكاثوليكية وكذلك الأرثوذكسية والبروتستانت وغيرهم من الطوائف المسيحية يؤمنون بأن رسالة المسيح التي بلغها لبني إسرائيل هي استكمال لما جاء في ناموس التوراة.

وبعض المسيحيين يرون في دمج التوراة بالإنجيل تحت اسم الكتاب المقدس خطأ فادحًا يجب تداركه والسبب هو رؤيتهم للاختلاف الجذري بين تعاليم التوراة المحرفة الداعية للعنصرية والقتل، وبين تعاليم الإنجيل الداعية للمحبة والسلام والأخوة بين الناس.

وعندما ظهر المذهب البروتستانتي في بداية القرن السادس عشر على يد مارتن لوثر الكاهن الألماني برزت الدعوة إلى إعادة النظر بالتوراة وباليهود. وقد دعا هذا المذهب إلى دمج التوراة والإنجيل ليكملان بعضهما تحت اسم الكتاب المقدس. ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن يتهم البروتستانت باليهودية التوراتية إلى حد الذوبان وخاصةً بعدما ظهر ما يسمى تيار المحافظين الجدد في أميركا.

وبغض النظر عن التفصيات تعرف المسيحية بأن موسىنبي وقد قادبني إسرائيل في سيناء وأنقذهم من فرعون.

وبحسب رأي قاموس الكتاب المقدس فإن موسى ظهر مع إيليا (إلياس) على جبل التجلی فتكلما مع المسيح الذي كان عتيداً أن يكلمه في أورشليم (لوقا 9: 31).

ويقول قاموس الكتاب المقدس: كان موسى رمزاً للمسيح فإنه أبى أن يُدعى ابن ابنة فرعون لأنَّه لم يكن يمكنه ذلك مع حفظ ديانته. كما أبى المسيح أن يقبل مالك العالم لأنَّه لم يمكنه قبولها بدون إذعان لطالب الشيطان، وكان موسى محرراً لشعبه كما أنَّ المسيح يحرر تابعيه من عبودية الخطيئة. وأنشأ موسى ناموس الوصايا الجسدية أما المسيح فقد وهب ناموس الحياة الروحية. وكان موسىنبياً أما يسوع

فنبي أعظم منه، وكان موسى وسيطاً بين الله وشعببني إسرائيل وهكذا كان المسيح هو وسيط بين الله والناس والذين يغلبون على الوحش وصورته يرثلون ترنيمة موسى والحمل (رؤيا يوحنا 15: 3).

وقد ورد ذكر الناموس المنسوب إلى النبي موسى النبي في الأنجليل.

فيرون ناموس موسى على أنه الشريعة التي وضعها موسى بوحي من الله في الحقوق المدنية والاجتماعية والأدبية والطقسية وقد ورد ذلك في (متى ويوحنا ورسائل بولس) وفي رأي بعض المسيحيين أن المسيح لا يكمل موسى في الشريعة.

وقد طرحا سؤالاً: هل المسيح يكمل موسى؟

وتعود هذه القضية رئيسية في فكر المسيحيين التقليديين فهم يعتقدون كاليهود والنصارى أن المسيح قد أتى ليكمل موسى.

وقد رأى الحواريون بأن الطريقة الفضلى لجذب اليهود إلى المسيحية هي في الحوار معهم من خلال معطياتهم. ناموسهم وتوراتهم، وقد استطاع الحواريون تهذيم الناموس والتوراة من خلال هذا الحوار، فمن جهة الإكمال كان اليهود يتظرون مسيحاً يكمل موسى.

وكانوا يعتقدون أن الله أعطى الحقيقة على مراتب، مرتبة موسى ومرتبة المسيح فاليسوع في رأيهما يكمل موسى.

هناك آية لم ترد إلا في إنجيل متى، ربما ذكرت في هذا الإنجيل وحده لأنه كتب إلى اليهود فقط وهنا تظهر سيئة فهم الأنجليل الثلاثة الحوارية فمن لا يكون دقيقاً وعميقاً في فهم هذه الأنجليل يسيء إلى المسيحية إساءة كبرى ويرتبط باليهودية أو النصرانية لهذا اعتبرت إنجيل يوحنا إنجيل المسيحي والأنجليل الثلاثة الأخرى أناجليل الحوار. في إنجيل متى 5: 17 يقول المسيح: «لا تظنوا إني جئت لأنقض الناموس والأنباء، ما جئت لأنقض بل لأكمل» (18) «فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف من الناموس حتى يكون الكل».

فما الذي يكمله المسيح؟ هل هو الناموس. الناموس لم يكمل شيئاً كما يقول بولس إذاً هو ناقص متى جاء الكامل فحيثُ يبطل ما هو بعض. لذا نرى أن كل ما أتى قبل المسيح يلغى، الناموس يلغى والكهنوت المادي يلغى، وملكية داود تلغى، والحرف يلغى، واليهودية تلغى.

لقد ظن اليهود أن موسى قد تنبأ بالمسيح وأن المسيح سيكون مكملاً لموسى وبناءً على هذا الوعد يقر متى بواقعه بواقع نقص موسى، فيسير مع اليهود في معتقدهم هذا.

وبهذه الطريقة يأنس اليهود له ويجدون فيه إنساناً يتكلم بلسانهم ويعبر عن فكرهم، ولكن متى يعود فيقول: إن المسيح الذي يكمل موسى ينهي الشريعة والناموس ويبطلها وهكذا يدرك اليهود من خلال بشارة متى أن موسى ينتهي لأن تعاليمه تفنى في تعاليم المسيح، فلا ضرورة لوجوده ولا ضرورة لوجود الناموس لأن الأمر قد اكتمل والقديم قد انتهى⁽¹⁾.

ويرى بعض المسيحيين أن إنجيل متى يبرهن أن المسيح لا يكمل موسى خاصة عندما يظهر التناقض بين موسى والمسيح فالمسيح ينافق موسى تماماً.

وبذلك يقضي على مزاعم اليهود بطريقة منطقية جدلية فإذا فهم اليهود أو النصارى أو المسيحيون التقليديون أن المسيح يكمل موسى فإن متى يستمر بجدل عظيم ليظهر كذب هذا القول. فمتى يستمر في الفصل ذاته وفي المكان ذاته ليظهر معارضه المسيح لموسى ونقضه له. ومتى أدرك اليهود هذه الحقيقة أدركوا أيضاً أن المسيح ينافق موسى. فموسى الذي يوصي بمبدأ العين بالعين والسن بالسن يتناقض مع المسيح الذي يوصي بالمحبة. وموسى الذي يوصي بمحبة القريب (اليهودي) وكراه العدو (الأعمى) يتناقض مع المسيح الذي ينادي بمحبة الناس جميعاً⁽²⁾.

(1) ندرة اليازجي: رد على التوراة/ ص 127 - 128 .

(2) المرجع السابق/ ص 130 .

ويرى بعض الباحثين المسيحيين الغربيين أن جانباً مظلماً يحيط بحياة النبي موسى عليه السلام وهذا الجانب حسب رأيهم هو فصل أوامر الإبادة والتحريم وتنفيذها. وهنا بالذات يظهر موسى كـ(لاوي) حقيقي. فالأمر الذي صدر للإسرائيليين من نسل لاوي بقتل كل من عبد العجل كان مقدمة لأوامر التحريم القادمة ويتخذ موسى مرجعاً له الوعد التوراتي الذي سبق أن أعطاه الله لإبراهيم أن نسله سوف يملك الأرض التي وعد بها، وقد فهم موسى من هذا أن هذا الوعد لا يتم إلا بالإبادة وليس فقط بها! - الشعب الكنعاني وهذا هو نص الأمر المزعوم الذي أتاه من الله (وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك لا تشفق عيناك عليهم ولا تعبد آلهتهم لأن ذلك شرك لك) ويصدر موسى أوامر للإسرائيليين بهذا المعنى (تحموا ذكر عماليق من تحت السماء) ويدرك موسى في شيخوخته: «وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرّمنا من كل مدينة الرجال والأطفال والنساء. لم نبق شارداً لكن البهائم نبنيها لأنفسنا وغنيمة المدن التي أخذنا» (ثنية 2: 34 – 35).

ويتبين موقف بعض المسيحيين أكثر فأكثر في القول: هنا يقف موسى حقاً في خط لاوي مؤسس عشيرته. لنذكر هنا أن لاوي ومعه شمعون هو الذي حثت بعهد الختان الذي عقده يعقوب مع الشكيמים (سكان نابلس التي كانت تسمى شكيم) حينما كان الشعبان يريدان إقامة علاقات عائلية فيما بينهما. وكان ذلك الحث في اللحظة التي أصبح فيها الشكيميون نتيجة للختان غير قادرين على القتال فقتل لاوي جميع الرجال والنساء والأطفال في شكيم وبحسب نوايا يعقوب إن العهد السلمي مع أهل شكيم يجب أن يكون أول استيلاء على أرض لذا اشتد غيظاً على فعلة لاوي إلا أنه لا يظهر بوضوح ما إذا كان غضب بسبب فعل لاوي حقاً أم بسبب ما سوف يترب عليه. أما موسى فيواصل سياسة الإبادة هذه بشكل أعم مدعياً دوماً بأنها بأمر من الله وهكذا سيعمل يشوع أيضاً من بعده.

ويقول الدكتور رينهارد لاوت: يبقى أنه من غير المقبول إطلاقاً أن يكون الله قد أمر بذلك ففي ذلك تناقض فادح مع الوصية التي جاءت من الله على لسان

يسوع (أحبوا أعداءكم، وأرجع سيفك إلى غمده) ومع أوامر التحرير يسقط إسرائيل مرة أخرى إلى القاع وفيما يتعلق بهذه النقطة يسقط إلى ما تحت المستوى الذي وصل إليه يعقوب، وفكرة الإبادة ملعونة من قبل يعقوب نفسه، ومع ذلك تبنّاها أبناء لاوي ويشعّون. وحينما ربط موسى مبدأ شمعون لاوي بالوصيّتين الثانية والثالثة نتج عن ذلك المبدأ شديد الخطورة مبدأ الملكية الفردية بإطلاق.

إن القرار الموسوي ينفي جميع الشعوب الأخرى في الأرض المقدسة بالفعل ذاته، كونهم موجودين فيها ينفيهم إلى خارج العهد وذلك بالتطابق التام مع ما أراده لاوي، وبقيت القاعدة تلك التي أعطاها موسى وهي تحريم كافة الشعوب المقاومة لاحتلال الأرض المقدسة وإبادتهم.

لكن الدين والدستور الموسوي هما دين وقانون ودستور وقانون والصفة المميزة للقانون هي أن يكون نافذ المفعول لدى الجميع وبشكل دائم. ومن هنا، أي فيها وصل إليه الأمر أصبح التفرد الطابع الدائم بالمعنى الذي قاله لاوي.

كانت تلك الملكية لا تزال ملكية الله ولم يكن قد خطرت ببال موسى مرة تلك الملكية المغربية التي بدأت بفعلٍ يعقوب أن يسرق ملكية الله و يجعلها ملكية الشعب نفسه⁽¹⁾.

ويقول لاوت: لم يعط موسى أيّاً من الأفكار الأساسية الدينية الخلاقة والآتية من الله على غرار ما جرى للأباء من قبل. وفقاً لذلك لا نجد في حياته أي ارتقاء. إنه يتراجع بعيداً عن إبراهيم لا بل حتى عن يعقوب ذاك أنه وبغض النظر عن أن يعقوب قد أعطى فكرة بيت إيل إلا أن موسى هو الذي أخذ بشكل كامل فكرة امتلاك الأرض. وإذا جعلنا من موسى تلك الشخصية الخامسة بالنسبة للإيمان بالإله الواحد وعلاقة العهد معه فسوف نحصل عندئذ بالضرورة على فهم مختزل للدين إبراهيم يصل إلى حد إفساده⁽²⁾.

(1) د. رينهارد لاوت: إبراهيم وأبناء عهده مع الله ص 281 - 282 - 283 ترجمة: الدكتور غانم هنا خطوات للنشر والتوزيع ط أولى 2006.

(2) المرجع السابق ص 289.

ويقول: لم يبق موسى للعناية الإلهية وحدها أمر استيلاء الإسرائيليين على أرض الميعاد فلجأ كابن حقيقي (اللاوي) إلى سبيل إبادة الشعوب المقبحة هناك، وهنا لم يعرف طرق الله بل هجرها وقد عاقبه الله بأن حرمه وحرم معه الإسرائيليين الذين أخرجهم من مصر من دخول الأرض الموعودة.

لم يصدر هذا الحكم على موسى مصادفة وقد شغل هذا الحكم فكر الإسرائيليين على امتداد تاريخهم اللاحق دون انقطاع.

لقد كان لقساوة قلب موسى نتيجة مفادها أنه لم يترك لله ببساطة أن يقوم هو وحده بالاستجابة الكاملة لمطلبـه بل وجد من الضروري أن يستعين بقوى أخرى^(١). من خلال ما تقدم نرى بعض الأفكار المسيحية التي تتناول شخصية النبي موسى مرتبطة بالمقارنة بال المسيح عليه السلام . وهذا المنهج وجده عند الكتاب المسيحيين من العرب . ويبدو أن هذا التيار يريد أن يقول إن رسالة المسيح هي غير رسالة موسى عليها السلام . فهذه رسالة حبـة و تضـحـيـة و سـلام و رسـالـة مـوسـى رسـالـة عـنـصـرـيـة و إـبـادـة و دـعـوـة إـلـى الـحـرب و القـتـل حـسـب ما يـتصـور أـصـحـاب هـذـا المـنـهـج . ومرة أخرى نقول: لو أدركنا وأدركـهـؤـلـاءـ معـانـيـ القرآنـ الـكـرـيمـ فـيـماـ يـتـعلـقـ بالـنـبـيـ مـوسـىـ السـلـيـلـ لـتـغـيـرـ النـظـرـةـ تـامـاًـ

إنـاـ نـقـولـ كـمـاـ تـعـلـمـنـاـ مـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ إـنـ الـأـنـبـيـاءـ جـمـيـعـاًـ أـبـنـاءـ دـائـرـةـ وـاحـدـةـ هـيـ دـائـرـةـ النـبـوـةـ . وـلـاـ نـحـمـلـ الـأـنـبـيـاءـ وـزـرـ ماـ فـعـلـهـ المـدـعـونـ مـنـ الـيـهـودـ وـالـصـهـاـيـرـ وـالـتـوـرـاتـيـوـنـ الـذـيـنـ كـتـبـواـ التـوـرـةـ بـأـيـدـيـهـمـ وـشـوـهـواـ سـيـرـةـ الـأـنـبـيـاءـ بـكـلـ الـأـشـكـالـ .

(١) المرجع السابق ص 291

الفصل السابع

النبي موسى عليه السلام
بين الحديث النبوي الشريف
والترااث الاسلامي والاسرائيليات المشبوهة

النبي موسى عليه السلام في الحديث النبوي الشريف والتراث الإسلامي

قدمنا في الفصول الأولى الحديث عن النبي موسى عليه السلام كما وصفه القرآن الكريم وكما قدم سيرته، وقارنا بين النص القرآني والنص التوراتي ورأينا الاختلافات الكبيرة والتناقضات بين النص الإلهي والتأليف التوراتي. واستكمالاً للحديث عن النبي موسى عليه السلام وجدنا أنه من الضروري جداً قراءة أحاديث رسول الله عليه السلام المتعلقة بالنبي موسى عليه السلام وهي بشكل عام توضح ما جاء في القرآن الكريم وتأكد عليه.

الحديث الأول:

حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثي عقيل عن ابن شهاب سمعت عروة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: «فرجع النبي عليه السلام إلى خديجة يرجف فؤاده فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل وكان رجلاً تنصر يقرأ الإنجيل بالعربية فقال ورقة: ماذا ترى فأخبره فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى وإن أدركتني يومك أنصرك نصراً مؤزراً» والناموس صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره. (رواوه البخاري).

وهذا الحديث يؤكد ما أوحى الله سبحانه لموسى عليه السلام وما أوحاه للنبي

محمد عليه السلام.

2 - حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أخبرنا عمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه السلام: ليلة أسرى به «رأيت موسى وإذا رجل ضرب رجلاً كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر كأنه خرج من ديماس» (رواوه البخاري).
وقوله: الضرب التحيف والرجل بكسر الجيم الذي شعره ليس ببعد وشنوءة حي في اليمن طوال وشبهه بهم في الطول.

وقد كانت حادثة الإسراء معجزة الله سبحانه ونبيه محمد ﷺ ومن أجزاء هذه المعجزة أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى في بعض السماوات الأنبياء ومنهم موسى وعيسى وغيرهما. وقد وصف النبي عليه الصلاة والسلام كلاماً بصفاته الجسدية التي كان عليها فعلاً.

وقد أكد الوصف النبوي لليهود صدق نبوة نبينا حين تحدث عما رأه من صفات النبيين موسى وعيسى عليهما السلام.

وذكر النبي ﷺ ليلة أسرى به فقال: «موسى آدم طوال بأنه من رجال شنوة» وقال: «عيسى جعد مربوع».

3 - حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا أبو أيوب السختياني عن ابن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يصومون يوماً يعني يوم عاشوراء فقالوا هذا يوم عظيم وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون فصام موسى شكراً لله. فقال أنا أولى بموسى منهم فصامه وأمر بصيامه» (رواه البخاري).

وقوله ﷺ: «أنا أولى بموسى منهم» يؤكّد معنى دائرة النبوة المتكاملة فالأنبياء فعلاً أولى ببعضهم بعضاً من غيرهم حتى لو كانوا أقوامهم. وفيه أيضاً أن النبي موسى عليه السلام الذي حاول التوراتيون تشويهه هونبي عظيم نقى اختاره الله واصطفاه نبياً لكن بني إسرائيل حرفاً كلامه ونسبوا إليه الكثير من الهرطقات العنصرية التي لا تليق به ولا بالأنبياء.

4 - حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن عمرو بن يحيى عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «الناس يصعقون يوم القيمة فأكون أول من يفتق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أفاق قبل أم جوزي بصعقة الطور» (رواه البخاري).

5 - حديث النبي موسى عليه السلام والحضر. بعد أن فُسرت الآيات التي نزلت في سورة الكهف عن لقاء النبي موسى عليه السلام بالحضر. قال النبي ﷺ: «وَدَدْنَا أَنْ مُوسَى كَانَ صَبْرٌ فَقُصْصَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبْرِهِمَا» (رواه البخاري).

6 - حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن
ومحمد وخلاس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«إن موسى كان رجلاً حياً لا يُرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه
من بني إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما ما
أدره وإما آفة وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا الموسى فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على
الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بشوبه فأخذ موسى
عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأٍ من بني
إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه
فلبسه فطفق بالحجر ضرباً بعصاه. فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثة أو أربعاً
أو خمساً فذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا
قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهِهَا﴾ (سورة الأحزاب: 69) (رواه البخاري).

هذا ما ورد في صحيح البخاري من أحاديث لرسول الله ﷺ تتعلق بالنبي
موسى عليه السلام. وهي أحاديث تتعلق بصفات هذا النبي ومقطوفات من أخباره وهي
خارجية من الصادق الأمين محمد ﷺ ليس فيها ما يخالف القرآن ولا يخالف العقل
والمنطق التاريخي والديني.

الإسرائيليات حول النبي موسى

لا شك أن كثيراً من الأحاديث المنسوبة لبعض الصحابة وهي ليست من
أقوالهم وإنما رفعت لهم من قبل بعض المغرضين وضعاف النفوس. وعلى الغالب
فإن هذه الأحاديث والروايات هي من الإسرائيليات. وبشكلها العام من حيث
متنها وسندتها تخالف المتنق القرآن وتخالف أحاديث رسول الله ﷺ.

وقد رُوي بعضها عن النبي موسى عليه السلام فزادت في الخرافات وزادت كثيراً على
ما جاء في المصادر الإسلامية الأولى.

لذلك فإننا في هذا البحث نطلع إلى غايتين الأولى بإبعاد هذه الأحاديث
والروايات تماماً عن صلتها بالنبي ﷺ لأنه لم يقلها ولم تأت في كتب السنة ك الصحيح

البخاري ومسلم وابن حنبل وغيرهم. والغاية الثانية إظهار مدى الخرافة ومخالفته العقل والمنطق بما روي من قصص وأحاديث.

الإسرائيليات في ذكر صفة عصا النبي موسى وما فيها:

ورد في كتاب قصص الأنبياء المسمى عرائس المرrog لأبي إسحق الثعلبي النيسابوري أن العلماء اختلفوا في اسم عصا موسى ومنافعها التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها:

قال بعض العلماء: كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى، حملها آدم من الجنة إلى الأرض فور ثها الناس صاغراً عن كابر إلى أن وصلت إلى شعيب فأعطتها موسى.

فطول العصا عشرة أذرع على طول موسى، ذلك من زيادة بعض اليهود، صحيح أن موسى عليه السلام كان طويلاً ولكن ليس طوله كما ذكرت هذه الرواية عشرة أذرع إذ أن العشرة أذرع تعني أن طوله سبعة أمتار لأن مقدار كل ذراع سبعين سنتمتراً. وكذلك العصا. فهي ليست كذلك لأن هذا لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة، وقد أخطأ الثعلبي بقوله: إن شعيبا هو من أعطى موسى العصا.

أما كثرة الإسرائيليات فقد وجدت في الباب السابع من هذا الكتاب في صفة المأرب التي كانت في العصا.

فيورد الثعلبي: إن أهل العلم بأخبار الماضين قالوا: ومن هم أهل العلم لا ندري وهذا طبعاً هروب من التوثيق. أو أن هؤلاء من بنى إسرائيل أصحاب الزيادات، يقول: كان لعصا موسى شعبتان ومحجن، في أسفل الشعيتين، وسنان حديد في أسفلها. وكان موسى إذا دخل مغارة ليلاً ولم يكن قمر تضيء شعبتها كالشعيتين من نار تضيئان له مد البصر، وكان إذا أعزوه الماء دلها في البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير في رأسها شبه الدلو فيُسقى منها، وإذا احتاج إلى طعام ضرب الأرض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان إذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها في الأرض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتوى موسى فاكهتها وأثرت له من ساعتها.

وكان إذا قابل بها عدوه يظهر على شعبيتها تيننان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتفق وعلى الحجر والشوك فتخرج له الطريق. وكان إذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبداله فيه الطريق منفرج. وكان يشرب من إحدى شعبيتها العسل ومن الأخرى اللبن وكان إذا أعيى في طريقه ركبها فتحمله إلى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك. وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه، وكان إذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيعطيه ويطيّب ثوبه. وإذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا.

ويروي الثعلبي: وقال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم إليه أغنامه يرعاها اذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وإن كان الكلاً بها أكثر فإن هناك تينناً عظيماً أخشي عليك وعلى الأغنام منه فذهب موسى بالأغنام حتى إذا بلغ مفرق الطريق أخذت الأغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصر لها ذات الشمال فلم تطعه فخلالها على ما تريده ثم نام موسى والأغنام ترعى وإذا التنين قد جاء فقامت العصا فحاربته فقتلتته وأتت فاستلقت إلى جانب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتولاً فعلم موسى أن في تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأنًا، فهذه مآرب موسى إذا كانت في يده وأما إذا ألقاها فيرى أنها كانت تقلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبيتها فمَا وفيه اثنا عشر ناباً وضرسًا ولها صرير وصريف يخرج منها لهب نار ويصير محجنها عرفاً لها كأمثال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيئاً إلا أحرقته تمر بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها وجعلت تتلمظ وتتبرم كأنها تطلب شيئاً تأكله).^(١).

(١) الثعلبي النيسابوري: قصص الأنبياء ص ١٧٦ - ١٧٧ / دار الكتب العلمية بيروت ص ١، ١٩٨٥.

فالملاحظ أن قصة عصا النبي موسى قصة أسطورية من الأساطير واللاحمن الخيالية وقد استطاع مؤلف هذه الأساطير أن يضفي عليها خيالات هي أشبه ما ورد في الأساطير اليونانية والفارسية المغرقة في القدم. ولا سيما عندما يذكر التنين ومن المعروف أن التنين الذي يقذف اللهب ليس سوى أسطورة من الأساطير ليس له وجود في الواقع.

الإسرائيليات في سؤال موسى ربه الرؤية:

ومن الإسرائيليات ما يذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّيْ أَرِنِّي أَنْظُرْ إِلَيْكَ فَقَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ أَسْتَقِرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِيٌّ فَلَمَّا جَعَلَ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّأً وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ شُبَّحْنَاكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأعراف: 143).

فقد ذكر الشعبي والبغوي وغيرهما عن وهب بن منبه وابن إسحق قالا: لما سأله موسى ربه الرؤية أرسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق وأحاطت بالجبل الذي عليه موسى أربعة فراسخ من كل جانب وأمر الله ملائكة السماوات أن يعرضوا على موسى فمررت به ملائكة السماء (ثيران)⁽¹⁾ البقر ينبع أفواهم بالتسبيح والتقديس بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد، ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فاعتراضوا عليه فهبطوا عليه أمثال الأسود لهم لجب بالتسبيح والتقدис ففرز العبد الضعيف ابن عمران ممارأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وجسده، ثم قال لقد ندمت على مسألتي فهل ينجيني من مكاني الذي أنا فيه شيء؟.

فقال له خير الملائكة ورأسهم (جبريل) يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعتراضوا عليه فهبطوا أمثال النسور، لهم قصف ورجف ولجب شديد وأفواهم تنبع بالتسبيح

(1) ثيران: جمع ثور وهذا من سوء أدب بني إسرائيل مع الملائكة.

والتقديس كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففرز موسى واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة مكانك حتى ترى ما لا تصر على عليه.

ثم أمر ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعتربوا على موسى ابن عمران فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا به قبلهم. ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتقديس والتسبيح لا يقاربهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبته وارتعد قلبه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا بن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعتربوا على موسى فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره لم ير مثلهم، ولم يسمع مثل أصواتهم، فامتلاً جوفه خوفاً واشتد حزنه وكثربكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم: يا بن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصر على عليه.

ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعتربوا عليه فهبطوا عليه في يد كل ملك منهم مثل النخلة الطويلة ناراً أشد ضوءاً من الشمس ولباسهم كلهب النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب الملائكة والروح رب العزة أبداً لا يموت، وفي رأس كل ملك منهم أربعة أوجه، فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكي ويقول: رب اذكري ولا تنس عبدي لا أدرى أأنفلت مما أنا فيه أم لا إن خرجت احترقت وإن مكثت مت فقال له كبير الملائكة ورأسهم: قد أوشكت^(١) يا بن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت.

ثم أمر الله أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فلما بدانور العرش انفوج الجبل من عظمة الرب جل جلاله ورفعت ملائكة السماءات أصواتهم جميعاً يقولون

(١) يقول الدكتور أبو شهبة: لا أدرى كيف يتفق هذا وما ذكر من قبل من شدة خوفه وفزعه في المرات الخمس وهذا من إمارات التهافت.

سبحان الملك القدس رب العزة أبداً لا يموت، بشدة أصواتهم فارتاج الجبل واندكت كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقاً على وجهه ليس معه روحه فأرسل الله برحمته الروح فتغشاو قلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى وجعله كهيئة القبة لثلا يخترق موسى، فأقام موسى يسبح الله ويقول آمنت بك ربِّي وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا. من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الأرباب وإله الآلهة وملك الملوك ولا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء رب تبت إليك الحمد لله لا شريك لك ما أعظمك وما أجلك رب العالمين فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَنَّ رَبَّهُمْ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّاءً﴾ (سورة الأعراف: 143) وبعد أن ذكر الأقوال الكثيرة فيما تبدي من نور الله قال: وقع في بعض التفاسير (طارت لعظمته ستة جبال ووقيعت ثلاثة بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقيعت ثلاثة بمكة ثور وثير وحراء)⁽¹⁾. وهذه المرويات وأمثالها مما لا نشك أنها من إسرائيلياتبني إسرائيل وكذبهم على الله وعلى الأنبياء وعلى الملائكة. فلا تُلْقِي إلَيْهِم بِالْأَوْلَى وليست تفسير الآية في حاجة إلى هذه المرويات والآية ظاهرة واضحة وليس فيها ما يدل على امتناع رؤية الله في الآخرة كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة الصحيحة المتواترة⁽²⁾.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الثعلبي والبغوي والمخشري في تفاسيرهم عند قوله فخر موسى صعقاً أي مغشياً عليه وليس المراد ميتاً كما قال قتادة. فقد قال البغوي: وفي بعض الكتب إن ملائكة السموات أتوا موسى وهو مغشي عليه فجعلوا يركلونه بأرجلهم ويقولون يا بن النساء الحبيب أطمعت في رؤية رب العزة. وذكر مثل هذا الزمخشري في الكشاف وقد نقلها لأنه تساعده على إثبات مذهب الفاسد وجماعته من المعتزلة.

وهذا مما لا شك فيه أنه من الإسرائيليات المكذوبة. وموقفبني إسرائيل من موسى ومن جميع الأنبياء معروف فهم يحاولون تنفيصهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً⁽²⁾.

(1) د. محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والمواضيعات في كتب التفسير / ص 199 - 200.

(2) د. محمد أبو شهبة: المرجع السابق، ص 200 - 201.

ومن الإسرائيليات ما ذكره الشعبي والبغوي والمخشري والقرطبي والآلوي
وغيرهم عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَنَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأَمْرُ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأْفِرِيكُ دَارَ الْفَسِيقِينَ ﴾ (سورة الأعراف: 145).

فقد ذُكر في الألواح مم هي وما عددها أقوال كثيرة عن بعض الصحابة والتابعين وعن كعب الأحبار و وهب بن منبه من أهل الكتاب الذين أسلموا مما يشير إلى منبع هذه الروايات وأنها من إسرائيلياتبني إسرائيل.

يدرك البغوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ ﴾ قال ابن عباس يزيد ألواح التوراة وفي الحديث كان من سور الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً وجاء في الحديث (خلق الله آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده) الواقع أن البغوي كما هي عادته لم يخرج الحديثين ولم يبرز سندهما وقد ذكر الآلوysi أن الحديث الأول رواه ابن أبي حاتم و اختار القول به إن صحي السنده إليه.
وأما الحديث الثاني فقال: إنه مروي عن علي وعن ابن عمر وعن غيرهما من التابعين. قال الحسن: كانت الألواح من خشب وقال الكلبي: كانت من زبرجد خضراء. وقال سعيد بن جبير: كانت من ياقوت أحمر وقال الربيع: كانت الألواح من بُرُود وقال ابن جريج: كانت من زمرد أمر الله جبريل حتى جاء بها من عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور.

وقال وهب: أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء لينها الله له فقطعها بيده ثم شققها بيده. وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر وكان ذلك في أول يوم من ذي القعدة وكانت الألواح عشرة أذرع على طول موسى.

وقال الربيع بن أنس: نزلت التوراة وهي سبعون وقر بغير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويشوع وعزير وعيسى. ويعلق الدكتور أبو شهبة قائلاً: لا أدرى كيف يقبل عقل أنها حمل سبعين بغيراً. ثم إذا لم يقرأها سوى أربعة فلماذا أنزل لها الله؟

فكل هذه الروايات المتصاربة التي يرد بعضها بعضاً مما يُحال أن يكون مرجعها النبي ﷺ وإنما هي من إسرائيلياتبني إسرائيل. والأولى عدم البحث في هذه الألواح. مم صنعت وكم طولها وعرضها وكيف كُتبت فهذا لا يجب الإيمان به لأن البحث فيه لا يوصل إلى غاية^(١).

وما ورد في كتاب الشعلبي التيسابوري قوله: ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عقيقاً فلما نزل موسى عنه عاد إلى حالته الأولى، فلما رجع موسى شيعته الملائكة.

ومن الخرافات التي أوردها الشعلبي قوله: فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين فاتحة فاما قد ملأت ما بين جنبي القصر واضعة لحيها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجاً من مدينة مصر رأسها ثم توجهت نحو فرعون تأخذه فانقض منها الناس وذُعر منها فرعون ووثب عن سريره وأحدث حتى قام من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة.

ومن الإسرائيليات ما قاله كعب الأحبار أن عدد السحرة الذين واجهم النبي موسى كانوا اثنى عشر ألفاً وقال السدي كانوا بضعة وثلاثين ألفاً وقال عكرمة: كانوا سبعين ألفاً وقال محمد بن المنكدر ثمانين ألفاً.

وما قاله من الخرافات الإسرائيلية أن ذنب الحية بلغ الجزيرة من وراء البحر يومئذ. وكذلك قوله: وكانوا قد جاؤوا بالعصي والحبال يحملها ستون بعيراً.

وقوله: فألقوا فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً تسعى.. وقوله عن حية موسى: ولها ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه وعنقه وكاهله لا يضرب بذنبه على شيء إلا حطمه وقصمه ويكسر بقوامه الصخور الصلب ويطحن كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسه نار وله عينان تلتهبان ناراً ومنخراه ينفخان سموماً وصارت

(١) المرجع السابق ص 203.

الشعبتان له فمَا سعته اثنا عشر ذراعاً وفيه أنيناب وأضراس لها فحيح وكشيش وصرييف وصرير.

ومن سخافات ما قال الشعلبي: وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فتزاحموا وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضاً حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفاً وانهزم فرعون فيما انهزم متخوفاً مرعاوباً ذاهباً عقله وقد استطلق عليه بطنه من يومه ذلك أربعين مرّة فصار يحصل له ذلك أربعين مرّة في كل يوم وليلة على الدوام إلى أن هلك.

وأورد وهب بن منبه: أنه كان بين الله وبين موسى سبعون حجاباً فرفعها الله كلها إلا حجاباً واحداً. وهذه جميعها مما لا تثبت صحته ولا هو من القرآن أو السنة إنما من أساطير وخرافات بني إسرائيل.

ومن الإسرائيليات المكذوبة ما قيل في سبب غضب النبي موسى لما ألقى الألواح.

وقد روى الطبراني في تفسيره والبغوي في تفسيره وغيرهما في سبب غضب النبي موسى العظيمة حين ألقى الألواح من يديه وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَاجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ، غَضِبَنَ أَسْفًا قَالَ يَتَسَمَّا حَلَقْتُوْنِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخْذَ رِئَاسَ أَخِيهِ يَمْرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ أَبْنَ أَمَّ إِنَّ الْقَوْمَ أَسْتَضْعَفُهُنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْتَمِتُ بِكَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: 150).

فقد روي عن قتادة أنه قال: نظر موسى في التوراة فقال: رب إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر اجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون، أي آخرون في الخلق سابقون في دخول الجنة رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد. قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها وكان من قبلهم يقرؤون كتابهم نظراً حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئاً ولم يعرفوه وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئاً لم يعطه أحداً من الأمم قال: رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد قال:

رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فصول الضلالة حتى ليقاتلوا الأغور الكذاب فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم ويؤجرون عليها. وكان من قبلهم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله ناراً فأكلتها وإن ردت عليه تركت فتأكلها السبع والطير وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقيرهم قال: رب فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملاها كُتبت له حسنة وإن عملها كتب لها عشر أمثالها إلى سبعينات رب اجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفعون والمشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال: تلك أمة محمد. قال قتادة: ذكر لنا أن النبي الله موسى نبذ الألواح وقال: اللهم اجعلني من أمة محمد.

وإذا نظرنا إلى ما سبق نجد آثار الوضع واضحة، أوها قوله (نظر موسى في التوراة)، وما أنزل على موسى مكتوباً في الألواح ليس التوراة إنما كتاب. وقوله: (أنا جيلهم في صدورهم)، وكلمة إنجيل لم تكن واردة في زمن موسى وهي تعني البشارة.

ثالثاً: نسي الطبرى أن الآيات القرآنية أشارت إلى غضب النبي موسى عندما رأى بنى إسرائيل يعبدون العجل.

(إن هذه الآثار واضحة الوضع والأخلاق، والسند مطعون فيه، وهي أمور مأخوذة من القرآن والأحاديث ثم صيغت هذه الصياغة الدقيقة وجعلت على لسان موسى القطنيل. والظاهر المتعين أن إلقاء سيدنا موسى بالألواح إنما كان غضباً وحيبة لدين الله وغيره لانتهاك حرمة توحيد الله وأما ما ذكره قتادة فغير مسلم) ^(١).

ويقول في ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله. (ثم ظاهر السياق أن سيدنا موسى ألقى الألواح غضباً على قومه وهذا قول جمهور العلماء سلفاً وخلفاً وقول ابن جرير

(1) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والمواضيعات في التفسير / ص 204 - 205

أنه روى عن قتادة فهذا قول غريب لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء وهو جدير بالرد وكأنه تلقاء قتادة عن بعض أهل الكتاب وفيهم كذابون ووضاعون وأفاكون وزنادقة^(١).

وصدق ابن كثير، وأرجح أن يكون من وضع زنادقهم كي يظهرروا الأنبياء بمظهر المحسدين بمظهر الإخوان المتحابين.

وقال الإمام القرطبي عند تفسيره لذلك. والغضب مما اعتبره (موسى) من الأسف والغضب حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل وعلى أخيه في إهمال أمرهم. ولا يصح أن إلقاء الألواح إنما كان لما رأى من فضيلة أمّة محمد ﷺ ولم يكن ذلك لأمته، وهذا قول رديء لا ينبغي أن يضاف إلى النبي موسى عليه السلام^(٢).

ومن الخرافات والإسرائييليات ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٩). وقد ذكر الطبرى في تفسير هذه الآية خبراً عجيباً فقال: حدثنا القاسم قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج قوله: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْلَمُونَ﴾ قال بلغنى أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا الثاني عشر سبطاً تربأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله عز وجل أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله نفقاً في الأرض فساروا حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبورنا. قال ابن جريج: قال ابن عباس: (فذلك قوله وقلنا من بعده لبني إسرائيل ﴿أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَهُ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَاكُمْ لِفِيقًا﴾) (سورة الإسراء: ١٠٤).

وحسب قوله: أن وعد الآخرة هو عيسى بن مريم. وهذا عجيب ومرفوض. قال ابن جريج قال ابن عباس: ساروا في السرب سنة ونصف وقال ابن عيينة عن صدقه عن أبي الهذيل عن السدي: (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه

(١) تفسير ابن كثير، جزء ٣ ص ٧٥٥.

(٢) محمد أبو شهبة: المرجع السابق، ص ٢٠٦.

يعدلون) قال: قوم بينكم وبينهم نهر من شهد وقد وصف ابن كثير ما رواه الطبرى
بأنه خبر عجيب ..

قال البغوى. قال الكلبى والضحاك والربيع هم قوم خلف الصين بأقصى
الشرق على نهر مجرى الرمل يسمى نهر أوداف ليس لأحد منهم مال دون صاحبه.
يمطرون بالليل ويصحون بالنهر ويزرعون، لا يصل إليهم منا أحد وهم على دين
الحق. وذكر أن جبريل عليه السلام ذهب بالنبي عليه أسلية أسرى به إليهم فكلمهم فقال لهم
جبريل: هل تعرفون من تكلمون قالوا: لا. فقال لهم: هذا محمد النبي الأمى، فآمنوا
به فقالوا: يا رسول الله إن موسى أوصانا أن من أدرك منكم أهداه فليقرأ عليه مني
السلام فرد النبي عليه موسى وعليهم ثم أقر لهم عشر سور من القرآن نزلت
بمكة وأمرهم بالصلاوة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم
أن يجمعوا ويتركوا السبت، وقيل لهم الذين أسلموا من اليهود في زمان النبي عليه
والأول أصح.. حسب قول البغوى.

فهذه من خرافات بني إسرائيل ولا محالة، والعجب من البغوى أن يجعل هذه
الأكاذيب أصح من القول الآخر الذي هو أigner بالقبول وأولى بالصحة، ونحن لا
نشك في أن ابن جريج وغيره من رووا ذلك إنما أخذوه عن أهل الكتاب الذين
أسلموا ولا يمكن أبداً أن يكون متلقى عن النبي المعصوم عليه السلام⁽¹⁾.

وما ذكر لا يشهد له من عقل ولا نقل صحيح بل هو يخالف الواقع الملموس
والشاهد المتيقن، وقد أصبحت الصين وما وراءها معلوماً كل شبر فيها فأين هم؟
ثم ما هذا النهر الشهد وما هذا النهر من الرمل وأين هما؟ ثم أي فائدة تعود علينا
من التمسك بهذه الروايات التي ليس لها زمام؟⁽²⁾.

وقد امتلاء كتاب قصص الأنبياء لصاحبہ الثعلبی بالإسرائيليات والخرافات
التي تناولت النبي موسى وغيره من الشخصيات التي كان لها علاقة بالنبي موسى.

(1) محمد أبو شهبة: مرجع سابق ص 207

(2) المرجع السابق 208

يورد مثلاً قصصاً عن أولادبني إسرائيل الذين هربتهم أمهاتهم كي لا يذبحهم فرعون. فيقول: حين أمر فرعون بذبح أولادبني إسرائيل جعلت المرأة إذا ولدت الغلام انطلقت به سراً في جوف الليل إلى صحراء أو واد أو غار في جبل فأخفته فيقيض الله له ملكاً من الملائكة يطعنه ويستقيه حتى يختلط بالناس، وكان الذي ربي السامری جبريل القطّة فجعل يمتص من أحد إبهاميه سمناً ومن الآخر عسلاً فمن ثم عرفه ومن ذلك الوقت إذا جاء الطفل يمتص إبهامه فيروى من المص لأنه **جُعل** فيه رزقه^(١).

من الخرافات التي تصل حد الكفر والتجزؤ على الله عز وجل ما قاله الشعلبي في قصة العجل. يقول فيها: لما واعد الله موسى أربعين يوماً قال الله تعالى: يا موسى إن قومك قد افتنوا من بعدك. قال: يا رب كيف يفتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم قال: إنهم اخندوا العجل إلهاً من دوني وهو عجل ذو جسد له خوار قال: يا رب من نفع فيه الروح قال: أنا قال: أنت وعزتك فتنتهـم. قال الله تعالى: يا موسى يا رأس النبـين يا أبا الأحكـام إني رأـيت ذلك في قلوبـهم فيـسرـتهـ لهم^(٢).

فلاحظـ هذا التـلـفـيقـ والـجـرـأـةـ عـلـىـ اللهـ عـزـ وـجـلـ فـكـيـفـ يـضـلـ بـنـوـ إـسـرـائـيلـ وـيـسـرـ لـهـ الـضـلـالـ. وـيـضـعـ الرـوـحـ فـيـ الـعـجـلـ. وـهـلـ الـعـجـلـ كـانـ لـهـ رـوـحـ؟ـ وـكـلـ ذـلـكـ كـمـ نـرـىـ مـنـ تـلـفـيـقـاتـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ وـخـرـافـاتـهـ.

وـمـنـ ذـلـكـ قـولـ الشـعلـبـيـ: أمرـ اللهـ مـوسـىـ أنـ يـبـرـ العـجـلـ بـالـمـبـرـدـ ثـمـ يـحـرـقـهـ ثـمـ يـذـرـوـهـ فـيـ النـيـلـ. فـمـنـ شـرـبـ مـاءـ مـنـ عـبـدـةـ العـجـلـ اـصـفـرـ لـوـنـ وـجـهـ وـاسـوـدـتـ شـفـتـاهـ وـقـيـلـ ثـبـتـ عـلـىـ شـارـبـهـ الـذـهـبـ فـكـانـ عـلـيـاـ عـلـىـ جـرـمـهـ.

وـنـلـاحـظـ أـنـ كـلـامـهـ يـنـاقـصـ الـوـاقـعـ الـجـغـرـافـيـ، فـمـوسـىـ كـانـ فـيـ سـيـنـاءـ وـلـمـ يـكـنـ قـرـبـ النـيـلــ فـكـيـفـ ذـرـاهـ فـيـ مـاءـ النـيـلـ؟ـ وـمـثـلـ ذـلـكـ كـثـيرـ وـلـاـ مجـالـ لـذـكـرـهـ لـكـثـرـتـهـ وـكـثـرـةـ خـرـافـتـهـ وـعـدـمـ معـقـولـيـتـهـ.

(1) الشعلبي النيسابوري: قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، ص 208.

(2) المرجع السابق ص 210.

خاتمة

استعرضنا حياة النبي موسى حسب ما وردت في القرآن الكريم وحسب ما
قالته التوراة وأدركنا من خلال النصوص أن موسى عليه من قبل بنى
إسرائيل. وبين أن رحلة العناة التي عاشها لم توقف، فما إن خلصه الله من فرعون
حتى وقع في مواجهة مع بنى إسرائيل. واستمرت هذه المواجهة إلى أن طلب من ربه
أن يفرقه وأخاه عن فسق بنى إسرائيل.

دام معهم أكثر من ثمانين سنة وهو يعلمهم عقيدة التوحيد والتشريع ومن
دون جدوى أو فائدة.

لقد كانت هذه الدراسة كغيرها من الدراسات التي نشرت عن النبي إبراهيم
وابنائه من الأنبياء وعن النبي سليمان وأبيه النبي داود عليهم السلام جميعاً. وقد
آثرنا في هذه الدراسات أن نعتمد مقارنة النص التوراتي بالنص القرآني لنرى كيف
حرف اليهود الدين والتاريخ وكيف شوهوأنبياء الله. وكيف فضحهم القرآن
الكريم وكيف أصففهم الإسلام تحريف هؤلاء الفاسدين من اليهود.

إننا من باب اتباع سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام فإننا أولى بإبراهيم
وإسحق ويعقوب وأولى بموسى وهارون وداود وسليمان لأنهم أنبياء مسلمون
ينهلون من نبع إلهي واحد ويكملون مع بعضهم دائرة الرسالة التوحيدية التي
أرادها الله عز وجل وأراد المفسدون غيرها.

إن هؤلاء الذين كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هذا من عند الله، يحاولون
التماهي مع شخصية إبراهيم وإسحق وموسى ويعقوب وداود وسليمان وفي الوقت
نفسه جعلوهم عرضة للتشويه والسخرية.

لقد رفضوا عقيدة موسى منذ البداية فعبدوا العجل وكانوا قبله قد طلبوا أن
 يجعل موسى لهم آلة كما لغيرهم. وظلوا يقارعون موسى طوال عشرات السنين إلى

أن ملّ منهم مع العلم أنه من أولي العزم من الرجال، وطلب من ربه أن يفرق بينه وبينهم لأنهم فاسقون فاسدون.

فلا التهابي المنافق يفدهم أو يغفر لهم ذنوبهم وآثامهم بسبب حربهم على الدين والأنبياء. ولا الخيال يسعفهم ولا الأساطير تحقق أحلامهم. فهم كما أذلهم الله سيدلهم مرات ومرات لأنهم ما عرروا ماهية النبوة ولا قيمتها. وما عرروا الله حق المعرفة حتى يأملوا برضاه ورضا أرواح الأنبياء والمرسلين.

إننا من باب إيضاح ما أشكل على عقول الناس من الإسرائييليات حاولنا جاهدين أن نبين حقيقة شخصية النبي موسى عليه السلام بعيداً عن تلقيقات بني إسرائيل وخرافات الرواة. وكانت آيات القرآن أكبر معين لنا في ثبيت رؤيتنا ودراستنا عن هذا النبي العظيم.

وإذا كان لنا من أمل فهو أن يطلع اليهود المعاصرون وكذلك من لف لفهم من مسيحيي الغرب وخاصة هؤلاء الذين يمثلون المسيحية الصهيونية في أميركا. أن يروا حقيقة موسى وجوهر نبوته وحقيقة الزيف التوراتي والتلقيقات التي لا توافق المنطق والعقل ولا التاريخ ولا الجغرافيا والآثار. إن النبي موسى بريء مما أصلقه به الباحثون من يهود وغربين وغيرهم فهونبي مرسل وليس قائداً عسكرياً دموياً. وهو إنساني وليس عنصرياً كما لفقت التوراة العبرانية عليه.

وعلى الباحثين الذين استندوا على نص التوراة في دراساتهم لشخصية النبي موسى أن يعودوا للنص القرآني حتى لا يقعوا في شراك الإسرائييليات وخرافاتهم وحتى لا يقعوا في مصائد النصوص التوراتية العبرانية التي ألفها عزرا الكاتب وصدقها من جاء بعده من اليهود وعلى أنها ما أنزل على موسى وموسى منه براء. وحتى تكون منصفين علينا أن ننسف هذه المقولات ونبحث عن الحقيقة في النص القرآني وعلم التاريخ وعلم الآثار وعلم مقارنة الأديان.

لقد حان الوقت كي نعيد النظر في كتابة التاريخ وقراءته حتى نصيغ ما يوافق الحقيقة ونبعد عنها آلفته يد المستشرقين والمغرضين.

لقد حان الوقت لنقول لهؤلاء ليس لكم أي علاقة دينية بدين موسى ولا
بدين داود وسلیمان ولا بدين أبي الأنبياء إبراهيم ولا بأولاده.

إنكم على منهج عنصري صهيوني غربي ركبتم حمار دينكم لتصلوا إلى تحقيق
مشروعكم الغربي الاستعماري. فليس لكم أي حق بأرض فلسطين. لأن نصكم
التوراتي الكاذب مرفوض لدى الجميع. ولأن مشروعكم الاستعماري مكشوف
 تماماً وقد حان الوقت حتى تزول وتنزال كل المشاريع الاستعمارية من الكرة
الأرضية.

د. حسن الباش 2010/4/21

المصادر والمراجع

- 1 - القرآن الكريم.
- 2 - صحيح البخاري.
- 3 - صحيح مسلم.
- 4 - العهد القديم - التوراة.
- 5 - قاموس الكتاب المقدس.
- 6 - ابن كثير: البداية والنهاية: المجلد الأول.
- 7 - ابن حزم الأندلسي: الفصل في الملل والأهواء والنحل المجلد الأول.
- 8 - محمد طه الدرة: إعراب القرآن وبيانه / المجلد الخامس.
- 9 - د. حسن الباش: الكتاب والتوراة.
- 10 - باروخ سينوزا: رسالة في اللاهوت / نقلًا عن د. محمد الشرقاوي: مقارنة الأديان.
- 11 - رحمة الله الهندي: إظهار الحق.
- 12 - السموأل بن يحيى المغربي: غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود.
- 13 - الرسالة السبيعية في إبطال الديانة اليهودية / ملحق على كتاب السموأل.
- 14 - ريجسكي: أنبياء التوراة والنبوات التوراتية / ترجمة: آحو يوسف.
- 15 - فؤاد شبل: مشكلة اليهودية العالمية / دراسة لآراء آرنولد تويني.
- 16 - ابن الأثير: الكامل في التاريخ / المجلد الأول.
- 17 - د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ.
- 18 - أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب.
- 19 - ندرة اليازجي: رد على التوراة.
- 20 - جرجي كنعان: سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية.
- 21 - جرجي كنعان: الوثيقة العنصرية في العهد القديم.
- 22 - حنا حنا: دراسات توراتية.
- 23 - رينهارد لاوت: إبراهيم وأبناء عهده مع الله ترجمة الدكتور غانم هنا.
- 24 - الشعلبي النيسابوري: قصص الأنبياء.
- 25 - د. محمد أبو شهبة: الإسرائيлик والمواضيعات في كتب التفسير.

الفهرس

١ - الإهادء	5
٢ - تصدرير	7
٣ - تمهيد: خمسة وخمسون سؤالاً	9
٤ - المقدمة: مناهج لدراسة شخصية النبي موسى المنهج القرآني المصدر الأساسي في علم مقارنة الأديان	13
٥ - الفصل الأول: النبي موسى من الولادة إلى الشباب والهروب إلى مدين	19
- بنو إسرائيل بعد النبي يوسف - موسى مرحلة جديدة / محطة ثانية	21
٦ - الفصل الثاني: موسى والنداء الإلهي الأول والصراع مع فرعون حتى الخروج	39
- النداء الإلهي الأول	41
- موسى وفرعون بين القرآن والتوراة	49
٧ - الفصل الثالث: موسى في سيناء الوحي والتشريع والصراع مع بنى إسرائيل	65
- بنو إسرائيل في سيناء	68
- النص القرآني وقصة العجل والألواح	75
- ألواح أم لوحان	78
- النبي موسى بين الكتاب والتوراة	82
- النبي موسى والخضر (العبد الصالح)	90
٨ - الفصل الرابع: ما يناسب من تشريع للنبي موسى دراسة تحليلية لأسفار التوراة الخامسة الأولى	101
- ما يناسب من تشريع للنبي موسى - التشريع الموسوي والتشريع التوراتي	103
- 106	

- العادات بين التشريع الموسوي والمستحدث من التشريع اليهودي	107
- ما نسب لموسى في الأسفار الخمسة الأولى من التوراة.....	110
- ما جاء في الأسفار الخمسة يناقض منهج النبوة	117
- قوانين الحرب	125
- الإله التوراتي وقوانين الحرب العنصرية	126
9- الفصل الخامس: النبي موسى في نهاية المطاف	129
- النبي موسى في نهاية المطاف	131
- حقائق على ضوء الآيات الكريمة	137
- موسى وهارون عليهما السلام ونهاية المطاف	140
- هل مات النبي موسى مقتولاً؟	141
10- الفصل السادس: النبي موسى <small>الكتاب</small> بأفلاام الباحثين والمؤرخين	145
شخصية النبي موسى حقيقة أم أسطورة	148
ندرة اليازجي وكتاب رد على التوراة.....	150
جرجي كنعان وكتاب سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية.....	155
حنا حنا وكتاب دراسات توراتية	158
النبي موسى في الفكر المسيحي	160
11- الفصل السابع: النبي موسى بين الحديث النبوي والتراث الإسلامي والإسرائيليات	167
النبي موسى <small>الكتاب</small> في الحديث النبوي الشريف والتراث الإسلامي	169
الإسرائيليات حول النبي موسى	171
الإسرائيليات في سؤال موسى ربه الرؤية	174
خاتمة	185
المصادر والمراجع	188
الفهرس	189

سيرة ذاتية

- 1 - حسن مصطفى الباش.
- 2 - مواليد فلسطين، طيرة حifa / 24 / 11 / 1941 .
- 3 - إجازة في الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق 1973 .
- 4 - ماجستير مقارنة أديان، جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، فرع القاهرة 2001 .
- 5 - دكتوراه مقارنة أديان، جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، فرع القاهرة 2003 .
- 6 - أستاذ مقارنة أديان في كلية الدعوة الإسلامية، فرع دمشق.
- 7 - حائز على جائزة القدس العربية عام 2003 اليمن.
- 8 - رئيس تحرير مجلة المجاحد حتى عام 2007 .
- 9 - عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين منذ عام 1975 .
- 10 - عضو اتحاد الكتاب العرب جمعية الدراسات والبحوث منذ عام 1986 .
- 11 - يشارك في العديد من المؤتمرات العربية والدولية.
- 12 - مقيم في القطر العربي السوري منذ 1948 .
- 13 - رئيس تحرير مجلة الخيرية بدمشق منذ 2009 .

هذا الكتاب

من مواجهة فرعون الى مواجهةبني اسرائيل ذلك قدر
النبي موسى عليه السلام.

فليس هو استثناء بين أنبياءبني اسرائيل لكنه لطول
بقائه وصبره على فسادهم وانحرافهم دعا رباه ان يفصل
بينه وبينهم لأنهم قوم فاسقون.

موسى عليه السلامنبي عظيم بين شعب لن يتم اختيار الموت
على أن يبقى بينهم فأين توراتهم المحرفة من عظمة هذا
النبي. وأين موقفهم من عقيدة التوحيد والنهي عن القتل
والإفساد في الأرض؟

ISBN: 978 - 9933 - 408 - 24 - 4



9 789933 408244